

دلالات حروف المعاني: (الجر والعطف) وأثرها في التفسير

اعداد

ميادة محمود إبراهيم الدلقموني

اشراف

فريد مصطفى السلطان

أطروحة (ماجستير)-الجامعة الأردنية،
٢٠٠٣.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مركز أبحاث الدراسات والبحوث الإسلامية
مركز أبحاث الدراسات والبحوث الإسلامية

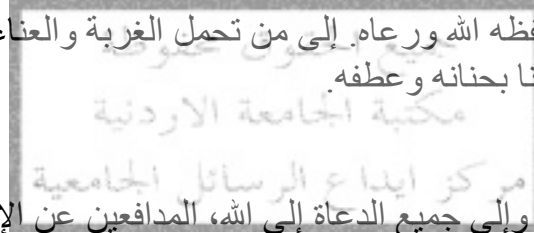
الإهداء

إلى من كانا بعد الله السبب في وجودي

إلى أمي نور عيني، حفظها الله ورعاها. إلى التي تعجز الكلمات عن الوفاء بحقها
وشكرها على ما أحاطتنا به وتحملت من أجلنا.

إلى أبي تاج رأسي، حفظه الله ورعاها. إلى من تحمل الغربة والعناء من أجلنا، يحثنا
دوما نحو الأمام، يرعانا بحنانه وعطفه.

وإلى إخوتي وأخواتي. وإلى جميع الدعاة إلى الله، المدافعين عن الإسلام.



نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ.....

أعضاء لجنة المناقشة

التوقيع

الأستاذ الدكتور فريد السلطان، رئيساً

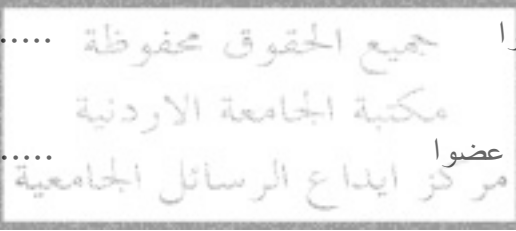
.....

الدكتور أحمد شكري، عضواً

.....

الدكتور أحمد فريد، عضواً

.....



الدكتور عبدالرحيم الزقة، عضواً

.....

الشكر

يطيب لي في هذا المقام أن أتوجه بالشكر الجزيل والتقدير الخالص إلى الأستاذ الفاضل الدكتور فريد السلطان، الذي منحني توجيهه ونصائحه، وتشرفت بإشرافه على رسالتي، وأسأل الله عز وجل أن يجزيه خير الجزاء.

كما أتوجه بعظيم الشكر والتقدير إلى أستاذي الفاضل الدكتور مصطفى المشني، الذي منحني عنوان هذه الرسالة، وأثرتني به على نفسه، فلا يسعني إلا أن أقول: جزاه الله خير الجزاء. مركز أبحاث الرسائل الجامعية

كما أتوجه بالشكر الخالص إلى أساتذتي الكرام الذين تفضلوا بالموافقة على تقويم هذا البحث، وهم:

الدكتور - أحمد فريد

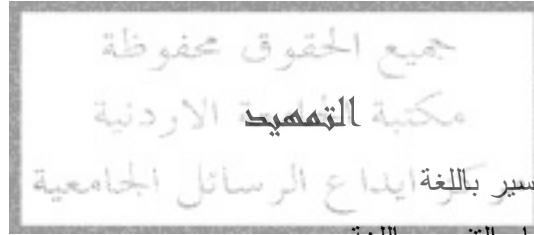
الدكتور - أحمد شكري

الدكتور - عبدالرحيم الزقة

وكل الشكر والمحبة إلى من قدم لي المساعدة من أهلي وصديقاتي لإخراج هذا البحث . راجيا الله تعالى أن يوفقنا ويسدد خطانا.

المختبريات

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
ب	قرار لجنة المناقشة
ج	الإهداء
د	الشكر
هـ	المحتويات
ل	الملخص
م	المقدمة
١	المبحث الأول: علاقة التفسير باللغة ايداع الرسائل الجامعية
٥	المبحث الثاني: عناية علماء التفسير باللغة
٨	المبحث الثالث: مصادر التفسير اللغوي



الفصل الأول

حروف المعاني

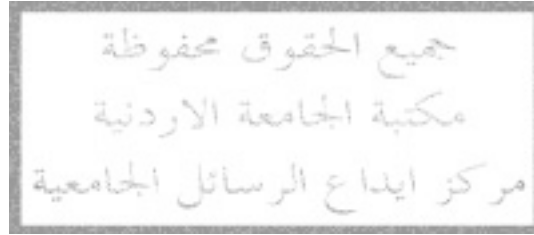
١٢	المبحث الأول: معنى وحد الحرف
١٦	المبحث الثاني: أقسام حروف المعاني

الفصل الثاني

أثر حروف المعاني في التفسير

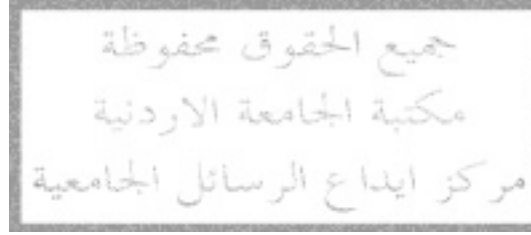
	المبحث الأول: أثر حروف الجر في التفسير
١٩	- تمهيد: تسميتها حروف الجر وعلّة الجر بها
٢١	- المطلب الأول: (إلى) وأثرها في التفسير
٢١	الأول: انتهاء الغاية
٢٤	الثاني: بمعنى (في)
٢٦	الثالث: بمعنى (مع)

٢٩	الرابع: التبيين
٢٩	الخامس: (إلى) واللام
٣١	السادس: التوكيد
٣٢	- المطلب الثاني: (الباء) وأثرها في التفسير
٣٢	الأول: الإلصاق
٣٣	الثاني: الاستعانة
٣٥	الثالث: السببية
٣٦	الرابع: الظرفية
٣٨	الخامس: البديل
٣٩	السادس: الآلة
٣٩	السابع: المجاوزة
٤٢	الثامن: الاستعلاء
٤٤	التاسع: التعديّة
٤٦	العاشر: التبويض
٤٨	الحادي عشر: المصاحبة
٤٩	الثاني عشر: الغاية
٥١	- المطلب الثالث: (على) وأثرها في التفسير
٥١	الأول: الاستعلاء
٥٢	الثاني: بمعنى (في)
٥٤	الثالث: المصاحبة
٥٦	الرابع: التعليل
٥٧	الخامس: موافقة (من)
٥٨	السادس: على وحرف الانتهاء
٦٠	السابع: على وحرف الإلصاق
٦٤	- المطلب الرابع: (عن) وأثرها في التفسير
٦٤	الأول: المجاوزة
٦٥	الثاني: بمعنى (من)



٦٦	الثالث: التعليل
٦٨	الرابع: (عن) بمعنى بعد
٦٩	الخامس: الاستعلاء
٧١	السادس: بمعنى (الباء)
٧٢	السابع: اسم بمعنى جانب
٧٣	الثامن: الزيادة

٧٥	- المطلب الخامس: (في) وأثرها في التفسير
٧٥	الأول: الظرفية
٧٦	الثاني: بمعنى (من)
٧٧	الثالث: بمعنى (على)
٧٩	الرابع: بمعنى (مع)
٨١	الخامس: السببية
٨٣	السادس: المقايسة
٨٤	السابع: الزيادة



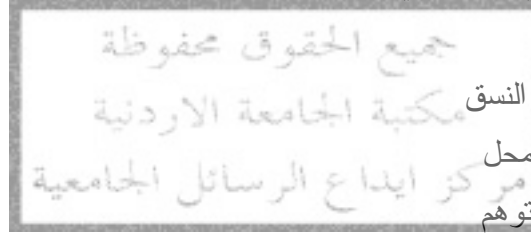
٨٦	- المطلب السادس: (اللام) وأثرها في التفسير
٨٦	الأول: الملك
٨٧	الثاني: الاختصاص
٨٧	الثالث: الاستحقاق
٨٨	الرابع: العلة
٨٩	الخامس: التبليغ
٩٠	السادس: الصيرورة
٩١	السابع: بمعنى (إلى)
٩٤	الثامن: بمعنى (على)
٩٦	التاسع: بمعنى (في)
٩٧	العاشر: بمعنى (عن)

٩٩	- المطلب السابع: (من) وأثرها في التفسير
٩٩	الأول: ابتداء الغاية

- ١٠١ الثاني: التبويض
 ١٠١ الثالث: التعليل
 ١٠٣ الرابع: الزيادة
 ١٠٥ الخامس: بمعنى(في)
 ١٠٦ السادس: (من) والمجازة
 ١٠٧ السابع: (من) وحرف الاستعلاء
 ١٠٨ الثامن: بمعنى (الباء)

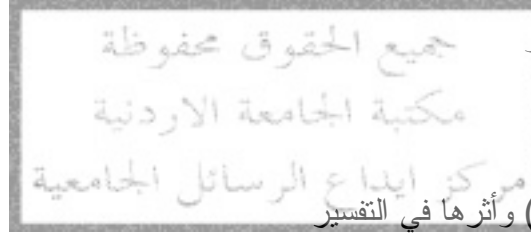
المبحث الثاني: أثر حروف العطف في التفسير

- ١١١ - تمهيد: معنى العطف
 ١١٢ - المطلوب الأول: (الواو) وأثرها في التفسير
 ١١٣ • الواو الزائدة
 ١١٥ • من أحكام عطف النسق
 ١١٥ أولا- العطف على المحل
 ١١٦ ثانيا- العطف على التوهم
 ١١٧ ثالثا- العطف على الضمير المرفوع المتصل
 ١١٨ رابعا- العطف على الضمير المجرور
 ١٢٠ خامسا- عطف الفعلية على الاسمية والعكس
 ١٢١ السادس- عطف الصفات
 ١٢٣ - المطلوب الثاني: (الفاء) وأثرها في التفسير
 ١٢٣ أولا- السببية
 ١٢٥ ثانيا- الترتيب الذكري
 ١٢٦ ثالثا- بمعنى (ثم)
 ١٢٩ رابعا- عطف الصفات
 ١٣٣ خامسا- الزيادة
 ١٣٦ سادسا- الفاء الفصيحة
 ١٤٠ - المطلوب الثالث: (ثم) وأثرها في التفسير
 ١٤٠ أولا- الاستبعاد



- ١٤٢ ثانيا- الترتيب الذكري
 ١٤٥ ثالثا- التوكيد
 ١٤٧ رابعا- الزيادة
 ١٤٨ خامسا- التراخي الزمني

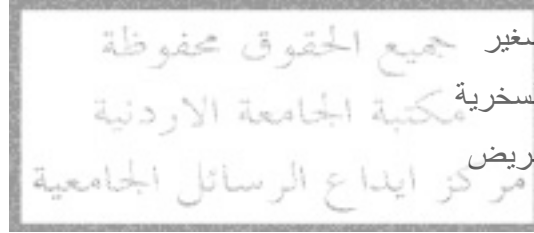
- ١٥٠ - المطلب الرابع: (أو) وأثرها في التفسير
 ١٥٠ أولا- التخيير
 ١٥١ ثانيا- الإباحة
 ١٥٣ ثالثا- الشك
 ١٥٤ الرابع- الإبهام
 ١٥٥ الخامس- التفصيل
 ١٥٦ السادس- بمعنى الواو
 ١٥٧ السابع- الإضراب
 ١٥٩ - المطلب الخامس: (بل) وأثرها في التفسير



المبحث الثالث: أثر حروف الاستفهام في التفسير

- ١٦٢ - المطلب الأول: (الهمزة) وأثرها في التفسير
 ١٦٢ الأول: التسوية
 ١٦٤ الثاني: الإنكار
 ١٦٦ الثالث: التوبيخ
 ١٦٨ الرابع: التعجب
 ١٧٠ الخامس: التقرير
 ١٧٢ السادس: التهكم
 ١٧٣ السابع: إنكاري توبيخي
 ١٧٦ الثامن: إنكاري تعجبي
 ١٧٧ التاسع: إنكاري تقريري
 ١٧٩ العاشر: إنكاري توبيخي تعجبي

- ١٨٢ - المطلب الثاني: (هل) وأثرها في التفسير
- ١٨٢ الأول: الاستفهام التقريري
- ١٨٤ الثاني: الاستفهام الإنكاري
- ١٨٥ الثالث: الاستفهام الطلبي
- ١٨٧ الرابع: الاستفهام العرضي
- ١٩٠ - المطلب الثالث: (من) وأثرها في التفسير
- ١٩٥ - المطلب الرابع: (ما) وأثرها في التفسير
- ١٩٥ الأول: الاستفهام الحقيقي
- ١٩٦ الثاني: التعظيم
- ١٩٧ الثالث: التحقير والتصغير
- ١٩٧ الرابع: الاستهزاء والسخرية
- ١٩٧ الخامس: الحث والتحريض
- ١٩٨ السادس: التعجب
- ١٩٩ السابع: التقرير
- ١٩٩ الثامن: الإنكار
- ٢٠١ - المطلب الخامس: (كم) وأثرها في التفسير
- ٢٠٣ - المطلب السادس: (كيف) وأثرها في التفسير
- ٢٠٣ الأول: الاستفهام الحقيقي
- ٢٠٣ الثاني: الاستفهام المجازي
- ٢٠٦ - المطلب السابع: (أين) وأثرها في التفسير
- ٢٠٨ - المطلب الثامن: (أي) وأثرها في التفسير
- ٢١٠ - المطلب التاسع: (أيان) وأثرها في التفسير



٢١١ - المطلب العاشر: (متى) وأثرها في التفسير

الفصل الثالث

قضايا تتعلق بحروف المعاني

٢١٤ المبحث الأول: القول بزيادة بعض حروف المعاني

٢١٤ - المطلب الأول: معنى الزيادة ودلالاتها عند العلماء

٢١٨ - المطلب الثاني: حقيقة الزيادة

٢١٨ أولاً: في اللغة

٢٢٢ ثانياً: في القرآن

٢٢٧ المبحث الثاني: التناوب في بعض الحروف

٢٢٧ - المطلب الأول: معنى التناوب ودلالاته عند العلماء

٢٢٨ - المطلب الثاني: حقيقة التناوب

٢٢٨ أولاً: في اللغة

٢٣٣ ثانياً: في القرآن

٢٣٧ المبحث الثالث: إلغاء عمل بعض الحروف

٢٣٧ - المطلب الأول: الإلغاء ودلالاته عند العلماء

٢٣٧ - المطلب الثاني: حقيقة الإلغاء في القرآن

٢٤٠ الخاتمة

٢٤٢ المصادر والمراجع

٢٥١ الملخص باللغة الإنجليزية

المؤكدة

الحمد لله الذي أنزل القرآن على نبيه بلسان عربي مبين، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا تستنفده كثرة الدراسات، ولا يبلى جديده مر الليالي والسنين، والصلاة والسلام على من شرفه رب العالمين، بتنزل الروح الأمين على قلبه ليكون رحمة للعالمين، سيد الخلق والمرسلين، وعلى آله وصحبه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
وبعد.....

فقد نزل القرآن الكريم بأفصح اللغات، وتلقته الأمة بال العناية والاهتمام وكيف لا، وهو كتابها ودستورها. فأخذوا يفسرونه ويبيّنون ما يحتاجون إليه، كل عصر حسب حاجته. ومع اتساع الحاجة إلى تفسير القرآن واستخراج ما فيه من الكنوز وروائع البيان اتسع نطاق التفسير ومداه، وعناية العلماء بتفصيل معناه حرفاً حرفاً. فكان الحرف الأداة الرابطة بين الكلمات، له كل الأثر في توجيه المعنى، وأثره البلاغي في إثراء المعنى.

والحديث عن معاني الحروف ودلالاتها نشأ في ركاب التفسير، حين كان المفسرون يفسلون المعاني المختلفة للأداة الواحدة، في النصوص القرآنية. إلى أن استقل بميدانه الخاص المتميز.

فكانت هذه الرسالة عن دلالات حروف المعاني وأثرها في التفسير، بناء على اقتراح من استاذي الدكتور مصطفى المشني. محاولة فيها بيان أهمية اللغة وعلاقتها بالتفسير، وعناية المفسرين بها، وأثر بعض هذه الحروف في تفسير الآيات، والمعنى الذي توحى به من دلالات هذه الحروف.

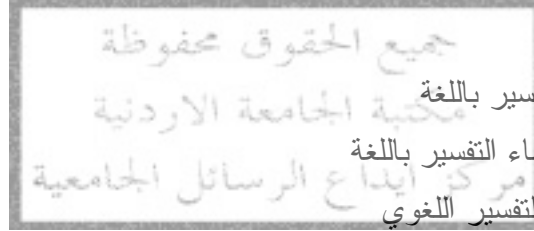
والكتابات تعددت في بيان معاني الحروف والاستشهاد على هذه المعاني من خلال الآيات القرآنية، وتوجيه الحرف لما وضع له من دلالات اعتماداً على الشعر وكلام العرب ومن هذا المنطلق قيس القرآن باللغة العربية، وأخذت آياته تفسر على مناحي اللغة وأحوالها. فلم يطبقوا الأبلغ على البليغ بل على العكس. فكان أن أدى إلى تأويلات في الحروف ومعانيها من القول بالزيادة والتناوب... إلخ من هذه القضايا. مع أن هذا القرآن كلام الله الذي لا يأتيه

الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولم يجعل له عوجاً. فكيف يقاس بكلام البشر ويخرج على أقوالهم؟

لا أنكر أنه لا يمكن فهم القرآن، من غير فهم للعربية بشكل صحيح، وتراكيبها وأحوالها ودلالاتها. ولكن مع هذا لا يمكن أن نقيس كل شيء في كلام البشر على كلام الله.

من هذا المنطلق حاولت أن أبرز معنى الحرف وأثره من خلال بعض الآيات القرآنية، محاولة إظهاره من غير خروج عن ما وضع للحرف من دلالات ومعاني معتمدة على ما فسر به العلماء هذه الآيات، وما وضعوا لهذا الحرف من معنى. والكتب التي كتبت في حروف الجر والعطف والاستفهام. فاقتضت طبيعة الدراسة أن تكون في تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

أما التمهيد، فتحدثت فيه عن علاقة التفسير باللغة وعناية علماء التفسير بهذا الجانب، وذلك في ثلاثة مباحث هي:



المبحث الأول: علاقة التفسير باللغة

المبحث الثاني: عناية علماء التفسير باللغة

المبحث الثالث: مصادر التفسير اللغوي

وخصت الفصل الأول من الرسالة للحديث عن حروف المعاني، فكان في مبحثين:

المبحث الأول: معنى الحرف وحده

المبحث الثاني: أقسام حروف المعاني

أما الفصل الثاني فتحدثت فيه عن أثر حروف المعاني في التفسير، واشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أثر حروف الجر في التفسير

المبحث الثاني: أثر حروف العطف في التفسير

المبحث الثالث: أثر حروف الاستفهام في التفسير

أما الفصل الثالث فكان الحديث فيه عن قضايا تتعلق بهذه الحروف، وجاء في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: القول بزيادة بعض هذه الحروف

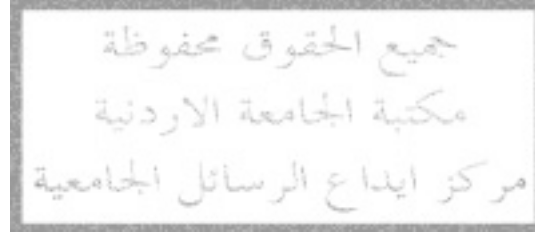
المبحث الثاني: التناوب في بعض هذه الحروف

المبحث الثالث: إلغاء عمل بعض هذه الحروف.

ثم كانت الخاتمة التي سجلت فيها ما ظهر لي من هذه الدراسة، وأثبتت المصادر المراجع.

فبهذا تكون دراستي، محاولة تقديم الموضوع وبيان أهمية الحرف ودور الحرف بصورة واضحة متكاملة.

واسأل الله العون والسداد، وأن يغفر لي ويعفو عني فيما أخطأت به. وأن يجعل هذا العمل ابتغاء وجهه الكريم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



التفسير

ويشتمل على:

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
المبحث الأول: علاقة التفسير باللغة. الرسائل الجامعية

المبحث الثاني: عناية علماء التفسير باللغة.

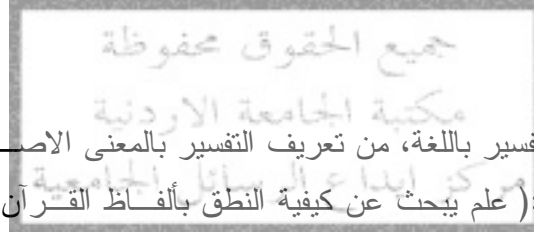
المبحث الثالث: مصادر التفسير اللغوي.

المبحث الأول: علاقة التفسير باللغة.

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، على قلب الرسول-صلى الله عليه وسلم- لينذر أول ما ينذر قوما كانوا في قمة المعرفة اللغوية، وكانت لغتهم نفسها قد بلغت من النمو والتكامل ما بلغت.

ولكن هذا القرآن لم ينزل جملة واحدة بل نزل منجما مفرقا بحسب الحوادث والمناسبات والوقائع، هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان فيه ما يحتاج إلى بيان أو تفصيل. فكان النبي-صلى الله عليه وسلم- يقوم بتفسير ما أشكل فهمه على الصحابة، من معنى مبهم، فكانوا هم أعلم الناس بظروف نزول القرآن.

ثم اتسعت دائرة التفسير، فكانت اللغة مصدرا من مصادره، إلى جانب مصادر أخرى^(١).



ولا أدل على علاقة التفسير باللغة، من تعريف التفسير بالمعنى الاصطلاحي الذي عرفه أبو حيان^(٢) بأنه: (علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيه التي تحمل عليه حالة التركيب وتتمت ذلك).

ووضح حدود هذا التعريف فقال: فقولنا: (علم)، هو جنس يشمل سائر العلوم، وقولنا: (يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن)، هذا هو علم القراءات. وقولنا: (ومدلولاتها)، أي مدلولات تلك الألفاظ، وهذا هو علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم.

وقولنا: (وأحكامها الإفرادية والتركيبية)، هذا يشمل علم التصريف وعلم الإعراب، وعلم البيان، وعلم البديع.

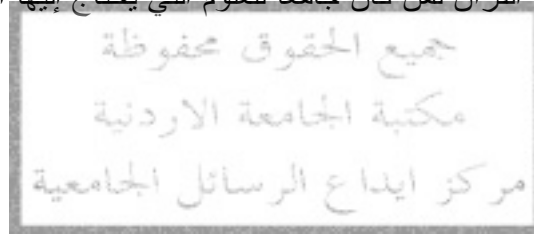
(١) : فضل عباس، إتقان البرهان في علوم القرآن، ٢/٢٣٧

(٢) : أبو حيان، أثر الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، الأندلسي الغرناطي، الشهير بأبي حيان، ولد سنة ٦٥٤هـ. كان ملما بالقراءات صحيحها وشاذها، عرف بنظمه للأشعار، كان على جانب كبير من المعرفة باللغة. من مؤلفاته: تفسير البحر المحيط، نهاية الإعراب، وغيره من الكتب. توفي ٧٤٥هـ بمصر. انظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ٤/٣٠٢-٣١٠. الذهبي، التفسير والمفسرون، ١/٣١٧-٣١٨.

وقولنا: (ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب) : يشمل دلالاته عليه بالحقيقة، وما دل عليه بالمجاز. فإن التركيب قد يقتضي بظاهره شيئاً ويصد عن الحمل على الظاهرصاد، فيحتاج لأجل ذلك أن يحمل على غير الظاهر وهو المجاز. وقولنا: (تتمت لذلك)، هو معرفة النسخ وسبب النزول، وقصة توضح بعض ما انبهم في القرآن، ونحو ذلك^(١).

والشاهد هنا من كلام أبي حيان في تعريف التفسير قوله: ومعرفة مدلولاتها- أي الألفاظ- بأن هذا هو علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم. وقوله: ومعرفة أحكام هذه الألفاظ الإفرادية والتركيبية التي عد من ضمنها علم الإعراب. فحروف المعاني تدرج تحت باب الإعراب.

وقد جوز العلماء تفسير القرآن لمن كان جامعاً للعلوم التي يحتاج إليها المفسر وعدوا من ضمنها:



- اللغة
- النحو
- التصريف
- الاشتقاق
- المعاني
- البيان
- البديع^(٢)

من هذا كله نستطيع أن ندرك العلاقة بين التفسير و اللغة، فالقرآن الكريم نزل باللغة العربية، وكان العرب في أوج بلاغتهم. فكانت معرفتهم باللغة العربية من الأدوات المهمة التي كانت تساعدهم على تفسير ما يشكل عليهم بالعودة إلى اللغة العربية وخصوصاً الشعر.

(١) : انظر: أبو حيان، مقدمة تفسيره البحر المحيط، ١/٤-٧.

(٢): السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ٢/٣٩٧-٣٩٨.

فقد كان عمر بن الخطاب^(١) - رضي الله عنه - يقول: عليكم بديوانكم لا تضلوا، قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم^(٢).

وكان ممن امتاز بهذه الناحية واشتهر بها أكثر من غيره، ابن عباس^(٣) - رضي الله عنهما - ، فكثيرا ما كان يسأل عن القرآن فينشد فيه الشعر، وقد روي عنه الشيء الكثير من ذلك، وأوعب ما روي عنه مسائل نافع بن الأزرق^(٤) وأجوبته عنها، وقد بلغت مائتي مسألة.

وذكر السيوطي في الإتيان بسنده مبدأ هذا الحوار الذي كان بين نافع وابن عباس - رضي الله عنهما. وسرد مسائل نافع بن الأزرق وأجوبة ابن عباس عنها^(٥).

فكانوا يفسرون المعنى الذي يشكل عليهم معرفته بما ورد عن العرب واشتهر معرفته بهذا المعنى من خلال لغتهم، وكان أعظم ميراث لغتهم هو الشعر الذي كانوا يتفاخرون به في الأسواق.

فقد قال تعالى: (انا جعلناه قرآنا عربيا) {الزخرف/٣} ، وقال: (بلسان عربي مبين) {الشعراء/١٩٥} .

(١) : عمر بن الخطاب: بن نفيل العدوي، أحد فقهاء الصحابة، ثاني الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأول من سمي أمير المؤمنين، شهد بدرًا والمشاهد، ولي الخلافة بعد أبي بكر - رضي الله عنهما - ، وفتح في أيامه أمصار عدة، ولما دفن قال ابن مسعود: ذهب اليوم بتسعة أعشار العلم. استشهد آخر سنة ٢٣هـ في أول ٢٤هـ ، ودفن بالحجرة النبوية ومناقبه جملة. انظر: المزي، تهذيب الكمال، ٣١٦/١٧ - ٣٢٦. ابن حجر، أسد الغابة، ٥٣/٤.

(٢) : قوله في: الذهبي، التفسير والمفسرون، ٧٨/١.

(٣) : ابن عباس: عبدالله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ، أبو العباس المدني، ابن عم الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، كان يقال له حبر هذه الأمة لكثرة علمه وسعة فهمه وفقهه، كان عبدالله بن مسعود يقول: عبدالله بن عباس ترجمان القرآن، لقوة علمه في التفسير، أخذ عنه خلق كثير توفي ٦٩هـ.

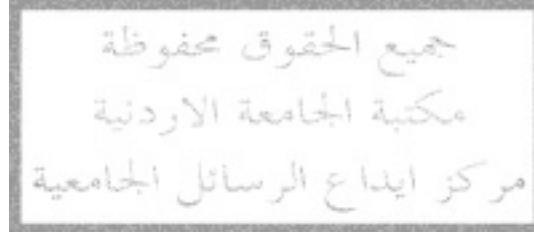
انظر: المزي، تهذيب الكمال، ١٥٤/١٥ - ١٦٢.

(٤) : نافع بن الأزرق: الحروري من رؤوس الخوارج، وإليه تنسب طائفة الأزارقة ، خرج في آخر دولة يزيد بن معاوية ، وكان يعترض الناس بما يحير العقل، واشتدت شوكته، قتل سنة خمس وستين. (ابن حجر، لسان الميزان، ١٤٤/٦. الشهرستاني، الملل والنحل، ١/١٧٩، الهامش).

(٥) : انظر: السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ٢٨٢ - ٢٥٦/١.

فالقرآن الكريم هو مصدر التشريع الأول للأمة المحمدية، وعلى فقه معناه ومعرفة أسرارها والعمل بما فيه تتوقف سعادتها. ولا يستوي الناس جميعا في فهم ألفاظه وعباراته مع وضوح بيانه وتفصيل آياته .
فان تفاوت الإدراك بينهم أمر لا مرء فيه، فالعامي يدرك من المعاني ظاهرها ومن الآيات مجملها ، والذكي المتعلم يستخرج منها المعنى الرائع .
وبين هذا وذاك مراتب فهم شتى ، فلا غرو أن يجد القرآن من أبناء أمته اهتماما بالغا في الدراسة لتفسير غريب، أو تأويل تركيب^(١) .

وهذا ما سأبرزه من خلال المبحث القادم باذنه تعالى ، بيان (عناية علماء التفسير باللغة) .



(١) : مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص ٣٢٣.

المبحث الثاني: العناية علماء التفسير باللغة

لا يكاد يخلو تفسير من اللغة والقضايا المتعلقة بها من نحو وإعراب وبلاغة.. إلخ، ابتداء من معاني القرآن للفراء^(١)، ومعاني القرآن للزجاج^(٢)، ومعاني القرآن للأخفش^(٣)، وابن جرير^(٤)، والزمخشري^(٥)، والرازي^(٦).

(١) : الفراء: أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمي، إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة، من مؤلفاته: كتاب المعاني، والمذكر والمؤنت. ولد بالكوفة ١٤٤هـ وتوفي ٢٠٧هـ. انظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ١٣١. الحموي، معجم الأدباء، ٦/٢٨١٢-٢٨١٥. الزركلي، الأعلام، ٩/١٧٨. البغدادي، تاريخ بغداد، ١٤٩/١٤.

(٢) : الزجاج: أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل، كان من أهل الفضل والدين، جميل المذهب والاعتقاد، من تصانيفه: خلق الإنسان، وتفسير الجامع المنطق. توفي ٣١١هـ. انظر: القفطي، إنباه الرواة، ١/١٥٩-١٦٦. السيوطي، بغية الوعاة، ١٧٩-١٨٠. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١/٤٩-٥٠.

(٣) : الأخفش: سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء البلخي ثم البصري، أبو الحسن المعروف بالأخفش، نحوي عالم باللغة والأدب، من أهل بلخ سكن البصرة وأخذ العربية عن سيبويه، من مصنفاته: تفسير معاني القرآن، الاشتقاق، معاني الشعر... الخ. توفي ٢١٥هـ. انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٠/٣٨٠-٣٨١. نزهة الألباء، ١٨٥. الحموي، معجم الأدباء، ٣/١٣٧٤-١٣٧٦.

(٤) : ابن جرير: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر الطبري، الأملي الأصل، البغدادي المولد، والوفاء ولد ٢٤٤هـ وتوفي ٣١٠هـ. كان عالماً فذاً كثير الرواية ذا بصيرة بالنقل والترجيح بين الروايات، له باع طويل في تاريخ الرجال وأخبار الأمم من تصانيفه: جامع البيان في تفسير القرآن، تاريخ الأمم والملوك وأخبارهم... إلخ.

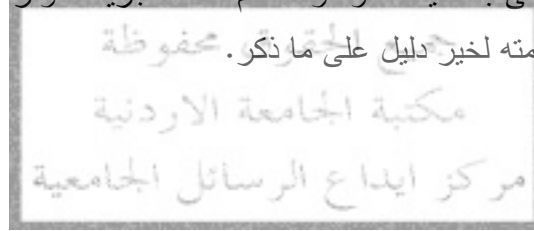
انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٤/١٩١-١٩٢. ابن حجر، لسان الميزان: ٥/١٠٨-١١٠. ابن السبكي، طبقات الشافعية الكبرى: ٢/١٣٥-١٣٨. الحموي، معجم الأدباء: ٦/٢٤٤١-٢٤٦٩.

(٥) : الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري ولد سنة ٤٦٧هـ بزمخشتر وهي قرية كبيرة من قرى خوارزم، وتلقى العلم في بلاده، رحل إلى مكة وجاور بها زمناً فقبل له جار الله وبها ألف كتابه في التفسير (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) توفي ٥٣٨هـ بجرجانية خوارزم بعد رجوعه من مكة. وهو من أئمة اللغة والمعاني والبيان وله تصانيف في اللغة والنحو والمعاني والبيان والحديث والتفسير منها: الفائق في تفسير الحديث، أساس البلاغة في اللغة، المفصل في النحو... إلخ. انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٥/١٦٨-١٧٤. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب: ٤/١١٨-١٢١. الزركلي، الأعلام: ٨/٥٥.

(٦) : الرازي: الإمام العلامة محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي، فخر الدين أبو عبدالله الرازي، ابن خطيب الري، المفسر المتكلم صاحب التصانيف الكثيرة. برع الإمام الرازي في فنون كثيرة منها: اللغة والفقه والتفسير والقراءات والفلسفة وعلم الكلام. ولد سنة ٥٤٤هـ. طلب العلم منذ صغره وترك مصنفات كثيرة أهمها: تفسيره المسمى مفاتيح الغيب، ومعالم أصول الدين، والمسائل الخمسون في أصول الكلام... الخ. توفي ٦٠٦هـ. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢١/٥٠٠. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٥/٢١-٢٢.

ولكن هناك كتباً غالب عليها طابع النحو، ومن هذه الكتب: كتب إعراب القرآن منها: إعراب القرآن للنحاس^(١)، والبيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري^(٢). وإعراب القرآن للعكبري^(٣). وأجل هذه الكتب وأجمعها: الدر المصون للسمين الحلبي^(٤). ولكن الكتاب الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بأمور النحو والإعراب: تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي.

وقد غالى بعض الناس فظلم الكاتب والكتاب، حيث ادعى أن الكتاب مليء بفرعيات النحو، وهذا الذي غلب عليه، وليس الأمر كذلك. فالحق يقال إن تفسير البحر المحيط من أجل التفاسير نفعاً وأجمعها للفوائد، يجد القارئ فيه بغيته، تجنب صاحبه الفضول من القول، وإن كان يعنى بقضايا النحو، ولكنه لم تشغله جزئياته وفرعياته عن قضايا التفسير^(٥)، وإن في مقدمته لخير دليل على ما ذكر.



(١) : النحاس: أبو جعفر محمد بن أحمد بن اسماعيل الصفار النحوي المصري، المعروف بأبي جعفر النحاس، وهي نسبة إلى من يعمل النحاس أي الأواني الصفيرية، أخذ النحو عن أبي الحسن الأخفش الصغير وعن أبي اسحاق الزجاج، وكان بارعاً في اللغة والنحو والتفسير والقراءات. له كتاب في معاني القرآن والناسخ والمنسوخ وكتابه في الإعراب وغيرها. توفي بمصر سنة ٣٣٨هـ. انظر: الداودي، طبقات المفسرين، ٦٧/١-٧٠. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٤/٢٠٣.

(٢) : ابن الأنباري: أبو البركات عبدالرحمن بن أبي الوفاء محمد بن عبيدالله بن سليمان الأنباري، الملقب كمال الدين، النحوي، كان من الأئمة المشار إليهم في النحو، تفقه على مذهب الشافعي، صنف في النحو كتاب: أسرار العربية، وغيرها من الكتب. ولد سنة ٥١٣هـ وتوفي ٥٧٧هـ. انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٣٥/٥-١٤٠.

(٣) : العكبري: الأصل البغدادي المولد، أبو البقاء عبدالله بن الحسين، الفقيه الحنبلي النحوي يحب الدين، له كتاب إعراب القرآن وكتاب شرح للمع لابن جني... الخ. توفي في بغداد سنة ٦١٦هـ. انظر: الداودي، طبقات المفسرين، ٢٣١/١-٢٣٤.

(٤) : السمين الحلبي: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود المعروف بالسمين، ولقبه السمين يذكر أنه اكتسبه في ارتحاله إلى مصر. نشأ في حلب ورحل إلى القاهرة، وحظي بمكانة بارزة، ملئ تدريجاً القراءات والنحو، ويذكر أن له باعاً طويلاً في علم القراءات وترك كتاب (شرح الشاطبية) في هذا الفن وألف كتابين في التفسير وكتابه (الدر المصون) في اللغة وكان من اساتذته أبو حيان الأندلسي. توفي ٧٥٦هـ انظر: الداودي، طبقات المفسرين، ١/١٠٠. ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٦/١٧٩.

(٥) : انظر: الذهبي، التفسير والمفسرون، ١/٣١٨.

قال رحمه الله :

(وترتبي في هذا الكتاب أني أبتدىء أولاً بالكلام على مفردات الآية التي أفسرها لفظة لفظة فيما يحتاج اليه من اللغة و الأحكام النحوية لتلك اللفظة قبل التركيب ، وإذا كان للكلمة معنيان أو معان ذكرت ذلك في أول موضع فيه تلك الكلمة لينظر ما يناسب لها من تلك المعاني في كل موقع تقع فيه ، فيحمل عليه .

ثم أشرع في تفسير الآية ذكرا سبب نزولها إذا كان لها سبب نزول ونسخها ومناسبتها وارتباطها بما قبلها حاشدا فيها القراءات شاذها ومستعملها ، ذكرا توجيه ذلك في علم العربية ناقلا أقاويل السلف والخلف في فهم معانيها ، متكلما على جليها وخفيها ، بحيث أني لا أغادر منها كلمة وان اشتهرت حتى أتكلم عليها مبديا ما فيها من غوامض الإعراب ودقائق الآداب من بديع وبيان مجتهدا أني لأكرر الكلام في لفظ سبق ولا جملة تقدم الكلام عليها ، ولا في آية فسرت ، بل أذكر في كثير منها الحوالة على الموضع الذي تكلم فيه على تلك اللفظة أو الجملة أو الآية .

وان عرض تكرير فبمزيد فائدة ، ناقلا أقاويل الفقهاء الأربعة وغيرهم في الأحكام الشرعية مما فيه تعلق باللفظ القرآني ، محيلا على الدلائل التي في كتب الفقه ، وكذلك ما نذكره من القواعد النحوية أحيل في تقررها والاستدلال عليها على كتب النحو ، وربما أذكر الدليل إذا كان الحكم غريبا ، أو خلاف مشهور ما قال معظم الناس بادئا بمقتضى الدليل ، وما دل عليه ظاهر اللفظ مرجحا له لذلك ما لم يصد عن الظاهر ما يجب إخراج به عنه منكما في الإعراب عن الوجوه التي تنزه القرآن عنها مبينا أنها مما يجب إخراج به أن يعدل عنه وأنه ينبغي أن يحمل على أحسن إعراب وأحسن تركيب .

ان كلام الله أفصح الكلام ، فلا يجوز فيه جميع ما يجوز النحاة في شعر الشماخ والطرماح وغيرهما من سلوك التقارير البعيدة والتراكيب الفلقة والمجازات المعقدة ثم أختتم الكلام في جملة من الآيات التي فسرتها أفرادا وتركيبا بما ذكروا فيها من علم البيان البديع ملخصا ، ثم أتبع آخر الآيات بكلام منثور أشرح به مضمون الآيات على ما أختاره من تلك المعاني ملخصا جملها في أحسن تلخيص ، وقد ينجر معها ذكر

معان لم تتقدم في التفسير وصار ذلك أنموذجا لمن يريد أن يسلك ذلك فيما بقي من سائر القرآن .

وستقف على هذا المنهج الذي سلكته إن شاء الله تعالى، وربما ألممت بشيء من كلام الصوفية مما فيه بعض مناسبة لمدلول اللفظ، وتجنبنا كثيرا من أقاويلهم ومعانيهم التي يحملونها الألفاظ، وتركت أقوال الملحدين الباطنية والمخرجين الألفاظ القريبة عن مدلولاتها في اللغة إلى هذيان افتروه على الله تعالى وعلى علي كرم الله وجهه وعلى ذريته ويسمونه علم التأويل....، ومن أنماط بمعرفة مدلول الكلمة وأحكامها قبل التركيب وعلم كيفية تركيبها في تلك اللغة، وارتقي إلى تمييز حسن تركيبها وقبحه فلن يحتاج في فهم مانركب من تلك الألفاظ إلى مفهم، ولا معلم وإنما تفاوت الناس في إدراك هذا الذي ذكرناه، فلذلك اختلفت وتباينت أقوالهم^(١).

جميع الحقوق محفوظة

وأبو حيان الأندلسي - رحمه الله - مع كونه من علماء النحو وعلماء اللغة، لكن الدارس يجد في تفسيره ما يشبع ويقنع في قضايا الأحكام الفقهية، ومسائل البلاغة وما يتصل بالآيات من الآداب والإرشاد والزجر، مع تجنب للأسرائليات، والأقوال الساقطة الهابطة.. رحم الله أبا حيان وجزاه خير الجزاء..

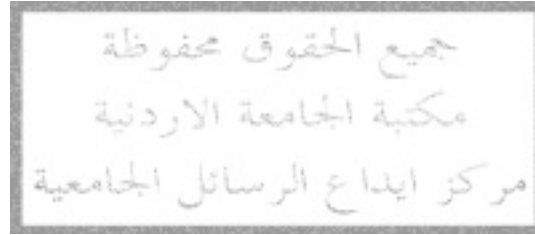
ومن التفاسير التي كانت لها عناية بالنحو حاشية الشيخ سليمان الجمل الشافعي من علماء القرن الثالث عشر، على تفسير الجلالين، لجلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي، وهو تفسير مشتهر بين الناس موجز، وعناية الشيخ سليمان الجمل كثيرة بقضايا النحو^(٢). وغيرها من الحواشي التفسيرية التي تعنى بجانب اللغة والنحو.

بعد كل هذا أستطيع أن أخلص إلى مدى عناية علماء التفسير باللغة وإدراكهم لأهمية هذا الجانب في علم التفسير. فالقرآن الكريم كتاب العربية الخالد، أنزله الله تعالى بلسان عربي مبين، هدى ورحمة للمؤمنين، فيه سعادة البشرية إلى ما شاء الله.

(1) : انظر: أبوحيان، البحر المحيط، ١/٤-٧.

(2) : انظر: فضل عباس، إتقان البرهان، ٢/٢٧٥-٢٧٦.

فلا يمكن لأي شخص يريد أن يطرق باب التفسير لفهم كلام الله تعالى ومراده، دون أن يفهم اللغة العربية، وأحوالها، وأدواتها، من نحو وبلاغة الخ... . فهذه الأمور من أهم الأمور التي تعين على فهم كتاب الله تعالى وعدم الانحراف عن طريق الصواب في تفسير القرآن الكريم.

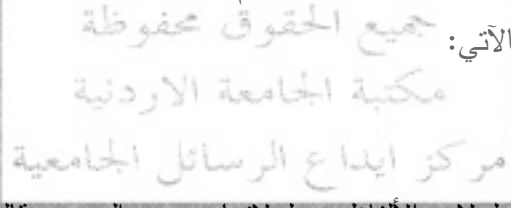


المبحث الثالث: مصادر التفسير اللغوي

من يقرأ أي تفسير من كتب التفسير، يجد عناية صاحب هذا التفسير بموضوع اللغة العربية، وإن كان منهم - كما ذكرت سابقاً - طبع كتابه بطابع التفسير اللغوي.

ولكن هذا التفسير على ماذا يعتمد؟ وما هي مصادره؟ أم يحق لأي شخص طرق هذا النوع؟

يمكن للمفسر أن يتعاطى تفسير القرآن الكريم من هذا المنطق، إن كان جامعاً لأهم المصادر في اللغة العربية، والعلوم التي تعينه في هذا المجال، وفهم القرآن الكريم ومراده، وقد عدها العلماء واستوعبها كتب عوم القرآن، وغيرها من الكتب التي تعنتي بالقرآن الكريم، وهي كالتالي:



أولاً- اللغة

لأن بها يعرف شرح مدلولات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع. قال مجاهد^(١): (لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب ولا يكفي في حقه معرفة اليسير منها، فقد يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم أحد المعنيين والمراد الآخر)^(٢).

ثانياً- النحو

لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب فلا بد من اعتباره. أخرج أبو عبيد عن الحسن أنه سئل عن الرجل يتعلم العربية يلتبس بها حسن المنطق ويقوم بها قراءته، فقال: حسن فتعلمها، فإن الرجل يقرأ الآية فيعي بوجهها فيهلك فيها.

(١) : مجاهد: هو مجاهد بن جبر، المكي، المقرئ، المفسر، أبو الحجاج المخزومي، مولى السائب بن أبي السائب، أحد الأعلام الأثبات، ولد سنة ٢١هـ في خلافة عمر بن الخطاب. توفي بمكة سنة ١٠٤هـ على الأشهر.

انظر: الذهبي، ميزان الاعتدال، ٦/٢٥. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١٠/٤٢-٤٤.

(٢) : القول في مقدمة تفسيره، كتبها: عبدالرحمن الطاهر السورتى، ص٢٧. وذكر قوله: الألوسي، روح المعاني، ١/٥.

ثالثا- التصريف

لأن به تعرف الأبنية والصيغ. قال ابن فارس: ومن فاتته علمه فاتته المعظم، لأن وجد مثلا كلمة مبهمة فإذا صرفناها اتضحت بمصادرها^(١).

فيقال وجد فلان يجد وجدا: حزن. ووجد عليه: موجدة: غضب. ووجد به وجدا: أحبه. ووجد فلان، وجدا، وجدة: صار ذات مال. ووجد مطلوبه، وجدا، ووجدا، وجدة ووجودا، ووجدانا: أدركه. ويقال: وجد الضالة، ووجد الشيء كذا: علمه إياه. يقال وجدت الحلم نافعا^(٢).

بهذا المثال تتضح أهمية التصريف في كلمة متعددة الصيغ والأبنية، لأن بمعرفة المعاني التي تتصرف لها يسهل معرفة المعنى المراد وتحديده من خلال السياق.

جميع الحقوق محفوظة

وقال الزمخشري: (من بدع التفاسير قول من قال: إن الإمام في قوله تعالى: (يوم ندعوا كل أناس بإمامهم) {الإسراء/٧١} جمع أم. وإن الناس يدعون يوم القيامة بأسمائهم دون أبنائهم)^(٣) وهذا غلط أوجب جهلة بالتصريف، فإن أما لا تجتمع على إمام^(٤).

رابعا- الاشتقاق

لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافها كالمسيح هل هو من السياحة أو المسح.

خامسا- علوم البلاغة

وهي: المعاني، والبيان، والبديع، لأنه يعرف بالأول خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى. وبالتالي خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها. وبالتالي: وجوه تحسين الكلام.

(1) : حاولت أن أجد قول ابن فارس في كتابه الصاحبى ولكن لم أتمكن من هذا، وقوله ذكر في عدة كتب منها: التفسير والمفسرون، للذهبي، ٢٦٧/١.

(2) : ابراهيم مذكور، وآخرون، المعجم الوسيط، ١٠٥٥/٢.

(3) : الزمخشري، الكشاف، ٦٥٥/٢.

(4) : السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ٣٩٨/٢.

وهذه العلوم هي من أعظم أركان المفسر، لأنه لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وإنما يدرك بهذه العلوم^(١).

فهذه سبعة من مجموع العلوم التي يحتاج إليها المفسر، وهي من علوم العربية، إضافة إلى أن الأئمة الذين عنوا بالدراسات القرآنية والدينية، كانوا علماء لغويين ونحويين، بل أكثرهم كانوا أئمة في اللغة والنحو.

والموضوع الذي بين أيدينا هو حروف المعاني وأثرها في التفسير. وتأتي علاقة حروف المعاني باللغة العربية من جانب النحو، فهي باب من أبواب النحو، ولا يمكن فهم المعنى للنص القرآني فهما صحيحا إلا إذا فهمت معاني تلك الحروف.

فالحديث عن هذه الحروف - ومباحث اللغة بصفة عامة - يعين على معرفة اللغة الفصحى، لأنها لغة القرآن الكريم^(٢).
وعلى هذا فالمفسر يحتاج إلى معرفة تلك الحروف لكثرة وقوعها في الآيات القرآنية.

(١) : السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٣٩٨/٢. الذهبي، التفسير والمفسرون، ٢٦٦/١-٢٦٧. القطان، مباحث في علوم القرآن، ص ٣٣.

(٢) : محمود سعد، حروف المعاني بين دقائق النحو ولطائف الفقه، ص ١٣.

الفصل الأول

حروف المعاني

المبحث الأول: معنى وحدة الحروف محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
المبحث الثاني: حدة حروف المعاني
مركز ابحاث الرسائل الجامعية

المبحث الثالث: أقسام حروف المعاني

المبحث الرابع: معاني هذه الحروف

المبحث الأول: معنى الحرف وحده

الحرف لغة

يطلق الحرف في اللغة على معان متعددة، ذكر ابن منظور في لسان العرب: حرف: الحرف من حروف الهجاء معروف، واحد حروف التهجي. وهو الإداة التي تسمى الرابطة، لأنها تربط الاسم بالاسم، والفعل بالفعل، كعن وعلی، ونحوهما.

والحرف في الأصل: الطرف والجانب، وبه سمي الحرف من حروف الهجاء^(١). وحرفا الرأس: شقاه. وحرف السفينة والجبل جانبهما. والجمع: أحرف وحروف وحرفة.

وذكر قول الجوهري: حرف كل شيء طرفه وشفيره وحده، ومنه حرف الجبل وهو أعلاه المحدد. وفي حديث ابن عباس: أهل الكتاب لا يأتون الناء إلا على حرف: أي على جانب.

والحرف من الإبل النحية الماضية التي أنضتها الأسفار، شبهت بحرف السيف في مضائها ونجاتها ودقتها. وقيل هي الضامرة الصلبة، شبهت بحرف الجبل في شدتها وصلابتها.

وروي عن ابن عمر أنه قال: الحرف الناقة الضامرة، وقال الأصمعي الحرف: الناقة المهزولة^(٢).

وحرف الشيء ناحيته. وفلان على حرف من أمره، أي ناحية منه، كأنه ينتظر ويتوقع فإن رأى ناحية ما يحب وإلا مال إلى غيرها.

وقال ابن سيده: فلان على حرف من أمره أي ناحية منه، فإن رأى شيء لا يعجبه عدل عنه^(٣). وفي التنزيل العزيز: (ومن الناس من يعبد الله على حرف) {الحج/١٨} أي

(1): ابن منظور، لسان العرب، ١٤/٩. وانظر: الزبيدي، تاج العروس، ١٣٠/٥.

(2): ابن منظور، المرجع السابق، ٤٢/٩.

(3): ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ٣٠٧/٣.

على وجه واحد، وهو أن يعبد على السراء دون الضراء، أي يؤمن بالله ما دامت حاله حسنة، فإن غيرها وامتحنه كفر به، وذلك لشكه وعدم طمأنينته^(١).

وقال الزجاج: (على حرف أي على شك، قال: وحقيقته أن يعبد الله على حرف: أي على طريقة في الدين لا يدخل فيه دخول متمكن، فإن أصابه خير أطمأن به، أي إن أصابه خصب، وكثر ماله وحاشيته اطمأن بما أصابه، ورضي بدينه، وإن أصابته فتنة اختار بجذب وقلة حال انقلب على وجهه، أي رجع عن دينه إلى الكفر وعبادة الأوثان)^(٢). وذكر ابن قتيبة نحوه^(٣).

وروى الأزهري عن أبي الهيثم، قال: أما تسميتهم الحرف حرفاً، فحرف كل شيء ناحيته كحرف الجبل والنهر والسيوف وغيره^(٤).

جميع الحقوق محفوظة

وذكر الأزهري: كأن الخير والخضب ناحية، والشر والمكروه ناحية أخرى، فهما حرفان وعلى العبد أن يعبد خالقه على حالتي السراء والضراء، ومن عبد الله على السراء وحدها دون أن يعبد على الضراء بينتليه الله بها، فقد عبده على حرف. ومن عبده كيفما تصرفت به الحال فقد عبده عبادة عبد مقر بأن له خالفاً يصرفه كيف يشاء، وأنه إن امتحنه بالأواء، أو أنعم عليه بالسراء، فهو في ذلك عادل أو متفضل غير ظالم ولا متعد، له الخيرة وبيده الخير، ولا خيرة للعبد عليه^(٥).

وحرف عن الشيء يحرف حرفاً، وانحرف وتحرف واحرورف: عدل^(٦). وإذا مال الإنسان عن شيء يقال له: تحرف وانحرف. وتحريف الكلم عن مواضعه: تغييره^(٧).

والحرف كما يقع على المثال المقطوع من حروف المعجم، يقع على الكلمة الواحدة. ويقع الحرف على الكلمة بأسرها، والخطبة كلها والقصيدة بكمالها. فهم يقولون: قال

(1) : القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٢/١٧.

(2) : الزجاج، معاني القرآن، ٣/٤١٤.

(3) : ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص ٣٦.

(4) : ابن منظور، لسان العرب، ٩/٤٢.

(5) : الأزهري، تهذيب اللغة، ٥/١٢-١٣.

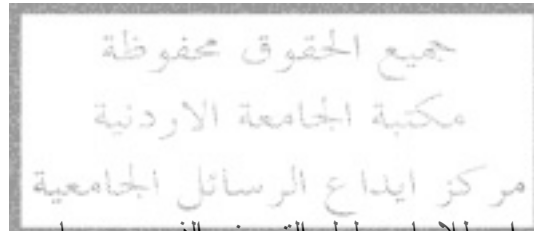
(6) : ابن سيده، المحكم، ٣/٣٠٧.

(7) : الأزهري، مرجع سابق، ٥/١٤.

الشاعر كذا في كلمته ، يعنون في قصيدته . والله عزوجل يقول : (ولقد قالوا كلمة الكفر) {التوبة/٧٤} ، وقال : (وألزمهم كلمة التقوى) {الفتح/٢٦}، (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين أنهم لهم المنصورون و أن جندنا لهم الغالبون) {الصفافات/١٧١} (١).

والحرف يطلق على كل كلمة تقرأ على الوجه من القرآن . تقول هذا في حرف ابن مسعود أي في قراءته (٢).

ويراد به كذلك اللغة ، ومنه قوله عليه السلام : (نزل القرآن على سبعة أحرف ، كلها شاف كاف) (٣) . وذهب الامام الطبري الى أن المراد في الحديث بالحرف اللغة (٤) .



الحرف بالاصطلاح

تعددت تعريف الحرف اصطلاحاً ، ولعل التعريف الذي جمع ما يصلح أن يكون تعريفاً للحرف ما عرفه صاحب الجنى الداني ، إذ عرفه بأنه :
(كلمة تدل على معنى في غيرها ، فقط) (٥)

فبكلمة يخرج بها بعض الحروف التي تدل على معنى في الفعل أو الاسم كهمزتي النقل والوصل ، وياء التصغير ، التي يرى أنها ليست كلمات .

وبفقط : يخرج الأسماء التي تدل على معنيين ، معنى في نفسه ، و معنى في غيره كأسماء الاستفهام ، والشرط . (٦)

(١) : ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص ٣٥.

(٢) : ابن منظور، لسان العرب، ٤١/٩

(٣) : الحديث أخرجه النسائي في سننه، كتاب فضائل القرآن، على كم نزل القرآن، برقم (٧٩١٦). وكذا في الموطأ، لمالك بن أنس، كتاب الصلاة، حديث رقم (٤٧٣). أما الرواية التي في صحيح البخاري فهي (إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فافروا ما تيسر منه)، ابن حجر، فتح الباري، ٣٥٦/٥. رقم الحديث (٢٤١٩)

(٤) : الطبري، مقدمة تفسيره، ٥٧/١

(٥) : المرادي، الجنى الداني، ص ٢٠

(٦) : المرجع السابق، ص ٢١

والظاهر بعد كل هذا:

أن الحرف سمي حرفاً لأنه طرف في الكلام، وأما قوله تعالى: (ومن الناس من يعبد الله على حرف) فهو راجع إلى هذا المعنى؛ لأن الشاك كأنه على طرف من الاعتقاد وناحية منه.

ولفظ الحروف يطلق على الحروف التسعة والعشرين التي هم أصل تراكيب الكلام، ويطلق على ما يوصل معاني الأفعال إلى الأسماء، وعلى ما يدل بنفسه على معنى في غيره^(١)، على ما فسر به الحرف وحد به.

ويسمى الأول (حرف التهجي) أي التعدد من هجي الحروف إذا عددها. والثاني: حرف المعاني، لما ذكر من إيصالها معاني الأفعال إلى الأسماء، أو دلالتها على معنى. فإن الباء في قولك (مررت بزيد) حرف معنى لدلالتها على الإصاق بخلاف الباء في (بكر وبشر) فإنها لا تدل على معنى.

جميع الحقوق محفوظة
وكذا الهمزة في (زيد) حرف معنى بخلافها في أحمد. لاردرنية
وكذا من في قولك (أخذت من زيد) حرف معنى بخلافه في منوال^(٢).

ثم أطلق لفظ الحروف على حروف المعاني بطريق التغليب، لأن بعض هذه الحروف أسماء مثل: كل ومتى، ومن وإذا، وغيرها، لكن لما كان أكثرها حروفاً سمي الجمع بهذا الاسم^(٣).

(١) : ويؤتى به لمجرد الربط بين اسمين نحو: (زيد في الدار) أو فعلين (ان تضرب اضرب) أو فعل واسم نحو (مررت بزيد) أو جملتين نحو (ان جاء زيد اكرمته).

(٢): محمود سعد، حروف المعاني بين دقائق النحو ولطائف الفقه، ص ١١-١٢.

(٣) : البرزوي، كشف الأسرار، ١٠٩/٢. النسفي، كشف الأسرار، ١٨٩/١.

المبحث الثاني: حدة حروف المعاني

إن الناظر في الكتب التي تحدثت عن حروف المعاني، سواء أكانت تلك التي أفردتها في التصنيف أم كان الحديث عنها من ضمن موضوعات الكتاب، نلاحظ عدم اتفاق الباحثين على عدد معين ومحدد لهذه الحروف. مثلا:

- عدد الحروف والأدوات في كتاب (معاني الحروف) للرماني نحو ثمان وستين أداة فقط.
 - عددها في كتاب (الأزھية) للهروي إحدى وأربعون أداة فقط.
 - عددها في (رصف المباني) للمالقي خمس وتسعون أداة.
 - عددها في كتاب (الجنى الداني) للمرادي خمس ومائة أداة.
 - عددها في كتاب (مغني اللبيب) لابن هشام تسع وتسعون أداة.
 - عددها في كتاب (الصاحبى) لابن فارس أداتان ومائة فقط.
 - عددها في كتاب (فقه اللغة وسر العربية) للثعالبي لم يتجاوز ثمانين وثلاثين أداة.
 - عددها في كتاب (الإتقان) للسيوطي نحو اثنتي عشرة ومائة أداة.
 - عددها في كتاب (حروف المعاني) للزجاجي، بلغ سبعا وثلاثين ومائة أداة.
- إضافة إلى القسم الأخير الذي خصصه لتناوب حروف الجر ووقوع بعضها مكان بعض.^(١)

من هذه الأمثلة يرى الاختلاف الحاصل في عدد حروف المعاني، فأقلها كان إحدى وأربعين أداة وهو في كتاب الأزھية للهروي. وأكثرها كان سبعا وثلاثين ومائة أداة وهو في كتاب (حروف المعاني) للزجاجي.

(١) : الزجاجي، حروف المعاني، ص ٤٣. من عمل المحقق.

المبحث الثالث: أقسام حروف المعاني

تقسم حروف المعاني الى قسمين:

أولاً- من حيث الإفراد والتركيب.

ثانياً- عاملة وغير عاملة.

أولاً- من حيث الإفراد والتركيب

الحروف المفردة: الألف، الهمزة، الباء، التاء، الكاف، اللام، الميم، النون، الفاء، السين، الهاء، الواو، الياء.

الحروف المركبة: أجل، إذا، إذ، إذن، أل، ألا، لا، إلی، إلا، أم، أمّا، إمّا، إن، أن، إنَّ، أنّ، أنا، أنت، أنتم، أنتن، أو، أي، أيّا، أصبح، أمسى، بجل، بل، بلى، ثم، جل، جبر، حتى، حاشي، خلا، ذا، رب، كأن، كلا، كما، كي، لا، لكن، لكنّ، لم، لمّا، لن، لو، لوما، لولا، لبيت، ليس، ما، مذ، من، منذ، مع، نحن، نعم، عدا، علّ، على، عن، غنّ، في، قد، سوف، ها، هل، هلا، هيا، هو، هي، هما، هم، هن، وا، وّي، يا.

ثانياً- الحروف العاملة وغير العاملة

تقسم الحروف إلى أقسام ثلاثة:

الأول: قسم عامل لا غير.

الثاني: قسم غير عامل لا غير.

الثالث: قسم جائز أن يكون عاملاً وغير عامل.

الأول: قسم عامل لا غير

من المفردات: حرف وهو الباء.

من المركبات: اثنان وعشرون حرفاً وهي: إذ- بشرط أن يكون معها ما، إلی، حاشي، خلا، رب، كأن، كي، لكنّ، لم، لن، لبيت، منذ، مذ، من، منّ، مع، عدا، عن، على، علّ، غنّ، في.

الثاني - غير عامل لا غير

- من المفردات ثمانية أحرف وهي: الألف، الهمزة، الميم، النون، الفاء، السين، الهاء، الياء.
- من المركبات، سبعة وأربعون حرفا هي: أجل، إذا، أل، ألا، إلا، أم، أما، إمّا، إماء، أنا، أنت، أنتما، أنتم، أنتن، أو، أي، إي، أيا، بجل، بل، بلى، ثمّ، جلل، جير، ذا، كلاً، لكن، لو، لوما، نحن، نعم، قد، سوف، ها، هيا، هل، هلاً، هو، هي، هما، هم، هن، وا، وَاي، يا.
- وإن كانت أنا، أنت، أنتما، أنتم، أنتن، تعد من الضمائر المنفصلة وليست حروف.

الثالث - الذي يجوز أن يكون عاملا وغير عامل

- من المفردات، أربعة حروف هي: التاء، الكاف، اللام، الواو.
 - من المركبات اثنا عشر حرفا هي: إذن، إن، أن، أن، إن، لن، حتى، كما، لمّا، لولا، ليس، ما، لا.
- مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية
- وتنقسم العاملة من هذه الحروف، من جهة عملها، أربعة أقسام:

- أولاً - قسم عامل رفعا ونصبا في الأسماء.
- ثانياً - قسم عامل جر فيها .
- ثالثاً - قسم عامل نصبا في الأفعال.
- رابعاً - قسم عامل جزما فيها

- فالعامل رفعا ونصبا في الأسماء نوعان، كلاهما مركب: نوع يرفع الاسم وينصب الخبر، وذلك ثلاثة أحرف وهي: ما، ليس، لا عند بعضهم. مع العلم بأن (ليس) ليست محضية في الحرفية، ولا محضية في الفعلية. وأن هناك خلافا حصل بين سيبويه وأبي علي الفارسي، فزعم سيبويه أنها فعل وزعم أبو علي أنها حرف^(١). والخلاف حاصل من الحد الذي وضع لها.

(١) : انظر: سيبويه، الكتاب، ٢٣٥/١

نوع ينصب الاسم، ويرفع الخبر، وذلك تسعة أحرف وهي: إن، أن، أن، إن، كإن، لكن، ليت، لعل، غن^(١).

- والعامل جرًا فيها من المفردات خمسة أحرف: الباء، التاء، الواو، الكاف، اللام.

ومن المركبات سبعة عشر حرفا: إلى، حاشى، حتى، خلا، رب، مذ، من، من، مع، كي، لولا، عل، عدا، عن، على، في.

- والعامل نصبا في الأفعال خمسة أحرف مركبات وهي: أن، لن، إذن، كيما، كي.

- والعامل فيها جزما من المفردات حرف واحد وهو: اللام. ومن المركبات أربعة

أحرف وهي: لم، لَمَّا، إن، إذ مقرونة ب(ما). ^(٢) فلوطة

مكتبة الجامعة الاردنية

مركز ايداع الرسائل الجامعية

(1) : الملقى، رصف المباني، ص ٩٩-١٠١

(2) : المرجع السابق، ص ١٠١

المبحث الرابع: معاني هذه الحروف

إن لهذه الحروف اصطلاحات تسمى بها من جهة معانيها في الكلام، وهي كثيرة:

- منها نوع يسمى حروف الكف وهي: الألف و(ما) في بعض مواضعها.
- ونوع يسمى حروف الإشباع وهي: الألف والواو والياء، وتسمى حروف العلة، وتسمى حروف الزيادة، وتسمى مع الهاء حروف الوقف، وتسمى معها حروف الاطلاق في القوافي وتسمى حروف التنثية والجمع دون الهاء.
- ونوع يسمى حروف الاستفهام وهي: الهمزة، وأم المنفصلة، وهل.
- ونوع يسمى حروف المضارعة وهي: الهمزة والتاء والنون والياء.
- ونوع يسمى حروف التأنيث وهي: الألف والهمزة والتاء.
- ونوع يسمى حروف الندبة والوصل والفصل وهو: الألف^(١).
- ونوع يسمى حروف التعدي وهي: الهمزة والياء.
- ونوع يسمى حروف تقرير وحرف توبيخ وحرف نقل وهو: الهمزة.
- ونوع يسمى حروف تنبيه وهي: الهمزة وأي ويا وهيا وأيأ وألا ووا ووي. ويسمى ما عدا(ها) و(ألا) و(وي) حروف النداء.
- ونوع يسمى حروف شرط وجزاء وهي: إن وإذ مقرونة ب(ما)، وإن ولا يفارق الجواب إذن.
- ونوع يسمى حروف جواب وهي: إذن وأجل وبجل وجلل وجير وبلى ونعم، وإن وإي.
- ونوع يسمى حرف مفاجأة وهو: إذا.
- ونوع يسمى حرف تعريف وهو: أل.
- ونوع يسمى حرف غاية وهو: إلى وحتى.
- ونوع يسمى حرف استفتاح ويلزمه التنبيه وهو: ألا.
- ونوع يسمى حروف استثناء وهي: إلا، حاشى، وخلا، وعدا.
- ونوع يسمى حرف عرض وهو: ألا وأما.
- ونوع يسمى حروف تحضيض وهي: ألا ولوما ولولا وهلا.
- ونوع يسمى حروف تفصيل وهي: أمّا وإمّا وأو.

(١) : المالقي، رصف المباني، ص ١٠١

- ونوع يسمى حروف توكيد وهي: أنّ وإنّ مشددتين ومخففتين، والباء وما ولا الزوائد في النفي واللام والنون مشددة ومخففة.
- ونوع يسمى حروف العطف وهي: الواو والفاء وثمّ وحتى وبل ولا ولكن وأو وأم وإمّا.
- ونوع يسمى حروف قسم وهي: الباء والواو والتاء واللام ومن بضم الميم وكسرها.
- ونوع يسمى حروف تمام وهي: النون والتنوين.
- ونوع يسمى حروف ابتداء وهي: إنّ وأنّ وكأنّ ولكنّ وليت ولعل، إذا دخلت على كل واحد منها (ما)، وإن خفيفة، ولكن مثلها، وهل وحتى ولولا إذا ولي جميعها المبتدأ والخبر.
- ونوع يسمى حروف نفي وهي: لم ولمّا ولن وليس وما ولا في أحد معانيها.
- ونوع يسمى حروف تقليل وهو: ربّ وقد.
- ونوع يسمى حروف سبب وهي: الباء واللام وكي.
- ونوع يسمى حروف الجواب وهي: الواو والفاء وإنّ.
- ونوع يسمى حروف نصب الفعل مجازاً - والناصب (أنّ) المضمرة بعدها، وهي: الفاء والواو وأو وحتى ولام كي ولا الجحود وكي في أحد قسميها^(١).
- ونوع يسمى حروف إخبار وهي: قد وهل بمعناها، وقد تسمى حرف تحقيق وتوقع.
- ونوع يسمى حرف تعظيم وهو: الميم.
- ونوع يسمى حرف زجر وردع وهو: كلاً.
- ونوع يسمى حرف خطاب وهو: الكاف، والتاء في أنت وأخواته.
- ونوع يسمى حرف تشبيه وهو: الكاف وكأنّ.
- ونوع يسمى مصدرية وهو: أن وأنّ وما وكي.
- ونوع يسمى حرف عبارة وتفسير وهو: أيّا مع المضمّر.
- ونوع يسمى حرف اضراب وهو: بلى وبل.
- ونوع يسمى حرف شك وإبهام وتخيير وإياحة وهو: أو وإمّا.
- ونوع يسمى عمادا وفصلا وهو: أنا وأنت وأنتما وأنتم وأنتن ونحن وهو وهي وهما وهم وهنّ.

(١) : المالقي، رصف المباني، ص ١٠٢

- ونوع يسمى حرف تنفيس وهو: السين وسوف.
- ونوع يسمى حرف استدراك وهو: لكن ولكنّ.
- ونوع يسمى حرف وجوب لوجوب وبالعكس، وحرف امتناع لا امتناع وبالعكس وهي: لو ولولا ولما.
- ونوع يسمى حرف تمنّ وهو: ليت.
- ونوع يسمى حرف ترج: علّ وغلّ بمعناها ويسيمان حرفي توقع.
- ونوع يسمى حرف ابتداء غاية في الزمان وهو: مذ ومنذ.
- ونوع يسمى حرف ابتداء غاية في المكان وهو: من، وتسمى مع الباء حرفي تبعيض.
- ونوع يسمى حرف مصاحبة وهو: مع.
- ونوع يسمى حرف مزاولة وهو: عن.
- ونوع يسمى حرف وعاء وهو: في، محفوظة
- ونوع يسمى حرف استعلاء وهو على^(١). الاردنية

كانت هذه مصطلحات تسمى بها الحروف من جهة معانيها، فالملاحظ أنّ هذه المعاني تعطي الدور الذي يؤديه الحرف من تأثيره على الجملة من ناحية المعنى. والسياق هو الذي يضيف على هذا الحرف القيمة الكبيرة التي يحتلها في تأثيره في الجملة سواء أكان من الناحية الاعرابية أم المعنى.

(١) : المالقي، رصف المباني، ص ١٠٣

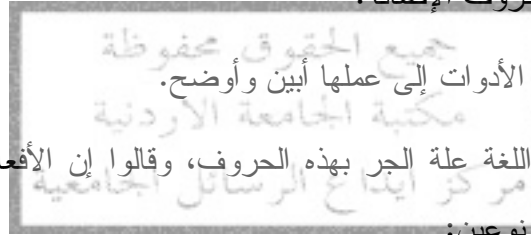
جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

تمهيد: تسميتهما حروف الجر⁽¹⁾ وعلّة الجرّ بما

سميت حروف الجرّ بذلك لأنها تجرّ فعلاً إلى اسم، كقولك: نظرت إلى زيد، أو اسماً إلى اسم كقولك: المال لزيد.

وسميت حروف الجرّ بحروف الإضافة؛ لأنها وضعت لتقضي بمعاني الأفعال إلى الأسماء⁽²⁾.

وخالصة القول: أن من سماها بأثرها الذي تحدثه فيما دخلت عليه وهو الجرّ سماها حروف الجرّ، ومن نظر إليها من جهة معناها وهو أنها تضيف الاسم إلى ما قبله أو ما بعده سماها حروف الإضافة.



والأول أظهر لأن نسبة الأدوات إلى عملها أبين وأوضح. وقد ذكر علماء اللغة علة الجرّ بهذه الحروف، وقالوا إن الأفعال الواقعة قبل الأسماء في الكلام على نوعين:

الأول: أفعال قوية تقضي بعد الفاعل إلى المفعول فتتصبه من غير احتياج إلى حروف الإضافة.

الثاني: أفعال ضعفت عن مجاوزة الفاعل إلى المفعول في العرف والاستعمال، فاحتاجت إلى أشياء تعينها على الوصول إلى المفعول وذلك كقولك: مررت زيدا، عجبت عمراً، ذهبت محمداً.

ولما ضعفت تلك الأفعال عن الوصول إلى المفعول احتيج إلى حروف الإضافة لتصل الفعل بالمفعول، فنقول: مررت بزيد، عجبت من عمر، ذهبت إلى محمد

(1) : كلمة (الجر) اصطلاح البصريين، ويقابلها (الخفض) عند الكوفيين.

(2) : علاء الدين عبدالعزيز البخاري، كشف الأسرار، ١٦٧/٢.

وأصبح كل حرف يختص بأفعال معينة يعينها على الوصول إلى المفعول. وقد تتوب بعض هذه الحروف مكان بعض^(١).

هذا على قول من قال بوجود التناوب في هذه الحروف، وإن كنت لا أرى صحة هذا القول ولست معه، وسيكون هناك وقفة للحديث عن التناوب في الفصل القادم -إن شاء الله-.

وكذلك إن كل حرف يختص بفعل معين: هذا لا ينطبق على جميع الأفعال، فالفعل الواحد يتعدى بأكثر من حرف من هذه الحروف وذلك حسب ما يقتضيه المعنى والسياق، وهذا كله يعود لدلالات الألفاظ.

وقد عدل العرب عن نصب المفعول بالفعل الذي لا يقوى على مجاوزة الفاعل إليه، كما نصبوا المفعول بالفعل الذي يقوى على مجاوزة الفاعل إلى مفعوله من غير واسطة ليميزوا بين كلا الفعلين، وبذلك لم يبق في حق المفعول الذي دخل عليه حرف الإضافة إلا الجر أو الرفع. إلا أن الجر مرجح على الرفع لسببين:

الأول: أن الفاعل استولى على الرفع فأصبح من اختصاصه، فكان جعل حرف الإضافة للجر أولى.

الثاني: لما كانت الفتحة من الألف، والكسرة من الياء، والضمة من الواو، وكانت الياء أقرب إلى الألف من الواو ولذا كان الجر أولى من الرفع^(٢).

بهذا يتضح سبب تسميتها حروف الجر، وعلة الجر بها.

(١) : ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص ٥٦٧-٥٧٨. ابن جنبي، الخصائص: ٣٠٦/٢-٣١٥. الهروي،

الأزهرية ص ٢٧٧ وما بعدها. أبو الخطاب الحنبلي، التمهيد، ١٩٧/١-٢٠٠.

(٢) : ابن جنبي، سر صناعة الإعراب، ١٣٩/١-١٤١.

المطلب الأول: (إلى) وأثرها في التفسير

(إلى) حرف يجر ما بعده من الأسماء على كل حال ولها في الكلام معانٍ ذكرها علماء اللغة والنحو:

الأول: تفيد انتهاء الغاية زماناً أو مكاناً، ولم يذكر لها سيبويه والمبرد غير هذا المعنى ففي الكتاب: وأما (إلى) فمنتهى لابتداء الغاية^(١).

وفي المقتضب: وأما (إلى) فإنما هي للمنتهى، ألا ترى أنك تقول: ذهبت إلى زيد، وسرت إلى عبد الله، ووكلتك إلى الله^(٢).

وتفيد انتهاء الغاية إما الحسية نحو: سرت إلى بغداد، أو الحكمية نحو: ميل قلبي إليك^(٣).

فإن كان المعنى الذي تفيدته إلى هو انتهاء الغاية، فهل يدخل ما بعدها فيما قبلها أو لا يدخل؟

اختلف النحويون في ذلك:

- فذهب بعضهم إلى أنه يدخل، واستدلوا بقضايا العرف، فإذا قال القائل: اشتريت الشقة إلى طرفها، فالطرف داخل في المشتري؛ لأن العرف يقضي أباً تشتري شقة إلا إلى آخرها، إلا إذا قيل بالبعض منها.
- وذهب بعضهم إلى أن ما بعدها لا يدخل في ما قبلها، واستدلوا بأن القائل: اشتريت الموضع من الوادي إلى الوادي، يريد أن الوادي لا يدخل في الشراء.

(١) : سيبويه، الكتاب، ٣١٠/٢.

(٢) : المبرد، المقتضب، ١٣٩/٤.

(٣) : بدر الدين الإربلي، جواهر الأدب، ص ٢٠٢.

- وذهب بعضهم إلى أنه إن كان الثاني من جنس الأول دخل فيما قبله كاشتريت الغنم إلى آخرها، وإن لم يكن من جنس الأول لم يدخل فيما قبله، كقوله تعالى: (ثم أتموا الصيام إلى الليل) [البقرة/١٨٧].

- وذهب بعض المتأخرين إلى أنه لا يدخل ما بعدها في ما قبلها إلا بقرينة من عرف أو عادة، وإلا فلا. فإذا قلت: ضربت القوم إلى زيد، فإن زيدا لا يدخل في الضرب مع القوم. وإذا قلت: اشتريت الشقة إلى طرفها، دخل الطرف في الشراء؛ لأن العرف والعادة يقضيان بذلك، ومن عرف الشرع يُحمل قوله تعالى: (ثم أتموا الصيام إلى الليل)؛ لأن الصوم الشرعي إنما يكون إلى غروب الشمس خاصة، يتبين ذلك من قواعده^(١).

وجملة القول أن (إلى) الأصل فيها أن تكون لانتهاء الغاية في الزمان والمكان، والغاية إذا وجدت من عرف أو قرينة أو عادة لدخولها أو خروجها عمل بها، وإلا فلا. وهذا هو الذي يسهل فهم المعنى المراد من (إلى). الجامعة

ومن الأمثلة على هذا:

- قوله تعالى: (ثم أتموا الصيام إلى الليل) [البقرة/١٨٧]

أمر يفيد الوجوب، وأفادت (إلى) انتهاء الغاية زماناً، فأفادت أن للصوم غاية ينتهي عندها هي الليل، فعند إقبال الليل من المشرق وإدبار النهار من المغرب يفطر الصائم ويحل له الأكل والشرب وغيرهما^(٢). فنهاية الصوم يكون إلى غروب الشمس خاصة، ولا يعني دخول الليل بعد غروب الشمس، فلا صيام بعد المغرب ولا يمتد إلى ما بعده كما ثبت في الشرع. فشرط تعالى تمام الصوم حتى يتبين الليل كما جوز الأكل حتى يتبين النهار^(٣). وفي قوله (إلى الليل) ما يقتضي النهي عن الوصال، إذ الليل

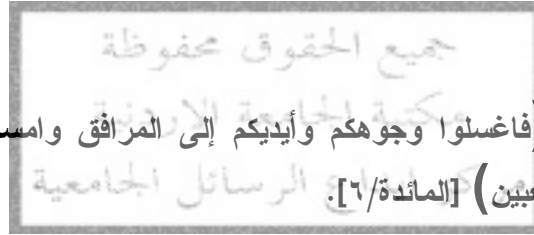
(١) : المالقي، رصف المباني، ص ١٦٧.

(٢) : الشوكاني، فتح القدير، ١/٢٣٣.

(٣) : القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢/٣٢٧.

غاية الصيام وقالته عائشة رضي الله عنها. وهذا موضع اختلف فيه. وظاهر القرآن والسنة يقتضي المنع، قال عليه السلام: (إذا غابت الشمس من هاهنا وجاء الليل من هاهنا فقد أفطر الصائم)^(١). وقال: (إياكم والوصال إياكم والوصال)^(٢) تأكيداً في المنع منه. وكره جمهور العلماء الوصال لما ذكر ولما فيه من إنهاك الأبدان، وحرمه بعضهم لما فيه من مخالفة الظاهر والتشبه بأهل الكتاب، لقوله عليه السلام: (إن فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر)^(٣). فترك الوصال أولى لما ذكر، والليل ليس بزمان للصوم الشرعي^(٤).

وفيها دلالة على التعجيل بالفطر، وعدم تأخيره إلى ما بعد الغروب، كما ثبت بالسنة الصحيحة.



- وقوله تعالى: (فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ) [المائدة/٦].

(إلى) في هذه الآية تفيد الغاية مطلقاً، ودخول ما بعدها فيما قبلها كما ذكرت سابقاً، يدور مع الدليل، وقوله (إلى المرافق) و(إلى الكعبين) اختلف في دخولهما في التحديد، فقال قوم تعم لأن ما بعد (إلى) إذا كان من نوع ما قبلها دخل فيه، وقد ذكرت أقوال العلماء من قبل. وقيل لا يدخل المرفقان في الغسل. والأول عليه أكثر العلماء لما روي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان إذا توضأ أدار الماء على مرفقيه^(٥).

(١): الحديث أخرجه مسلم من حديث عبدالله بن أبي أوفى في كتاب الصيام، باب بيان وقت انقضاء الصوم وخروج النهار، برقم (١١٠١). انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، م٤، ٧/١٧٣.

(٢): الحديث أخرجه البخاري، انظر: فتح الباري، كتاب الصوم، باب التتكيل لمن أكثر الوصال، برقم (١٩٦٦)، ٤/٧٢٢.

(٣): الحديث أخرجه مسلم، كتاب الصيام، باب فضل السحور، برقم (١٠٩٦). انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، م٤، ٧/١٧١. وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في توكيد السحور، رقمه (٥١٥١).

(٤): انظر: القرطبي، الجامع، ٢/٢٢٩-٢٣٠.

(٥): المرجع السابق، ٦/٨٦.

وأخذ زفر وداود بالمتيقن فلم يدخلهاها^(١).

فكافة العلماء أخذوا بالاحتياط وأدخلوهما في الغسل، فكل استدل بما رآه من

الأدلة وما أفادته دلالة الحرف في معنى الآية.

- وقوله تعالى: (إلى ربها ناظرة) [القيامة/٢٣]

جاءت (إلى) دالة ومثبتة النظر إلى الله عز وجل يوم القيامة، فغاية نظرهم وانتهائه إلى الله تعالى. فإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية، وتعديته إلى الصريحة في نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينة تدل على خلافه حقيقة موضوعة صريحة في أن الله أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى الرب جل جلاله^(٢). هكذا قال جمهور أهل العلم، وتواترت به الأحاديث الصحيحة من أن العباد ينظرون إلى ربهم كما ينظرون إلى القمر ليلة البدر^(٣). وقال ابن كثير: وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف الأمة، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام^(٤).

فانتهاء النظر إلى الله عز وجل، ثبت بالسنة الصحيحة، وإن أنكرته بعض الفرق كالجهمية والمعتزلة ولكن لا ينظر إلى قولهم لثبوت هذا الأمر. وفيه تكريم من الله وامتنان على عباده الصالحين برؤية وجهه الكريم يوم القيامة.

(١): انظر: الكشاف، ٥٩٨/١.

(٢): الطحاوي، العقيدة الطحاوية، ص ١٨٩. للتوسع انظر نفس المرجع، ص ١٨٨-٢٠١.

(٣): أخرج الأحاديث البخاري في صحيحه، انظر: ابن حجر، فتح الباري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى:

(وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة)، رقم: ٧٤٣٤-٧٤٣٩. ٣٨١-٣٧٩/١٥.

(٤): ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤/٥١.

- وقوله تعالى: (وهزّي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً) [مريم/٢٥]

جاء قوله (إليك) إرشاداً منه تعالى بأن تجعل انتهاء الهز إليها، لتعتمد على الجذع وتستند إليه أثناء هزه، فيتساقط الرطب قريباً منها.

وكما طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة^(١)، فهي كذلك تطلبه لتعتمد عليه في جلب طعامها رحمة من الله بها، ولم يغنها الله عن ذلك بإسقاطه عليها، ليعلم عباده كيف يأخذون بالأسباب، ولا يركنون إلى التوكل والاستسلام^(٢).

الثاني - إلى بمعنى (إلى)

ذكر المالقي أن ذلك موقوف على السماع لقلته^(٣). وذكر ابن الشجري في أماليه^(٤) أن (إلى) تكون بمعنى في وبمعنى مع والباء، وقد أول ذلك الرضي ولم يقبله^(٥).

وذكر ابن مالك أن إلى تأتي بمعنى في، وقال ابن هشام: يمكن أن يكون منه^(٦)

قوله تعالى: (ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه) [النساء/٨٧].

وذهب أبو حيان أن (إلى) على بابها معناها الغاية، ويكون الجمع في القبور، أو يضمّن معنى (ليجمعنكم) ليحشرنكم فيعدى بإلى^(٧)، وهذا على مذهب من قال بالتضمين.

(١) : الزمخشري، الكشاف، ٥٠٦/٢.

(٢) : انظر: الخضري، من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، ص ٢٦٥-٢٦٦.

(٣) : المالقي، رصف المباني، ص ١٦٩.

(٤) : أمالي ابن الشجري، ٢٦٨/٢.

(٥) : شرح الرضي على الكافية، ٣٠١/٢.

(٦) : عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن، القسم الأول، ٣٧٩/١.

(٧) : أبو حيان، البحر المحيط، ٣١٢/٣.

ولكن إلى على معناها من انتهاء الغاية، فمنتهى الجمع يكون في يوم القيامة، إذ يحشر الناس جميعاً ويجمعون للحساب كما هو ثابت ومعلوم، ولا حشر غيره.

- وقوله تعالى: **(اذهب إلى فرعون إنه طغى * فقل هل لك إلى أن تزكى * وأهديك إلى ربك فتحشى)** [النازعات/ ١٧-١٩].

(إلى) في قوله (إلى أن تزكى) دارت بين ثلاثة آراء: أحدها أنها بمعنى (في)^(١).

والثاني: أن (هل لك) بمعنى أدعوك. قال صاحب اللسان: (وأنت إنما تقول هل لك في كذا، لكنه لما كان هذا دعاء منه عليه السلام صار تقديره: أدعوك وأرشدك إلى أن تزكى)^(٢).

والثالث: تقدير مبتدأ محذوف يتعدى بالي. ذكره أبو حيان: وتقول العرب: هل لك في كذا، أو هل لك إلى كذا، فيحذفون القيد الذي تتعلق به (إلى) أي هل لك رغبة أو حاجة إلى كذا^(٣).

ولعل الملائم هو ما قاله أبو حيان من تقدير محذوف هو (رغبة). فتفيد التلطف وعدم الفظاظ في عرض الدعوة على الناس.

وخص (إلى) في هذه الآية، وإيثاره على غيره، ما يدل عليه من توجيه العمل إلى الله، متجهاً نحوه، قاصداً نحوه، لا يأبه بغيره.

وهذا الذي يقصد إليه النظم، دالاً على طلب موسى عليه السلام من فرعون التوجه إلى الله وترك الكفر، حتى يصل إلى الله تعالى بإسلامه وأعماله^(٤).

(1) : السيوطي، الاتقان: ١/١٥٣.

(2) : ابن منظور، لسان العرب: ١/١٢٠.

(3) : أبو حيان، البحر المحيط: ٨/٤٢١.

(4) : انظر: الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ٢٨٧-٢٨٨.

- وقوله تعالى: **(يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق) [الأحزاب/٥٣].**

قال في القاموس المحيط: (وأذن له في الشيء كسمع إذنا بالكسر وأذينا: أباحه له، واستأذنه طلب منه الإذن، وأذن إليه وله كفرح: استمع)^(١).

فالآية من حقها أن تعدى (بفي) بدلاً من (إلى)، لأن فيها معنى السماح والإباحة. ولكن لماذا عدت بالي؟

ذهب العز بن عبد السلام إلى تضمين الفعل يؤذن إلا أن تدعوا إلى طعام غير ناظرين إناه^(٢).

ولعل التفسير الذي يلائم معنى الآية وسياقها وأسباب نزولها^(٣)، أن العدول عن حرف الظرفية إلى حرف الانتهاء قصد به توجيه أنظار المسلمين حين يدعون إلى مائدة الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينصرفوا إلى ما دعوا إليه، ولا يلبون على شيء، ولا يتجهون بأبصارهم إلى غيره، تأدباً بأداب الإسلام^(٤).

وعدم الإثقال على المضيف، والانصراف بعد الانتهاء من الطعام.

الثالث: إلى بمعنى (مع)

هو قول الكوفيين، وذلك إذا ضمنت شيئاً إلى آخر، وبه قال مجموعة من البصريين، في قوله تعالى: **(من أنصاري إلى الله) [آل عمران/٥٢، الصف/١٤]**

(١): الفيروز آبادي، القاموس المحيط (ترتيب القاموس)، ١/١٢٧.

(٢): العز بن عبد السلام، الإشارة إلى الإيجاز، ص ٥٧.

(٣): انظر: الواحدي، الوجيز في تفسير القرآن العزيز: ١٨٧/٢. محمد نوي الحاوي، التفسير

المنير لمعالم التنزيل ١٨٧/٢٠-١٨٨. الواحدي، أسباب النزول، ٢٤٣.

(٤): الخضري، مرجع سابق، ص ٢٨٩.

وهو قول لبعض المفسرين، أن معنى (إلى الله) أي مع الله، ليس أن (إلى) في اللغة بمعنى (مع)، ألا تراك لا تقول: سرت إلى زيد وأنت تريد: سرت مع زيد هذا لا يعرف في كلامهم.

وإنما جاز هذا التفسير في هذا الموضوع؛ لأن النبي إذا كان له أنصار فقد انضموا في نصرته إلى الله، فكأنه قال: من أنصاري منضمين إلى الله، كما تقول: زيدٌ إلى خير وإلى دعة وستر، أي أو إلى هذه الأشياء ومنضم إليها. فإذا انضم إلى الله فهو معه لا محالة. فعلى هذا فسر المفسرون هذا الموضع^(١).

والذي يرد على هذا التفسير الذي يذهب معنى (إلى) ما قاله الزمخشري: (فإن قلت: ما معنى قوله: من أنصاري إلى الله؟ قلت: يجب أن يكون معناه مطابقاً لجواب الحواريين (نحن أنصار الله)، والذي يطابقه أن يكون المعنى من جندي متوجهاً إلى نصرته الله وإضافة أنصاري خلاف إضافة أنصار الله، فإن معنى: نحن أنصار الله: نحن الذين ينصرون الله، ومعنى من أنصاري: من الأنصار الذين يختصون بي ويكونون معي في نصرته الله، ولا يصح أن يكون معناه من ينصروني مع الله، لأنه لا يطابقه الجواب، والدليل عليه قراءة من قرأ: من أنصار الله)^(٢).

فبهذا يظهر الفرق في المعنى، وتتضح الصورة بدلالة إلى أن ينصروا الله تعالى، ونصرته تكون بنصرة دينه، ومن نصره الله فلا غالب له، فلا يقال من ينصروني مع الله أو مضافاً لله، فمن كان الله ناصرهم ومعينهم فقد كفاهم.

- وقوله تعالى: (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم) [النساء/٢]

قيل: المعنى: مع أموالكم. وقيل: إلى في موضع الحال، أي مضمومة إلى أموالكم. وقيل: يتعلق بتأكلوا على التضمين^(٣).

(١): ابن جني، الخصائص، ٢٦٣/٣.

(٢): الزمخشري، الكشاف، ١٠١/٤.

(٣): أبو حيان، البحر المحيط، ١٦٠/٣.

وذكر ابن يعيش أن كونها بمعنى المصاحبة راجع إلى الانتهاء^(١).

والذي يليق بكلام الله تعالى أن تكون بمعنى الانتهاء، أي تضيفونها إلى أموالكم، ولننظر كيف عبر القرآن عن صورة هذا الفعل بالأكل، من غير مبالاة بحقوق هذا اليتيم.

فهذه الآية جاءت عند الحديث عن اليتامى وأحوالهم، والنهي عن أكل أموالهم. فإذا كانت صورة الوصي قبيحة حين ينفق مال اليتيم مع إنفاقه ماله، فإنها أقبح وأفظع حين يستولي عليها ينتهي بها إلى ماله^(٢).

فأعطت (إلى) الصورة البشعة للأوصياء الذين يغتصبون مال اليتيم المؤمن عليه، ونهيبهم أن يكونوا بمثل هذه الصورة، بل عليهم أن يحافظوا على أموال اليتامى كما يحافظون على أموالهم.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- وقوله تعالى على لسان هود عليه السلام: (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم) [هود / ٥٢].

قيل: إلى بمعنى (مع)^(٣). وفسرت على أن (إلى) تتعلق بمحذوف صفة^(٤).

والذي يعطي الآية والحرف حقه، هو تعلقها بمحذوف صفة، أي: يزدكم قوة مضافة إلى قوتكم^(٥).

فمعنى الآية: يزدكم قوة تنتهي وتتضم وتضاف إليها، فتزد قوتهم بفضل الله وكرمه عليهم، إن هم قاموا بالتوبة إلى الله.

(1): ابن يعيش، شرح المفصل، ١٤/٨-١٥. وانظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص ٤٢٨.

(2): انظر: الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ٢٨٢.

(3): أبو حيان، البحر: ٤٣٥/٣.

(4): العكبري، إملأ ما من به الرحمن، ٢٢/٢.

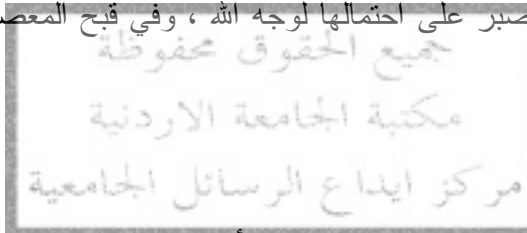
(5): الشوكاني، فتح القدير، ٦٤٣/٢.

الرابع: التبيين

وهي أن تكون مبنية بفاعلية مجرورها، بعد ما يفيد حباً أو بغضاً من فعل تعجب أو اسم تفضيل^(١).

- كقوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: **(قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه) [يوسف/٣٣]**.

فإلى بيئت أن السجن منتهى حب يوسف عليه السلام، على إجابة دعوة النساء له. وفيها القطع الجازم بما يأتي قبلها من حب أو بغض. فكان السجن أحب إليه وآثر عنده نظراً في حسن الصبر على احتمالها لوجه الله، وفي قبح المعصية، وفي عاقبة كل واحدة منهما^(٢).



- ونفس المعنى في قوله تعالى على لسان أخوة يوسف عليه السلام: **(إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا) [يوسف/٨]**.

إذ بيئت الآية مدى غضب أخوة يوسف من أبيهم؛ لربه يوسف وأخاه أكثر منهم وأن حبه لهما قد بلغ منتهاه، فهو حب لا يعلى عليه حب غيرهم.

الخامس: إلى و(اللام)

تأتي (إلى) موافقة (اللام)، وهو قول: ابن مالك^(٣)، وأبي حيان^(٤)، ومثله بقوله تعالى: **(والأمر إليك) [النمل/٣٣]**.

(١): محمد بن علي، مصابيح المغاني: ص ٥٠. ابن مالك، التسهيل: ص ١٤٥. السيوطي، الهمع، ٢/٢٠.

(٢): الزمخشري، الكشاف، ٢/٤٤٩.

(٣): التسهيل، ص ١٤٥.

(٤): أبو حيان، البحر المحيط، ١/٤٢.

وقيل: لانتهاه الغاية، أي منته إليك^(١)، وهذا هو المعنى الذي يُؤديه (إلى) في الآية. فالقرار يعود إلى سبأ ومنته لها، وليس خاص بها وحدها كما توحيه اللام، لو كان معنى (إلى) (اللام) هنا.

أي أن القرار النهائي صادر عنها ومنته إليها، ولها الاختيار.

- وكذا في قوله تعالى: **(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم أولئك أصحاب الجنة) [هود/٢٣].**

الإخبات يتعدى بالي واللام، فإذا قلت: أخبت فلان إلى فلان فمعناه اطمأن إليه،

وإذا قلت: أخبت له فمعناه خضع وخشع له^(٢).

من هنا يتضح لنا أن أخبت حين يعدى بالي يدل على الاطمئنان، وهو مما يوصل بالي، فمعناه أنه وجد سكنه وراحته. وحين يعدى باللام فإنه يدل على الخضوع والخشوع، وهو مما يوصل باللام.

فمجيء اللام في آية وإلى في آية أخرى، لا يعني بالضرورة أن تكون نائبة عنها وتوافقها، فهذا يعود إلى المعنى ودلالة اللفظ، فهما وحدهما يحددان حاجة الحرف وهل السياق يناسبه إلى أو اللام. وليس أن الحرفين يقومان مقام بعضهما البعض.

- وقوله تعالى: **(إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون* ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم) [الحجرات/ ٤-٥].**

قال الزمخشري: (فإن قلت فأبي فائدة في قوله (إليهم)؟ قلت: فيه أنه لو خرج، ولم

يكن خروجه إليهم ولأجلهم، ألزمهم أن يصبروا إلى أن يعلموا أن خروجه إليهم^(٣)).

(1) ابن هشام، مغني اللبيب: ٧٠/١. المرادي، الجني الداني، ص ٣٨٧.

(2) الجمل، حاشية الجمل على الجلالين، ٣٨٣/٢.

(3) الزمخشري، الكشاف، ٥٥٩/٣.

(فإلى) حثت على التأدب مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والصبر بأن لا يبدؤوه الكلام حتى ينتهي إليهم، أي أنه خرج قاصداً لهم، على عكس اللام التي تعطي معنى صحة أن يبدؤوه الحديث متى علموا خروجه لهم، ولو لم ينته إليهم. وفي (إلى) كمال الأدب، وأبلغ من (اللام) في تعلم آداب الحديث^(١).

السادس: التوكيد

تفيد (إلى) التوكيد عند من قال بزيادتها، فالفراء يجعل (إلى) زائدة التوكيد، في قوله تعالى: **(فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم)** [إبراهيم / ٣٧].

مستدلاً بقراءة^(٢) من قرأ تهوى إليهم، بفتح الواو^(٣)، وهو يتعدى بنفسه، وقيل: عدت بإلى هنا حملاً على تميل^(٤)، وهذا تخريج على مذهب من يقول بالتضمنين.

والقول بالزيادة لا يقول به الجمهور، وإنما قاله الفراء^(٥).
 ملاحظة: الحروف الحركية

والذي أراه أن (إلى) ليست زائدة، وأن الأمر كما قلت سابقاً يعود إلى دلالة اللفظ الذي عدي بهذا الحرف.

وسيكون في الفصل القادم -إن شاء الله- وقفة مع القول بالزيادة في بعض الحروف، وسيكون لهذه الآية وقفة كذلك -إن شاء الله- ليظهر مدى صحة القول بالزيادة لهذه الحروف في القرآن.

(1): الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ٢٧٦.

(2): هي قراءة علي بن أبي طالب وزيد بن علي ومحمد بن علي ومجاهد، انظر: البحر المحيط، ٤٣٣/٥.

(3): عبدالنعيم علي محمد بن عبدالله، الجر علم الأسماء، الجر بالحرف، ٣٨٣/١ . الفراء، معاني القرآن، ٧٨/٢.

(4): انظر: العكبري، إملاء مامن به الرحمن، ٦٩/٢.

(5): انظر: المرادي، الجني الداني، ص ٣٨٩-٣٩٠.

المطلب الثاني: (الباء) وأثرها في التفسير

(الباء) لا تكون في كلام العرب إلا جارة لا غير، تخفض ما بعدها على كل حال^(١). وللباء معان عديدة تؤديها عند دخولها على الاسم، وهي:

الأول: الإلصاق

أصل معاني الباء الإلصاق، إما حقيقة نحو: ألصقت هذا بهذا، وإما مجازاً نحو: مررت بزيد، أي ألصقت مروري بالمكان الذي يقرب من مكانه^(٢).

فالإلصاق يكون حقيقياً إذا كان مفضياً إلى نفس المجرور كأصقت بزيد، فإن

أفضى إلى ما يقرب منه فمجاز، كمررت بزيد^(٣).
 مكيبة الجامعة الاردنية
 - منها قوله تعالى: (ولا تلبسوا الحق بالباطل) [البقرة/٤٢]

الباء للإلصاق، قاله أبو حيان^(٤). وذهب الزمخشري في قول له أنها للاستعانة^(٥). والاستعانة ترجع إلى الإلصاق، فهم يستعينون بالباطل، ليلصقوا الحق به، ويجعلوه منه، حتى لا يميز بين حقها وباطلها. فيشبهون الحق بالباطل الذي يكتبه بأيديهم، ليخلطوا الأمور على الناس.

- وقوله تعالى: (النفس بالنفس والعين بالعين) [المائدة/٤٤]

الباء للإلصاق المجازي، أي أن النفس مقتولة بالنعفس، والعين مفعولة بفقر العين،

(١): المالقي، رصف المباني، ص ٢٢٠.

(٢): الإربلي، جواهر الأدب، ص ١٧٠. وانظر: المبرد، المقتضب، ١٤٢/٤. سيوييه، الكتاب، ٣٠٤/٢.

(٣): الزركشي، البرهان، ٢٥٢/٤. الرضي، شرحه على الكافية، ٣٠٤/٢.

(٤): أبو حيان، البحر: ١٧٦/١.

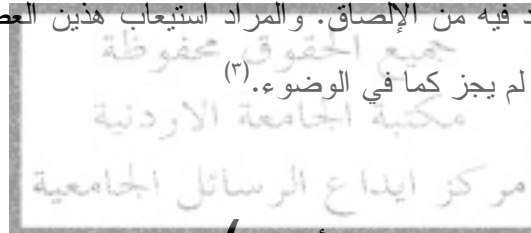
(٥): الزمخشري، الكشاف، ١٣٥.

والحر مقتول بالحر والعبد يقتل بالعبد، أتى بالباء ليكون السبب وهو القصاص منسوباً إلى الجناية نسبة السببية، فأشبهه لذلك الإلصاق الحقيقي وهو جار في جميع الأسباب^(١).

فجاءت الباء لتعطي الزجر والتخويف من الإقدام على القتل منذراً بسرعة العقوبة فالقاتل ملصق بمن قتله، وكان نفسه مرهونة بنفس القاتل^(٢).

- وقوله تعالى: **(فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) [النساء/٤٣]**

الباء للإلصاق، أي أن المسح للوجه كامل، وثبت هذا بالنسبة الصحيحة، وهي آية التيمم. فالمسح لا يد فيه من الإلصاق. والمراد استيعاب هذين العضوين بالمسح، حتى إذا ترك شيئاً منها لم يجز كما في الموضوع^(٣).



- وقوله تعالى: **(والمطلقات يتربصن بأنفسهن) [البقرة/٢٢٨]**

جاءت الباء لتعطي القوة والمبالغة والتأكيد على التربص، وأكدت بذكر الأنفس، فهي تهيج لهن على التربص وزيادة بعث، لأن فيه ما يستكفن منه فيحملن على أن يتربصن، وذلك أن أنفس النساء طوامح إلى الرجال، فأمرن أن يقمن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص^(٤).

الثاني: الاستعانة

وهي الباء الداخلة على الآلة التي يؤدي بها الفعل نحو: كتبت بالقلم^(٥).

(1): العز بن عبدالسلام، الإشارة إلى الإيجاز، ص ٢٥.

(2): انظر: الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ١٦٦-١٦٧.

(3): الألوسي، روح المعاني، ٤٣/٥.

(4): الزمخشري، الكشاف، ٢٦٧/١.

(5): الزركشي، البرهان، ٢٥٦/٤. عبدالنعيم علي، الجر علم الأسماء: ٤٢/١.

وإن كان هناك من لا يجيز إطلاق لفظ الاستعانة على الباء، لأن مثل هذه الباء واقعة في القرآن، ولا يجوز التعبير بالاستعانة في الأفعال المسندة إلى الله تعالى فسموها سببية^(١).

- منه قوله تعالى: **(ولا طائر يطير بجناحيه) [الأعام/٣٨]**

الباء للاستعانة^(٢). فالطائر لا يمكنه الطيران من غير استعانة بجناحيه.

- وقوله تعالى: **(بسم الله الرحمن الرحيم) [الفتحة/١]**

الباء للاستعانة، وما تتعلق به محذوف، قدره الكوفيون: بدأت، وجعله البصريون مبتدأ، أي ابتدائي^(٣). مكتبة الجامعة الاردنية
وخالف الزمخشري الفريقين فقدره متأخراً، أقرأ أو أتلو^(٤)، علق ابن المنير على هذا التقدير، بأن الذي يقدره النحاة ابتدئ، وهو المختار لوجوه: الأول-أن فعل الابتداء يصح تقديره في كل بسملة ابتدئ بها فعل ما من الأفعال خلاف فعل القراءة، والعام لعموم صحة تقديره أولى أن يقدر.

الثاني: أن تقدير فعل الابتداء مستقل بالغرض من البسملة، إذ الغرض منها أن تقع مبدأ، فتقدير فعل الابتداء أوقع بالمحل^(٥).

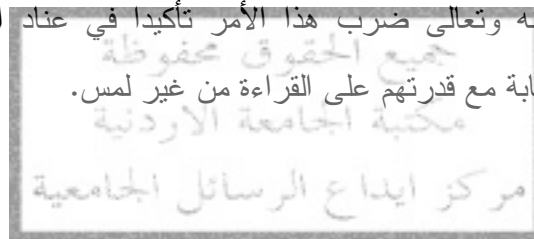
(1): الإربلي، جواهر الأدب، ص ١٨. الدماميني، شرحه على المغني، ٢١٦/١ وذكر رأي ابن مالك وإسقاطه لمعنى الاستعانة وإدراجها في السببية.
(2): أبو حيان، البحر ١١٩/٤.
(3): المرجع السابق، ١٥-١٤/١.
(4): الزمخشري، الكشاف: ٢٦/١.
(5): ابن المنير، الانتصاف، ٢٧-٢٦/١.

وتقدير الفعل متأخراً فيه، لأنه لو ابتدئ بالفعل في التقدير لما كان الاسم مبتدأ به،
فيفوت الغرض من التبرك باسم الله^(١).

والذي يؤدي إلى إظهار أهمية البسمة هو تقدير الفعل متأخراً، ويكون تقديره
ابتدئ، إذ يصلح معه جميع الأفعال.

- ومنها قوله تعالى: **(ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم)**
[الأنعام/٧].

الباء للاستعانة^(٢). واللمس بالأيدي فيه الإصاق اليد بما يلمس، وفيه تحقق القراءة
عن قرب، والله سبحانه وتعالى ضرب هذا الأمر تأكيداً في عناد الكافرين وعدم
إيمانهم، ولو لمسوا الكتابة مع قدرتهم على القراءة من غير لمس.



الثالث: السببية

من قال أنه لا يصح تسمية الباء للاستعانة للسبب السابق الذكر سماها سببية،
وهناك من جعلها فرعاً للاستعانة^(٣).

- ومنها قوله تعالى: **(إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل)** [البقرة/٥٤].

الباء سببية^(٤). أي بسبب اتخاذهم العجل. والسببية تعود لمعنى الإصاق فالحادثة
ألصقت بهم واشتهروا بها، وهم يعرفون بها.

(1): ابن المنير، الانصاف، ٢٩/١

(2): الجمل، حاشيته على الجلالين، ٨/٢.

(3): الرضي، شرحه على الكافية، ٣٠٥/٢.

(4): أبو حيان، البحر: ٢٠٦/١.

- وقوله تعالى: **(فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون)** [البقرة/٥٩]

الباء سببية^(١). بسبب فسقهم الدائم والمصاحب لهم، لم يغيروا ما بأنفسهم فأصبح جزءاً منهم.

- وقوله تعالى: **(يهدى به من يشاء من عباده)** [الأنعام/٨٨]

ذكر معناها السببية^(٢). ولكن والله أعلم أن الباء للإصاق والتلبس فالهداية لا توجد إلا في هدى الله ولا يمكن الهداية إلا عن طريق الاقتراب منه والتوصل إليه.

وآيات عديدة قالوا إن الباء فيها سببية، فالسببية هي التي تدخل على سبب الفعل وتوضحه، أما باء الاستعانة فهي توضح الأداة المستخدمة في الفعل سواء أكانت حسية أم معنوية.

ولكن الذي يلاحظ معنى الآيات يجد أن الباء تصور لمعناها الذي تدور عليه وهو الإصاق.

الرابع: الظرفية

وهي الباء الداخلة على اسم من ظروف المكان، كقوله تعالى: **(إنك بالواد المقدس طوى)** [طه/١٢].

أو ظرف الزمان، كقوله تعالى: **(نجيناهم بسحر)** [القمر/٣٤]^(٣). وتكون مع المعرفة، نحو: **(وإنكم لتمررون عليهم مصبحين، وبالليل)** [الصافات/١٣٧-١٣٨] ومع

(١): العكبري، إملاء ما من به الرحمن، ٢٢/١.

(٢): محمد الشريف، معجم حروف المعاني، ٤٦٥/٢.

(٣): الإربلي، جواهر الأدب، ص ١٩.

النكرة، نحو: (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) [آل عمران/١٢٣]^(١).

وهناك الكثير من النحاة والمفسرين قالوا إن الباء بمعنى (في)، قد يستساغ وضع (في) مكان الباء، ولكن لماذا عدل في سياق النظم الحكيم من حرف الظرفية إلى حرف الإلصاق؟

الجواب عن هذا السؤال هو الذي يعطي سر وجمال اختيار حرف عن غيره مع كون الآخر يصلح في الكلام، ولكن المعنى هو الذي قرّر أيهما أصلح وأوفى بالغرض المطلوب، وهو إبراز معنى مراد منه.

- نحو قوله تعالى: (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) [آل عمران/١٢٣]

كشف الخضري الفارق بين استعمال الباء و(في)، وسر استئثار حرف الباء بمواضع يصلح فيها معنى الظرفية. فبدر لم تكن حصناً يحتمي به المسلمون، ولا صياصي يعتصمون فيها، وإنما هي أرض مكشوفة وساحة قتال ومكان للكر والفر، وظهور المسلمين على عدوهم في هذا المكان ليس راجعاً إلى طبيعة خاصة فيه، وإنما هو فضل الله وعونه، ولو جاءت (في) لأشعرت بأن للمكان طبيعة خاصة حماهم الله فيها من عدوهم، وذلك يتنافى مع الغرض الذي يهدف السياق إليه من إرجاع فضل النصر إلى الله وحده، كما يدل عليه نسبة فعل النصر إلى الله، والجملة الحالية (وأنتم أذلة)^(١).

فحرف الإلصاق يوحى بكل غرض يراد منه مطلق التلبس والمصاحبة لأي جزء من أجزاء الملتصق به، دون الدلالة على الدخول في أعماقه، والاختفاء فيه، وهو المعنى الذي توحى به (في) من التمكن والاستقرار.

(١): الزركشي، البرهان: ٢٥٦/٤.

(٢): الخضري، من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، ص ١٩٠-١٩١.

- وقوله تعالى: **(وإنكم لتمرون عليهم مصبحين * وبالليل) [الصافات/١٣٧-١٣٨]**

قصد من الباء الدلالة على حدوث المرور بأي جزء من أجزاء الليل، وليس في وسطه وعمقه كما يوحي بذلك حرف الظرفية، الذي يدل على استغراق الليل كله.

- وقوله تعالى: **(ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم) [إبراهيم/٣٧].**

دلت الباء على عدم تمكنهم في هذا المكان، واستقرارهم فيه، حيث لا تتوافر فيه مقومات الحياة من زروع، والتي بدورها تعين على الاستقرار وتشجعه، فهي حياة غير مستقرة^(١)، وحرف الظرفية لا يلائم هذا المعنى بما يوحي به من استقرار وتمكن.

وفي كل آية تأكيد على عدم صحة القول بتناوب الحروف عن بعضها، وكيف يؤدي ذلك إلى ظلم على معنى الآية.

الخامس: البديل

علامة الباء التي للبدلية أن يحسن الإتيان في موضعها بكلمة بدل^(٢).

- كقوله تعالى: **(إن الذين يشتركون به عهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم) [آل عمران/٧٧].**

(١): انظر: الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ١٩٠.

(٢): الدماميني، شرحه على المغني، ١/٢١٨.

الباء داخلة على المتروك^(١). فالذين يستبدلون الإيمان بما عاهدوا الله عليه ويجعلوه عرضة للبدل ولأيمانهم كذلك استحقوا عدم التوفيق في الدنيا والآخرة . فهم ألقوا ما لا يمكن إلى عهد الله وأيمانه، وهو البدل بما هو قليل لا يساوي شيئاً.

- وقوله تعالى: **(وبدّلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط) [سبأ/١٦]**

دخلت الباء على الزائل^(٢)، فأبدلوا جنتين لا يمكن مقارنتهما بالأوليان، فكان الإبدال ملتصق متلبس بجنتيهم، جزاء لما عملوا.

الساحس: الباء للآلة
جميع الحقوق محفوظة
وجدت هذا المعنى مفرداً في كتاب "دراسات لأسلوب القرآن"^(٣)، ومن الآيات التي فسرت الباء فيها بالآلة:
مركز أبحاث الرسائل الجامعية

- وقوله تعالى: **(فقلنا اضربوه ببعضها) [البقرة/٧٣]**

ذكر أبو حيان في تفسيره، أن الباء للآلة^(٤)، كأن بعضه آلة يضرب به البعض الآخر.

- وقوله تعالى: **(ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) [القمر/١١]**

جعل الماء كأنه آلة يفتح بها، كما تقول، فتحت الباب بالمفتاح. ويجوز أن تكون للحال، أي ملتبسة بماء منهمر^(٥).

(1): الجمل، حاشيته على الجلالين، ٢٩٠/١.

(2): أبو حيان، البحر، ٢٧١/٧.

(3): عبد الخالق عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن، ١٦/٢.

(4): أبو حيان، البحر المحيط: ٢٦٠/١.

(5): المرجع السابق، ١٧٧/٨. الجمل، حاشيته على الجلالين، ٢٣٨/٤.

ومعنى الآلة في (الباء) فيه التباس وإصاق، فهي تعود إلى معنى الباء من الإصاق.

السابع: المجاوزة

عبر بعضهم عن معاني الباء للمجاوزة بمعنى (عن)، كابن مالك^(١)، والرضي^(٢)، وخصها المالقي بالسؤال^(٣).

- نحو قوله تعالى: (فاسأل به خبيراً) [الفرقان/٥٩]

أي عنه^(٤). لكن البصريين ذهبوا إلى أن الباء سببية، ولا تكون بمعنى (عن)^(٥). وهذا وجه من وجوه كثيرة قيلت في الآية، فلا يشترط أن يكون المراد بقوله: (فاسأل به) فاسأل عنه، فقد تكون (به) في الآية متعلقة بخبير، كأن المعنى: فاسأل عن الله الخبير به^(٦)، وقد يكون الخبير في الآية هو الله تعالى فيكون المعنى: (فاسأل الله الخبير بالأشياء بالعالم بحقائقها)^(٧).

فالباء في الآية ليست بمعنى فاسأل الخبير عنه، لأنه لا يدل على ذاته وصفاته إلا هو. بل الباء تدل على استصحاب ما أعلمه الله عن نفسه وأخبر عنه، عندما يسأل السائل عن ذات الله وصفاته، ويستترشد بهذا العلم في معرفته فهو الخبير العالم، فمن لم يستصحب هديه ضل وغوى.

(١): ابن مالك، التسهيل، ص ١٤٥.

(٢): الرضي، شرحه على الكافية، ٣٠٥/٢.

(٣): المالقي، رصف المباني، ص ١٤٤.

(٤): أمالي الشجري، ٢٧٠-٢٧١.

(٥): المرادي، الجني الداني، ص ٤١.

(٦): ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص ٤٢٦. ابن سيده، المخصص، ٦٥/١٤. أبو حيان، البحر، ٥٠٨/٦.

(٧): أبو حيان، البحر: ٥٠٢/٦، الحاشية.

- وقوله تعالى: (سأل سائل بعذاب واقع) [المعارج/١]

ذكر أن معناه: دعا داع بعذاب واقع، فمن معاني سأل دعا، فالباء على أصلها^(١). وليست الباء بمعنى (عن) كما ذكر^(٢).

لكن الباء بما فيها من معنى الملاصقة، جاءت تدل على أن المسؤول عنه ملاصق للسائل متلبس به، قريب منه، وهذا ما قصد إليه القرآن، مبالغة في تحقيق وقوع العذاب بالكافرين وقربه منهم، فكأن السائل يسأل ما هو واقع به مصاحب له^(٣).

- وقوله تعالى: (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) [الأنعام/١].

ذكر أن الباء في قوله (بربهم) بمعنى (عن)، أي عن ربهم يعدلون وينحرفون، من العدول إلى الشيء^(٤).

فالعدل يتعدى بعن دالاً على الانحراف، ويتعدى بآلى دالاً على الاتجاه نحوه.

فهل يتعدى بالباء؟

ذكر صاحب اللسان: (يقال عدلت الشيء بالشيء أعد له عدولاً، إذا ساويته به)^(٥).

فالآية جاءت تنعى على الذين يسوون الخالق بالمخلوق، وهو ما كشفه صاحب المنار، حيث قال: (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون" هذه الجملة معطوفة على جملة (الحمد لله) أو على جملة (خلق السموات والأرض) وقد عطفت ثم الدالة على بعد ما بين مدلولي المعطوف والمعطوف عليه، لإفادة استبعاد ما فعله الكافرون، وكونه ضد ما كان يجب عليهم للإله الحقيقي بجميع المحامد، لكونه هو الخالق لجميع الكون

(1): أبو حيان، البحر، ٢٣٢/٨.

(2): الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٢٥٧/٤.

(3): انظر: الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ٢٠٥.

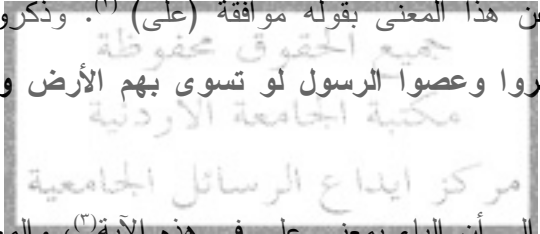
(4): الخازن، لباب التأويل، ١١٧/٢.

(5): ابن منظور، لسان العرب: ٢٨٤٠/٥.

العلوي والسفلي، وما فيه من الظلمات الحسية والمعنوية، والهادي لما فيه النور الذي يهتدي به الموفقون في كل ظلمة منها، كأنه قال: وهم مع ذلك يعدلون به غيره، أي يجعلوه عدلاً له أي عديلاً مساوياً له في كونه يعبد، ويدعى لكشف الضر وجلب النفع، فهو بمعنى يشركون به^(١).

وفي حذف المفعول به دلالة على تحقير شأنه، وأنه لا يوجد عدل الله تعالى حتى يذكر ويسوى بالخالق.

الثامن: الاستعلاء

عبر بعضهم عن هذا المعنى بقوله موافقة (على)^(٢). وذكروا قوله تعالى: **(يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً) [النساء/٤٢].**  ذهب الزجاجي إلى أن الباء بمعنى على في هذه الآية^(٣)، والمعنى: لو تسوى عليهم الأرض.

ولكن شتان في المعنى بين تسوى بهم الأرض وتسوى عليهم. فالباء بما فيها من معنى الملاصقة أبرزت صورة الكافرين يوم القيامة يتمنون من أهوال ما رأوه من سوء العذاب أن يكونوا تراباً يختلط بالأرض، أما على فتدل على أن الأرض صارت قبوراً لهم^(٤).

فالكافر يتمنى يوم القيامة أن يلاصق الأرض ويختلط بها ولا يبقى لهم أثر من هول ما رأوه، وتيقنهم مما سيلاقوه من شدة العذاب.

(1): محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، ٢٥٩/٧.

(2): ابن مالك، التسهيل، ص ١٤٥. عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن، ١٨/٢.

(3): انظر: حروف المعاني، ص ٨٦.

(4): انظر: الخصري، من أسرار حروف الجر، ص ١٨٧.

- وقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ* وَإِذَا مَرَّوَا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ) [المطففين/٢٩-٣٠].

قيل: الباء بمعنى (على) بدليل (وإنكم لتمررون عليهم مصبحين) [الصافات/١٣٧]^(١).

معنى الباء الأصلي هو الإلصاق، أي هم يمررون بهم مرور ملاصق وقريب منهم، فهو ليس مرور العابر وإنما مرور متعمد قاصد الذهاب إليهم^(٢)، وهو معنى لطيف يبرز نفسية الكفار من تقصدهم إيذاء المؤمنين بثتى الوسائل.

- وقوله تعالى: (ومنهم من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً) [آل عمران/٧٥]

الباء في قوله (بدينار) وعلى يتعاقبان في هذا الموضع، كما يقال مررت به ومررت عليه^(٣).

والى هذا ذهب الأخفش وأبو حيان وغيرهم^(٤). أن أمن يتعدى بالباء وعلى.

وذكر الرازي وجه التعدية بالحرفين، بأنه يقال أمنتك بكذا، وعلى كذا، كما يقال: مررت به وعليه. فمعنى الباء إصاق الأمانة، ومعنى (على) استعلاء الأمانة، فمن أؤتمن على شيء فقد صار ذلك الشيء في معنى الملتصق به لقربه منه، واتصاله بحفظه وحياطته، وأيضاً صار المودع كالمستعلي على تلك الأمانة، والمستولي عليها، فلهذا حسن التعبير عن هذا المعنى بكلتا العبارتين. وقيل: إن معنى قولك: أمنتك بدينار، أي وثقت بك فيه، وقولك: أمنتك عليه، أي: جعلتك أميناً عليه وحافظاً له^(٥).

(1): الزركشي، البرهان، ٢٥٧/٤. الدماميني، شرحه على المغني، ٢٢٠/١.

(2): انظر: الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ١٨٤.

(3): الطبري، جامع البيان، ٣١٧/٣.

(4): انظر معاني القرآن، ٢٨/١. وأبو حيان، البحر المحيط، ٥٠٠/٢.

(5): الرازي، التفسير الكبير، ١٠٧/٨.

فالباء جاءت في سياق من لديه المال وقريب من الأمانة وملتصق بها، فكان فريق استحق المدح لعدم إغراء المال له والحفاظ عليه رغم تمكنه منه وقربه الشديد وكثرتة، وفريق استحق الذم لإغراء المال له وعدم الأمانة والحفاظ على المال رغم قلته، ويمتنعون عن رد المال إلى صاحبه، إلا إذا ضغط عليهم وطولبوا بشدة^(١).
فالباء كشفت ومدحت المؤتمن للأمانة، وذمت الخائن، ليحصل الفرق بينهما.

التاسع: التعديّة

وهي الباء المعاقبة للهمزة في تصيير الفاعل مفعولاً، احترازاً من التعديّة بالمعنى الآخر، فإنهم يطلقونها على توصيل العامل إلى المعمول بواسطة الحرف، وهي بهذا المعنى لا خصوصية لها بالباء، بل هي متحققة في جميع حروف الجر غير الزائدة.

وضبطها ابن مالك بأنها الداخلة بعد الفعل اللازم قائمة مقام الهمزة في إيصالها إلى المفعول. واعترضه أبو حيان بأنها قد وردت مع المتعدي في قولهم: صككت الحجر بالحجر، ورفعت بعض الناس ببعض^(٢).

- ومثلوا لها بقوله تعالى: **(ذهب الله بنورهم)** [البقرة/١٧].

ذكر أبو حيان أن الباء في (بنورهم) للتعديّة^(٣)، وأبان الألويسي سر التعديّة بالباء دون الهمزة: (بأنه يفهم من المثل السائر أن ذهب بالشيء استصعبه وأمسكه عن الرجوع إلى الحالة الأولى، ولا كذلك أذهب، فالباء والهمزة إن اشتركا في معنى التعديّة فلا يبعد أن ينظر صاحب المعاني إلى معنى الهمزة والباء الأصليين، وهو الإزالة والمصاحبة والإلصاق، ففي الآية لطف لا ينكر، كيف والفاعل هو الله تعالى القوي العزيز، الذي لا راد لما أخذه، ولا مرسل لما أمسكه.

(١): انظر: الخصري، من أسرار حروف الجر، ص ١٨١.

(٢): الدماميني، شرحه على المغني، ٢١٤/١-٢١٥.

(٣): أبو حيان، البحر المحيط: ٧٩/١.

وذكر أبو العباس أن ذهب بزيد، يقتضي ذهاب المتكلم مع زيد دون أذيته. ولعله يقول: إن ما في الآية مجاز عن شدة الأخذ بحيث لا يرد، أو يجوز أن يكون الله تعالى وصف نفسه بالذهاب على معنى يليق به، كما وصف نفسه سبحانه بالمجيء في ظاهر قوله تعالى: (وجاء ربك) (١).

فالباء أبانت عن إمساك الله تعالى للنور الذي انحرفوا عنه، وحرّمهم منه لما هم ابتعدوا عنه.

- وقوله تعالى: (وجاوزنا ببني إسرائيل البحر) [الأعراف/١٣٨، يونس/٩٠]

الباء للتعديّة، يقال جاوز الوادي إذا قطعه وجاوزه بغيره البحر (٢).

قال الزمخشري: (فإن قلت: ما معنى بكم؟ قلت فيه أوجه، أن يراد أنهم يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم، فكأنما فرق بهم، كما يفرق بين الشئيين بما يوسط بينهما، أو يراد فرقناه بسببكم وبسبب إنجائكم، وأن يكون في موضع الحال بمعنى فرقناه متلبساً بكم) (٣).

لكن الباء لا تخرج عن معناها الإلصاق، فقد بينت فضل الله على بني إسرائيل حيث كانوا ملاصقين للبحر ولا خيار أمامهم سواه، فكأنه فرق بهم لشدة قربهم منه.

- وقوله تعالى: (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمّهات نسائكم وربائبكم اللاتي في جواركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن) [النساء/٢٣].

الباء في (دخلتم بهن) للتعديّة (٤)، قدّر الزمخشري الجملة بقوله: (يعني أدخلتموهن

(1): الألوسي، روح المعاني، ١/١٦٥.

(2): أبو حيان، البحر المحيط، ٤/٣٧٧.

(3): الزمخشري، الكشاف، ١/٢٨٠.

(4): أبو حيان، البحر، ٢/٢١٢.

الستر^(١).

فالباء أعانت على تحقيق الكناية عن الجماع، مما يدل على قدرة هذه اللغة على الوفاء بآداب الإسلام، وما يوجبه من الترفع عن التصريح بما يستحسن الكناية عنه، إلى جانب ما جسده بما فيها من معنى اللصوق من الدلالة على شدة الارتباط والقرب الروحي، والمخالطة النفسية بين الزوجين^(٢).

- وقوله تعالى: **(ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) [النساء/١٩]**

الباء للتعدية، وتحتل المصاحبة: أي مصحوبين ببعض^(٣).

دللت الباء على حرص الأزواج على المال، ومحاولة التقليل من الخسائر إذا حصل فراق بين الزوجين، ولو أدى ذلك إلى عضل وتضرير زوجاتهم. فلو أبدلنا الباء لدلت على ذهابهم بالمال كله، ضرراً زائداً كأنه انتقام^(٤).
فالباء لا تخرج عن معناها من اللصوق والمصاحبة، رغبة في الخروج بأقل الخسائر.

العاشر: التبعية

هل يمكن أن تأتي الباء للتبعية؟

أثبت ذلك الأصمعي وابن مالك^(٥)، وجعلوا من ذلك قوله تعالى: **(عينا يشرب بها عباد الله) [الإنسان/٦]**، وقوله تعالى: **(عينا يشرب بها المقربون) [المطففين/٢٨]**.

(1): الزمخشري، الكشاف، ٢١٢/٣.

(2): الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ١٧٤.

(3): أبو حيان، البحر المحيط، ٢٠٣/٣.

(4): انظر: الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ١٧٠.

(5): ابن هشام، مغني اللبيب، ص ١٠٥. الأزهرى، التصريح، ١٣/٢. المرادي، الجنى الداني، ص ٤٣.

ولكن المعروف أن التبويض من أشهر معاني من لا الباء، لذلك لم يتفق على هذا المعنى للباء، والأرجح إخراج هذا المعنى من معاني الباء^(١).

ومعنى الباء في هذه الآيات الإلصاق، ذكره العلماء والمفسرون. والمعنى: يشرب عباد الله بها الخمر، أي يمزج شرايبهم بها، كما تقول شربت الماء بالعسل^(٢). فهذه العيون لشدة قربها وملاصقتها للمؤمنين في الجنة، كأنهم يشربون بها.

- وقوله تعالى: **(يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين)** [المائدة/٦].

برز أثر اختلاف معنى الباء هل هو الإصاق أم تبويض، في حكم مسح الرأس، أيمسح كل الرأس أم يكتفى بجزء منه؟
أخذ الإمام مالك بالاحتياط فأوجب الاستيعاب أو أثره على اختلاف الرواية. بمعنى أن الباء للإصاق. وأخذ الشافعي باليقين فأوجب أقل ما يقع عليه المسح، وأخذ أبو حنيفة ببيان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو ما روي أنه مسح على ناصيته^(٣).

فهي عند الشافعي تبويضية، ولهذا أخذ أقل ما يقع عليه المسح. وذهب الأمامي إلى أن دلالة الباء على التبويض لا تنافي دلالتها على الإصاق^(٤).

فالتبويض المفهوم ليس حقيقة، وإنما مجاز مرسل من باب إطلاق الكل وإرادة الجزء، وليس من حقيقة الباء^(٥)، وما مسح بعضه أو كله، كلاهما ملصق للمسح برأسه.

(1): محمد عوالب، التناوب في لغة القرآن، ص ٣٥.

(2): أبو حيان، البحر، ٣٩٥/٨. الألويسي، روح المعاني، ٧٢/٦.

(3): الزمخشري، الكشاف، ٥٩٨/١.

(4): الأمامي، الإحكام في أصول الأحكام، ١٤/٣.

(5): المالقي، رصف المباني، ص ٢٢٤.

الحادي عشر: المصاحبة

وهي التي يحسن في موضعها (مع)، ويغني عنها وعن مصحوبها بالحال^(١).
وهي التي يسميها البعض بآء الحال أو بآء الملابس^(٢).

- نحو قوله تعالى: **(فقد باء بغضب من الله)** [الأطفال/١٦]

الباء للملابسة، أي ملتبساً ومصحوباً بغضب^(٣). وهذا الغضب يلزم من فر من الزحف إلا ما استثنته الآية. وهو جزاء يستحقه من قام بعمل كهذا.

- وقوله تعالى: **(خلق السموات والأرض بالحق)** [التغابن/٣]

الباء للملابسة، أي خلقاً ملتبساً بالحق^(٤). فلا يصدر عن الخالق تعالى إلا حق وبالحق، فالحق ملازم لجميع أفعاله وأوامره ونواهيته، فلا يصدر عنه أمر إلا لحكمة أرادها الله تعالى.

- وقوله تعالى: **(واصنع الفلك بأعيننا)** [هود/٣٧].

(بأعيننا) حال من فاعل (واصنع) أي محفوظاً^(٥). كما ظهر من الآيات السابقة أن بآء الحال أو المصاحبة راجعة إلى الإلصاق، فالباء دلت على رعاية الله لنوح عليه السلام، وحفظ الله له، لما تحمل فيها من معنى الإلصاق.

(1): الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٢٥٦/٤. السيوطي، همع الهوامع، ٢١/٢.

(2): عبدالنعيم علي، الجر علم الأسماء، ٤٨/١.

(3): الجمل، حاشيته على الجلالين، ٢٣١/٢.

(4): المرجع السابق، ٣٤٣/٤.

(5): العكبري، إملأ ما من به الرحمن، ٢٠/٢. الجمل، مرجع سابق، ٣٨٩/٢.

- وقوله تعالى: (فأتابكم غمًا بغم) [آل عمران / ١٥٣].

الباء للمصاحبة^(١)، أي غمًا مع غم، وهو قول من عدة آراء^(٢)، ولكن الباء لا تخرج عن كونها تقييد الإلصاق فالغم بهم، ولعل تفسير معنى (غم بغم) غمًا موصولاً بغم بسبب ذلك الأرجاف والجرح والقتل^(٣). هو الذي يبرز دور (الباء)، فكان جزاؤهم غمًا ملاصقًا متصلًا بغم آخر، لكي لا يحزنوا على ما فاتهم من الغنيمة ولا ما أصابهم من الهزيمة.

الثاني عشر: الغاية

من معاني الباء التي ذكرت الغاية، فتكون بمعنى (إلى). وذكروا قوله تعالى: (وقد أحسن بي) [يوسف / ١٠٠]^(٤).
 الأصل أن يتعدى فعل الإحسان بإلى، وقد يتعدى بالباء، وقيل إنه ضمن معنى لطف: أي لطف بي محسنًا^(٥).

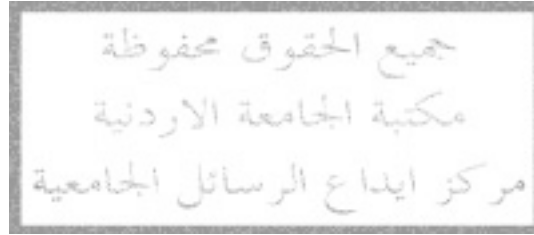
وذكر الزمخشري أنه يقال: أحسن إليه وبه، وكذلك أساء إليه وبه^(٦). ولكن الزمخشري لم يبرز الفرق بينهما، وما سر تعدية الفعل بالباء هنا؟
 من المعلوم أن (إلى) تقييد انتهاء الغاية، والباء تقييد الإلصاق، وهذا ما بينه الزركشي حيث أبان أن أحسن بي وإلي مختلفة المعاني، وأليقها بيوسف عليه السلام (بي) لأنه إحسان درج فيه، دون أن يقصد الغاية التي صار إليها^(٧).

فالباء تقييد الإلصاق، فإن إحسان الله قائم بيوسف عليه السلام في جميع حالاته وأزمانه وهو ما أفادته تنمة الآية.

-
- (1): أبو حيان، البحر، ٨٣/٣-٨٤.
 (2): انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ٥٢٦/١.
 (3): الشوكاني، فتح القدير، ٤٩١/١.
 (4): العكبري، إملأ ما من به الرحمن، ٥١/٢.
 (5): الشوكاني، فتح القدير، ٦٨/٣.
 (6): الزمخشري، الكشاف، ٤٨٦/٢.
 (7): الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١٧٦/٤.

- ونحو قوله تعالى خطاباً لقوم لوط: (أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين) [الأعراف/٨٠].

قال ابن الجوزي إن الباء في (بها) بمعنى (إلى) ومعناه ما سبقكم إليها^(١).
 ووضح الفرق بين (إلى) و(الباء) في الآية السابقة. فالباء في الآية تشير إلى لصوق هذا الفعل بهم، وعدم مشاركة أحد لهم في هذا العمل البشع، وأنهم هم الذين اخترعوا هذا الفعل، ووصلوا إلى أعلى درجات البشاعة والفساد.



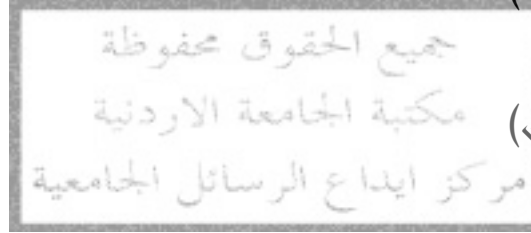
(١): انظر: منتخب قرة العيون النواظر، ٨٢.

المبحث الأول أثر حروف الجر في التفسير

تمهيد: تسميتها حروف الجر وعلة الجر بها

المطلب الأول: (إلى)

المطلب الثاني: (الباء)



المطلب الثالث: (على)

المطلب الرابع: (عن)

المطلب الخامس: (في)

المطلب السادس: (اللام)

المطلب السابع: (من)

الفصل الثاني

أثر حروفه المعاني في التفسير

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

المبحث الأول: أثر حروف الجر في التفسير

المبحث الثاني: أثر حروف العطف في التفسير

المبحث الثالث: أثر حروف الاستفهام في التفسير

المبحث الثاني أثر حروف العطف في التفسير

تمهيد: معنى العطف

المطلب الأول: (الواو)

المطلب الثاني: (الفاء)

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

المطلب الثالث: (ثم)

المطلب الرابع: (أو)

المطلب الخامس: (بل)

المبحث الثاني: التناوب في بعض حروف المعاني

قضية ثانية من القضايا المتعلقة بحروف المعاني، وهي القول بوقوع التناوب في بعض الحروف وعلى الأخص حروف الجر. فما هو التناوب؟ وماذا قصد العلماء بهذا المعنى؟ .

المطلب الأول: معنى التناوب ودلالته عند العلماء

هذه القضية نحوية خلافية، اختلف البلاغيون والبيانون فيها، فهي مسألة تتعلق باللغة العربية بوجه عام، وبالبيان القرآني بشكل خاص.

فقد عرف التناوب على أنه وقوع حرف جر موقع حرف جر آخر، وينوب عنه، ويؤدي معناه أداء حقيقاً، لأن لكل حرف من حروف الجر عند الكوفيين عدة معان. يدل على كل معنى دلالة أصلية حقيقية لا مجازية.

فالكوفيون ذهبوا إلى القول بالتناوب والتنويع في معاني الحرف الواحد. ومال إلى هذا الرأي ابن هشام الأنصاري في (مغني اللبيب)^(١) وعباس حسن في كتابه: (النحو الوافي).

أما البصريون ومن تبعهم فقد نفوا القول بالتناوب، ورأوا أن الأماكن التي ادعت فيها النيابة، أن الحرف باق على معناه، فإن كان تجوز فليكن في الفعل أسهل منه في الحرف، وأن ليس للحرف غير معنى واحد لا يفارقه وقد ينجر معه معان أخرى تؤول إليه.^(٢)

وكان ممن تبع البصريين: ابن جني، وأبو هلال العسكري، وابن تيمية وابن القيم. ورفض من وصفهم أبو هلال العسكري، ونقل عن ابن درستويه قوله: (وفي جواز تعاقبهما - أي الحرفين - إبطال حقيقة اللغة وإفساد الحكمة فيها، والقول بخلاف ما يوجب العقل والقياس).

(١): المغني، ١/١٠٢-١٠٣

(٢): انظر: حسن عواد، تناوب حروف الجر في لغة القرآن، ص ١١. و بنت الشاطي، الإعجاز البياني ومسائل نافع ابن

الأزرق، ص ٢٠١

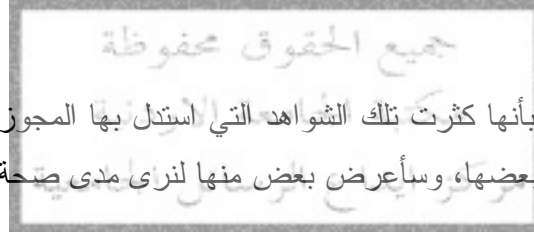
ويعلل أبو هلال ذلك بأن الحروف إذا تعاقبت خرجت من حقائقها، ووقع كل واحد منها بمعنى الآخر، فأوجب ذلك أن يكون لفظان مختلفان لهما معنى واحد. فأبى المحققون أن يقولوا بذلك. وقال به من لا يتحقق المعاني^(١).

كانت هذه لمحة موجزة عن معنى التناوب ودلالته عند العلماء، وانقسامهم بين مؤيد ومعارض ونفيهم القول بالتناوب. ولكن هل هناك حقيقة وقوع للتناوب في اللغة والقرآن.

المطلب الثاني: حقيقة التناوب

أولاً- في اللغة

تعددت بل ويصح القول بأنها كثرت تلك الشواهد التي استدل بها المجوزون على صحة نيابة بعض حروف الجر عن بعضها، وسأعرض بعض منها لنراى مدى صحة وقوع هذا الامر في اللغة:



- تناوب متى

متى بمعنى (من) أو (في):

فمما قالوه إن متى تقع موقع (من) أو (في)، وأن ذلك في لغة هذيل، ودليلهم على ذلك ما حكاه يعقوب عن العرب: أخرجها متى كمة، أي من كمة، أو في كمة^(٢)، وقول أبي ذؤيب الهذلي: ^(٣)

شر بن بماء البحر ثم ترفعت متى لجج خضر لهن نئيج

أي: من لجج.

وقول أبي المثلث الهذلي أو صخر الغي: ^(٤)

متى ما تتكروها تعرفوها متى أقطارها علق نفيث

(١): أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص ١٣

(٢): ابن عقيل، شرحه على ألفية ابن مالك، ١٠/٢

(٣): ابن فارس، الصحابي في اللغة، ١٤٥-١٤٦. الهروي، الأزهية، ص ٢١٠

(٤): ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص ٣٨٠، ٥٧٣

أي: من أقطارها

والذي عليه النحاة واللغويين أن متى في هذه المواضع تقع موقع من، أو موقع في أو وسط. قال صاحب اللسان: (متى هنا بمعنى من أو بمعنى وسط)^(١). وذكر ما سمعه أبو زيد من قول بعضهم: وضعتة متى كمي، أي في وسط كمي، وأنشد بيت أبو ذؤيب وقال: (أراد وسط لجج)^(٢).

وقال الهروي: (وحكى الكسائي عن العرب، أخرجه من متى كمه، أي من وسط كمه، وهي لغة هذيل). ثم ساق بيت أبي ذؤيب وقال: (أراد وسط لجج)^(٣). وقال ابن هشام: (متى اسم مرادف وسط)^(٤). هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن رواية بيت أبي ذؤيب كما ساقها ديوان الهذليين لا شاهد فيها، تقول الرواية:

تروت بماء البحر ثم تنصبت على حيشيات لهن نثيج

مكتبة الجامعة الأردنية

وكذا رواية بيت أبي المثلث أو صخر الغي لا شاهد فيها، تقول الرواية:

متى ما تنكروها تعرفوها على أقطارها علق نفيث

ورواية الديوان هي الرواية التي ساقها ابن قتيبة، والهروي، وصاحب اللسان في موضع.^(٥)

وقال الدكتور محمد عواد: (وأما الرواية التي استدلت بها على وقوع متى موقع من فلم ترد في اللسان إلا في موضع واحد فيما نعلم. وهو المعنى الذي أثبتناه في ما مضى).^(٦)

وكتب في هامش اللسان: (قوله علق نفيث: كذا في الأصل وشرح القاموس، ولم نظفر به في غير هذا الموضوع فحرره إن ظفرت به).^(٧)

(١): ابن منظور، اللسان، ٦٤/٣

(٢): المرجع السابق، ٣٦٥/٢٠

(٣): الهروي، الأزهية، ص ٢١٠

(٤): ابن هشام، المغني، ٣٣٤/٢

(٥): ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص ٣٨٠. الهروي، الأزهية، ص ٢٨٦. ابن منظور، اللسان، ١٧/٣

(٦): محمد عواد، تناوب حروف الجر، ص ٢٥

(٧): هامش اللسان، ٣٦٥/٢٠

والظاهر أن (متى) بمعنى (من) يأباه الاستعمال، وما أظن أحدا يقبل بهذا الكلام اليوم، أن يقال: أخذت متى صديقي هدية، أي من صديقي، ثم إن متى تعد من حروف الجر على وجه الغرابة، كما ذكر الأشموني: بأنه قل من ذكر (كي)، و(لعل)، و(متى) في حروف الجر لغرابة الجر بهن.^(١)

وإذا تحقق الذي سيق كان معنى متى في الشواهد المذكورة معنى وسط لا معنى من ولا معنى في، وبهذا تخرج متى من حروف الجر فضلا على عدم وقوع تعاور بينها وبين من.^(٢)

- تناوب عن

عن بمعنى الباء:

فما قالوه: إن عن تقع موقع الباء كقول امرئ القيس:^(٣)

تصد وتبدي عن أسيل وتنقي الحقوق بناظرة من وحش وجرة مطفل

أي: بأسيل. وكقول العرب: رميت عن القوس أي رميت بالقوس^(٤). وتوضيح الأمر في بيت امرئ القيس أن عن على بابها فهي تفيد المزايلة أو المجاوزة، فلم تجيء بمعنى الباء في البيت. وذلك أن صدر البيت من باب التنازع والمعنى (تصد عن أسيل وتبدي به ولا تصد بأسيل وتبدي عنه).^(٥)

ولا يقال إن من شرط إعمال الأول في باب التنازع إبراز الضمير بعد الثاني إن كان مجرورا أو منصوبا نحو: رأيت وأكرمته زيدا. ومررت ومر بي زيد، فإن لا بد من إخراج (عن) عن موضعها الأول إلى معنى الباء ووضعها الأول هو المزايلة.^(٦)

لا يقال ذلك. وإن كان الكوفيين اختاروا إعمال الأول لسبقه، وإعمال الأخير في ضميره مرفوعا كان أو منصوبا أو مجرورا؛ لأن السيرافي يجيز حذف غير المرفوع، وهو المنصوب والمجرور، لأنه فضلة.

(١): شرح الأشموني على الألفية، ٢/٢٨٣

(٢): محمد عواد، تناوب حروف الجر، ص ٢٥

(٣): المالقي، رصف المباني، ص ٣٦٩

(٤): المرادي، الجنى الداني، ص ٢٤٧

(٥): المالقي، رصف المباني، ص ٣٦٩

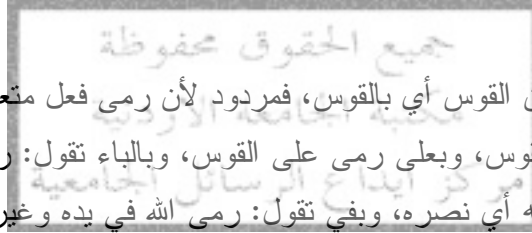
(٦): المرجع السابق، ص ٣٦٩-٣٧٠

وإذا جاز هذا جرى البيت مجرى قول عاتكة بنت عبد المطلب :
بعكاظ يعشي الناظرين م إذا هم لمحوا شعاعه

فأعلمت الأول وهو يعشى ، فرفعت شعاعه، وأعلمت لمحوا في ضميره وحذفته والتقدير: لمحوه.
وهذا الذي ذكره السيرافي وهو الذي يفهم من كلام التسهيل.^(١)

قال ابن مالك: (ويجوز حذف المضمرة المرفوعة مالم يمنع مانع)^(٢). فإن قيل: إن بيت عاتكة
ضرورة. يقال: وكذلك امرؤ القيس. هذا وجه.

والوجه الثاني: أن نعمل الثاني على مذهب البصريين، ولا يحتاج الأول الى اضمار لأن
المضمرة فضلة، ويكون المعنى، تصد وتبدي جمالا صادرا عن أسيل، والحذف مسألة شائعة في
العربية غير منكرة.^(٣)



وأما قولهم رميت عن القوس أي بالقوس، فمردود لأن رمى فعل متعد بنفسه، تقول: رميته،
ومتعد بعن: رمى عن القوس، وبعلى رمى على القوس، وبالباء تقول: رمى به أي ألقاه وقذفه،
وباللام تقول: رمى الله له أي نصره، وبفي تقول: رمى الله في يده وغيرها من الاعضاء دعاء
عليه. وكل من هذه الحروف يؤدي معنى لا يؤديه الآخر.^(٤)

وقولهم: رمى عن القوس يريدون أطلق السهم عنها، ورمى بالقوس أي قذفها وألقاها أو تكون الباء
للاستعانة لأنه رمى رمية بالقوس أي مستعينا بها.^(٥)

وهذا الزركشي يذكر من معاني عن المجاوزة فيقول: (تقتضي مجاوزة ما أضيف إليه نحو
غيره وتعديه عنه، تقول... ورميت عن القوس أي طرحت السهم عنها).^(٦)

أما قولهم: (وحكى الفراء عن العرب: رميت عن القوس وبالقوس وعلى القوس) لا يعني أن
هذه الحروف يقع بعضها موقع بعض، وإنما يعني أن الفعل يتعدى بهذه الأحرف مع اختلاف

(١): التصريح على التوضيح، ٣٢٠/١

(٢): التسهيل، ص ٨٦

(٣): محمد عواد، تناوب حروف الجر، ص ٣١

(٤): إبراهيم منكور وآخرون، المعجم الوسيط، ٣٨٨/١

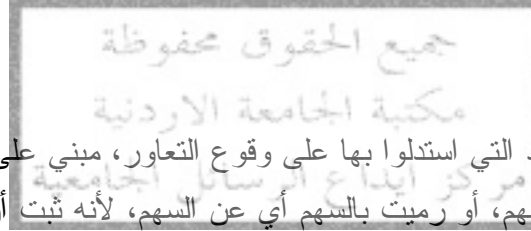
(٥): محمد عواد، مرجع سابق، ص ٣١

(٦): الزركشي، البرهان، ٢٨٦/٤

المعنى في كل حالة عن الحالة الأخرى، وهذا كثير في اللغة العربية، منه: غضبت عليه أي سخطت عليه، وغضبت له أي غضبت على غيره من أجله، وغضبت به، أي غضبت من أجله لما كان ميتا، وغضبت منه أي شئ دخل قلبي منه. والغضب من المخلوقين شئ يداخل قلوبهم، ومنه محمود ومذموم. فالمذموم ما كان في غير الحق، والمحمود ما كان في جانب الدين والحق.^(١)

كانت هذه الامثلة على من قال بوجود تناوب بين حروف الجر، ومن كان يريد الاستزادة فلينظر الكتب التي تحدثت عنه، فهو باب واسع.^(٢)

ومن هذه الامثلة رأيت أن هذه المسألة يأبأها الاستعمال، وتقضي الى مشكلات لغوية، وإلى اضطراب كثير، وأنه بالامكان تأويل الشواهد التي يحتج بها القائلون بالتناوب تأويلا سائغا مقبولا لا نبو فيه ولا إرهاق.



وكانت بعض الشواهد التي استدلوها بها على وقوع التعاور، مبني على وهم، من مثل قولهم: رميت عن السهم أي بالسهم، أو رميت بالسهم أي عن السهم، لأنه ثبت أن بعض هذه الأفعال تتعدى بهذا الحرف وبذلك، ولا يقتضي وقوع هذا الحرف موقع ذاك لأن المعنيين مختلفان في الجملتين كما ذكر سابقا.

كانت هذه صورة التناوب في اللغة؟ فما صورها في القرآن؟

(١): ابن منظور، اللسان، مادة غضب.

(٢): وضع الدكتور محمد عواد ملحقا خاصا للشواهد التي كانت عن موضوع التناوب في كتابه "تناوب حروف الجر في لغة القرآن" فيمكن النظر.

ثانيا- في القرآن

لكل حرف من حروف المعاني في القرآن عمل يقوم به، ودور يؤديه في إقرار المعنى، وبيان الحكمة والبلاغة، والإعجاز البياني.

ومن هذه الأحرف حروف الجر، التي قال بعضهم بوقوع النيابة فيها، وجاءوا بآيات عديدة تؤيد قولهم وما ذهبوا إليه. فهل هناك حقيقة للتناوب في هذه الحروف في الآيات القرآنية، كل هذا سيظهر_ إن شاء الله_ من خلال بعض الأمثلة.

حرف(عن)

- من الأحرف التي قالوا بتناوبها حرف (عن) في قوله تعالى: (فويل للمصلين الذين

هم عن صلاتهم ساهون) [الماعون ٤-٥].
 حيث قالوا إنها بمعنى (في) أي: في صلاتهم ساهون^(١). وهذا غير صحيح. فلا يوجد من لا يسهو في صلاته، والسهو في الصلاة يجبر بسجود السهو كما هو ثابت عن النبي_ صلى الله عليه وسلم_ في صلاة السهو.

فإن كان كذلك فلا يمكن القول أن عن هنا بمعنى في وللسهو حكم في الصلاة، إذ لو كان السهو حراما لما كان لها سجود خاص بها، والرسول_ صلى الله عليه وسلم_ علمه لأتمته.

ويقول الإمام الطبري: (وأولى الأقوال عندي بالصواب، أنهم ساهون لاهون يتغافلون عنها وفي اللهو عنها والتشاغل بغيرها، تضييعا أحيانا وتضييع وقتها أحيانا أخرى، فصح قول من قال: عنى بذلك ترك وقتها، ومن قال: عنى تركها).^(٢)

و أضاف الزمخشري: (أولا يصلون كما صلاها رسول الله_ صلى الله عليه وسلم_ والسلف. ولكن ينقرونها نقرا من غير خشوع وإخبات، ولا اجتناب لما يكره فيها من العبث باللحية والثياب وكثرة التثاؤب والالتفات، ولا يدرى الواحد منهم كم انصرف ولا ما قرأ من السور).^(٣)

(١): انظر: صلاح الخالدي، البيان في إعجاز القرآن، ص ١٥٢

(٢): الطبري، جامع البيان، ٣٠/

(٣): الزمخشري، الكشاف، ٢٣٦/٤

لكن _ والله أعلم _ أن حرف (عن) هنا في هذه الآية يعطي معنى السهو والغفلة عن الصلاة نفسها، وهو ما فسره الإمام الطبري، وليس السهو فيها داخل الصلاة من حركات وغيرها، وهو ما قال به الزمخشري. أو ما قالت به بنت الشاطئ من أن السهو، (سهو عن حكمتها، ومراعاة بها، قد يؤديها بعضهم في أوقاتها، ويتظاهرون بالخشوع فيها والإخبات رياء الناس وقصدا إلى منفعة).^(١)

إذ لو كان المعنى ما قالته بنت الشاطئ لا تقتصر الوعيد على من سها عن حكمتها وراعى بها، وهذا لا يعلمه إلا الله تعالى. فقد يكون من يعلم حكمتها ولا يرأى بها إن صلى، ولكن مع هذا يسهو عن صلاته نفسها فتفوته. لذا فالقول أن السهو سهو عن إدراك حكمتها وحقيقتها لا ينطبق على معنى الحرف.

وهناك آثار تؤيد أن معنى السهو هنا السهو عن الصلاة نفسها والتشاغل بغيرها، ما رواه الخطابي عن مالك بن دينار، قال: جمعنا الحسن لعرض المصاحف أنا وأبا العالية الرياحي ونصر بن عاصم الليثي وعاصم الجديدي، فقال رجل: يا أبا العالية: قول الله تعالى في كتابه: (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) ما هذا السهو؟

قال أبو العلية: هو الذي لا يدري عن كم ينصرف، عن شفع أو عن وتر؟ فقال الحسن: مه يا أبا العالية، ليس هذا، بل الذين سهو عن ميقاتهم حتى تفوتهم! ألا ترى قوله عز وجل: (عن صلاتهم). وعلق الخطابي على الحادثة بقوله: (وإنما أتى أبو العالية في هذا حيث لم يفرق بين حرف (عن) و (في)، فتنبه الحسن البصري، فقال: ألا ترى قوله (عن صلاتهم) وهذا يؤيد أن السهو الذي هو الغلط في العدد إنما يعرض في الصلاة بعد ملابتها، ولو كان هذا المراد لقل: في صلاتهم ساهون، فلما قال: (عن صلاتهم) دل على أن المراد به الذهاب عن الوقت).^(٢)

وأورد ابن كثير قول عطاء بن دينار: الحمد لله الذي قال: (عن صلاتهم ساهون) ولم يقل: في صلاتهم ساهون.

كما أورد قول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه _ : (الذين هم عن صلاتهم ساهون) قال: لهما عنها حتى ضاع وقتها.^(٣)

(١): بنت الشاطئ، الإعجاز البياني، ص ٢٠٣

(٢): انظر: ثلاث رسائل في الإعجاز، ص ٣٢-٣٣

(٣): ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤/٥٥٨-٥٥٩

ومن الحروف التي تألوها في القرآن وقالوا بالنيابة فيها، حرف الواو في آية النساء:
(فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) [النساء/٣]

فقالوا: إن الواو نائبة عن (أو).

وابتدئ بما قاله ابن هشام ردا على هذا القول: (ولا يعرف ذلك في اللغة، وإنما يقوله بعض ضعاف اللغويين والمفسرين).

وقال ناقلا عن أبي طاهر حمزة بن الحسن الأصفهاني في كتابه: (الرسالة المعربة عن شرف الإعراب) :

(والقول فيها_ أي آية النساء_ بأن الواو بمعنى أو، عجز عن درك الحق، فاعلموا أن الأعداد التي تجمع قسمان: قسم يؤتى به ليضم بعضه إلى بعض وهو الأعداد الأصول، نحو:

- (ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة) [البقرة/١٩٦]

- (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتمناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة) [الأعراف/١٤٢]

ولم يقولوا ثلاث وخماس، ويريدون ثمانية، كما قال: (ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم).^(١)

فمعنى الآية لينكح كل فرد منكم ما طاب من النساء اثنتين اثنتين، وثلاثا ثلاثا، وأربعا أربعا، هذا ما تقتضيه لغة العرب.

ووضح الشوكاني ذلك: بأن كل ناكح له أن يختار من هذا العدد، كما يقال للجماعة: اقتسموا هذا المال وهو ألف درهم، درهمين درهمين، وثلاثة ثلاثة، وأربعة أربعة. وهذا مسلم إذا كان المقسوم قد ذكرت جملته أو عين مكانه، أما لو كان مطلقا كما يقال: اقتسموا الدراهم، ويراد به ما كسبوه فليس المعنى هكذا. والآية من الباب الآخر.^(٢)

ومن استدل بجواز نكاح التسع باعتبار الواو الجامعة، فكأنه قال: انكحوا مجموع هذا العدد المذكور.

فهذا جهل بالمعنى العربي، ولو قال: انكحوا اثنتين وثلاثا وأربعا، كان هذا القول له وجه. وأما مع المجيء بصيغة العدل فلا.^(٣)

(١): ابن هشام، مغني اللبيب، حرف الواو المفردة، ٣٥٨/٢

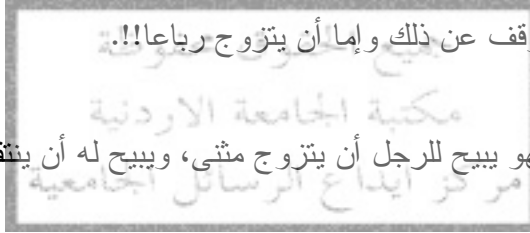
(٢): الشوكاني، فتح القدير، ٥٢٩/١

(٣): المرجع السابق، ٥٢٩/١

فالقرآن دقيق في التعبير، فلم يذكر في رخصة التعدد أصول الأعداد، وإنما عدل عن الأصول إلى صيغ جديدة، فقال: (مثنى وثلاث ورباع). وهذه الصيغ الجديدة لا تقبل الجمع أبداً، فلا يجوز أن تقول: صم ثلاثاً في الحج وسبعة إذا رجعت، فتلك عشرة كاملة.^(١)

فللناكح أن يختار من هذا العدد، مثنى وثلاث ورباع. من هذا لا يصح أن تتوب الواو عن حرف (أو) في آية النساء، ولا يمكن أن يكون المعنى: انكحوا ما طاب لكم من النساء: مثنى أو ثلاث أو رباع، لأن (أو) تدل على التخيير الملزم؛ فيكون الحكم تخييراً للرجال بين أن ينكحوا مثنى من النساء أو ثلاثاً أو أربعاً.

لكن من اختار الزواج مثنى من النساء لا يجوز له أن يتزوج ثلاثاً بعد ذلك! ومن اختار للزواج ثلاثاً للزواج لا يجوز له أن يتزوج رباعاً بعد ذلك، فهو إما أن يتزوج مثنى ويتوقف عن ذلك، وإما أن يتزوج ثلاثاً ويتوقف عن ذلك وإما أن يتزوج رباعاً!!



والقرآن لا يقول بذلك، فهو يبيح للرجل أن يتزوج مثنى، ويبيح له أن ينتقل بعد ذلك إلى رباع.^(٢)

وأحسب أن هذه الشواهد تكفي لإظهار سر الحرف ومكانته في القرآن الكريم، وأنه لا ينوب عنه حرف آخر ولا يقوم مقامه غيره.

وهذا ما أكدت عليه عند البدء بالحديث عن الزيادة في القرآن، فلكل حرف دور ومعنى يؤديه، لا يكون زائداً أو لا ينوب عنه آخر، ولا يلغى.

فنحن نقف أمام كتاب الله تعالى المعجز، الذي تناهت دقته فالحرف إن حدث له أي قضية من القضايا، اختلت الآية وظهر معنى غير المعنى المراد من وضع هذا الحرف في مكانه.

والله تعالى هو العالم بكل شيء، فلا يعجز عن حذف حرف أو إلغائه أو وضع حرف مكان الآخر.

فلو كان المعنى كما يقولون عند تأويلهم للآيات حسب قواعد وضعوها بناء على قياسات لغوية وشعرية ففاسوا القوي بالضعيف، لما كان معنى لهذا الحرف في الآية. وهذا محال. فهو كلا الله تعال الذي لا يأتيه الباطل.

(١): الخالدي، إعجاز القرآن البياني، ص ١٦٣-١٦٤

(٢): بنت الشاطي، الإعجاز البياني، ص ٢٠٧

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

المبحث الثالث

أثر حروف الاستفهام في التفسير

المطلب الأول: (الممزة)

المطلب الثاني: (هل)

المطلب الثالث: (من)

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

المطلب الرابع: (ها)

المطلب الخامس: (كم)

المطلب السادس: (كيف)

المطلب السابع: (أين)

المطلب الثامن: (أي)

المطلب التاسع: (أيان)

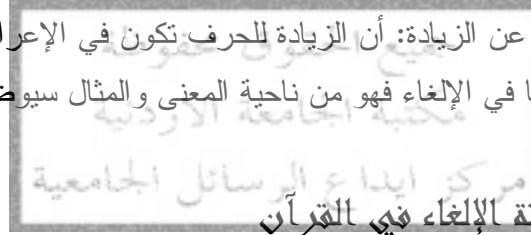
المطلب العاشر: (متى)

المبحث الثالث: إلغاء عمل بعض الحروف

من ضمن تعاريف الزيادة: القول بزيادة الحرف من حيث المعنى، وجاء علماء اللغة بقضية أخرى تتقارب مع هذا التعريف للزيادة، فقالوا بإلغاء عمل بعض حروف المعاني. وجاء هذا المبحث ليتم هذا الأمر.

المطلب الأول: الإلغاء ودلالته عند العلماء

ذهب بعض النحويين إلى إلغاء عمل بعض حروف المعاني، فهم لم يقولوا بزيادة ذلك الحرف، بل أبقوا عليه، ولكن مع إغائه وتعطيل عمله.^(١) بهذا الأمر يختلف الإلغاء عن الزيادة: أن الزيادة للحرف تكون في الإعراب والمعنى على خلاف بينهم كما سبق. أما في الإلغاء فهو من ناحية المعنى والمثال سيوضح ذلك.



المطلب الثاني: حقيقة الإلغاء في القرآن

ضربت بنت الشاطئ مثالا على ذلك، إلغاؤهم عمل (لا) النافية حيث عطلوا دلالة في صريح النص في قوله تعالى:

(لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم) {التوبة/٤٤}.

فهذه الآية تنفي استئذان المؤمنين في الجهاد، لأن الجهاد لا يحتاج إلى استئذان في خوضه، باعتباره واجبا مفروضا، والمؤمن لا يستأذن في أداء الواجبات كالصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد.

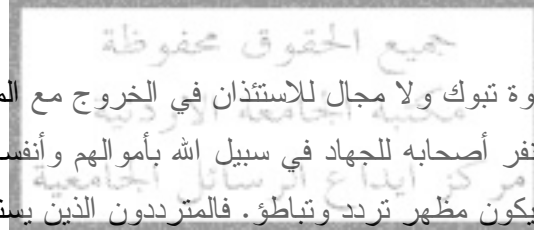
ومن المفسرين من حملها على نفي الاستئذان في التخلف والعودة وترك الخروج للجهاد. من حيث بدا لهم أن الاستئذان لا يكون إلا في التخلف والعودة. قال الإمام الطبري: (فأما الذي يصدق بالله ويقر بوحدانيته وبالبعث والدار الآخرة والثواب والعقاب، فإنه لا يستأذن في ترك الغزو وجهاد أعداء الله بماله ونفسه. وعن ابن عباس: فهذا تعبير للمنافقين حين استأذنوا في

(١): الخالدي، البيان في إعجاز القرآن، ص ١٥٠.

القعود عن الجهاد من غير عذر، وعذر الله المؤمنين، فقال: لم يذهبوا حتى يستأذنه صلى الله عليه وسلم).^(١)

وهذا التأويل بنفي الاستئذان في القعود، يبدوا مخالفا لما ذهب إليه الزمخشري في تفسير الآية: (ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا، وكان الخلفاء من المهاجرين والأنصار يقولون: لا نستأذن النبي أبداً، ولنجاهدن أبداً معه بأموالنا وأنفسنا).^(٢)

وتقول الدكتورة بنت الشاطي معلقة على هذا الأمر: (ونحنكم إلى النص القرآني، فنرى أن الأولى حمل الآية على حمل نفي الاستئذان للمؤمنين (أن يجاهدوا) لا أن يتخلفوا ويقعدوا. فليس المؤمن بحيث يستأذن في أن يؤدي فريضة الجهاد، كما لا يستأذن في إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج).^(٣)



وآية التوبة نزلت في غزوة تبوك ولا مجال للاستئذان في الخروج مع المصطفى - صلى الله عليه وسلم - بعد أن استنفر أصحابه للجهاد في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، بل الاستئذان في هذا الوقت أقرب إلى أن يكون مظهر تردد وتباطؤ. فالمترددون الذين يستأذنون المصطفى في الخروج معه، عن ارتياب وحيرة بين أن يخرجوا أو لا يخرجوا. ولو أنهم أرادوا الخروج حقا لبادروا بالاستعداد له دون أن يترددوا ويتباطؤوا، انتظاراً لإذنه - صلى الله عليه وسلم -.

وهذا ما تعطيه الآية بصريح تعلق استئذان المؤمنين فيها بأن يجاهوا، وصريح سياقها مع الآيات بعدها:

(إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون * ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين) { التوبة/٤٥-٤٦ }.

وبما أن المنافقين حريصون على عدم الجهاد، فهم يستأذنون في الخروج، ليحصلوا على إذن يبررون به قعودهم. ولهذا قال الله عنهم: (فإن رجعت الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج

(١): الطبري، التفسير، ١٠/١٠٠.

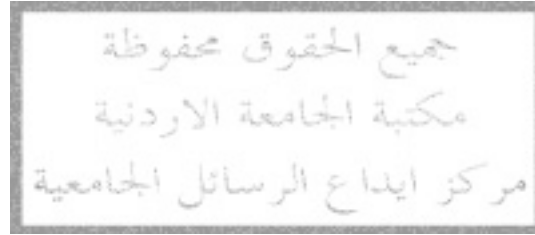
(٢): الزمخشري، الكشاف، ٢/١٥٤.

(٣): بنت الشاطي، الإعجاز البياني، ص ٢٠٠.

فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين}{التوبة/٨٣}.

فمن سياق الآيات المترابطة بعضها مع بعض، ولفظها الصريح دون تأويل لها بإلغاء عمل حرف من حروفها تفهم الآية الكريمة. وغيرها من الآيات الكريمة التي ادعوا إما بزيادة حرف أو تناوب حرف مكان آخر أو إلغاء حرف.

فالقرآن الكريم الكتاب الخالد إلى ما شاء الله، وكلام الله المعجز الذي لا يدانيه كلام، فكيف لنا أن نطبق قواعد لغة البشر على كلام الله تعالى، وكلامه الحق المبين(بلسان عربي مبين) فالأولى تطبيق واستنباط هذه القواعد من القرآن وجعله هو الحكم والقاعدة وليس العكس.



المطلب الأول: (الهمزة) وأثرها في التفسير

تعتبر همزة الاستفهام حرف مشترك، يدخل على الأسماء والأفعال؛ لطلب التصديق، نحو: أزيد قائم؟

أو تفيد التصور، نحو: أزيد عندك أم عمرو؟ وهي أصل أدوات الاستفهام، ولأصالتها استؤثرت بأمر، منها:

- التصدير: بتقدمها على الفاء والواو وثم، في نحو: (أفلا تعقلون) [البقرة/٤٤]، (أولم يسيروا) [الروم/٩]، (أثم إذا ما وقع) [يونس/٥١]^(١).

وذكر أن همزة الاستفهام لم ترد في سياق الاستفهام الحقيقي، بل وردت في سياق التفهيم^(٢)، ولمعان أخرى.

ولكن هذا القول تعوزه الدقة، همزة الاستفهام كان ورودها في سياق الاستفهام الحقيقي قليل جداً، وليس أنه لم يرد، فقوله تعالى على لسان سليمان-عليه السلام-: (أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بَعْرَشَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) [النمل/٣٨].

الاستفهام حقيقي، طلب من سليمان لمن حوله من الجن أن يأتوه بعرش بلقيس قبل مجيئهم.

من المعاني التي تفيدها همزة الاستفهام:

الأول- التسوية

- نحو قوله تعالى: (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) [البقرة/٦].
الهمزة وأم مجردتان لمعنى الاستواء، وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام. ومعنى الاستواء، استواءهما في علم المستفهم عنهما^(٣).

فالآية فيها معنى اليأس من إيمان الكافرين، والمعاندين لدين الله ورسوله، وأنه لا فائدة من تخويفهم أو عدمه، فهذا كله سواء لا يؤثر فيهم.

(١): المرادي: الجنى الداني، ص ٣٠-٣١.

(٢): محمد الشريف، معجم حروف المعاني، ٧٥/١.

(٣): الزمخشري: الكشاف، ٥٦/١.

- وقوله تعالى: "وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ" [الأعراف/١٩٣].

أي دعوتهم أم صمتهم، سواء لا فرق بينهما، في أنه لا فلاح معهم، لأنهم لا يضررون ولا ينفعون ولا يسمعون ولا يجيبون^(١). فإما من أشركتم بالله إن تدعوا أصنامكم التي تعبدونها من دون الله إلى أن يهدوكم سبيل الرشاد لا يتبعوكم، فهم جمادات لا يضررون ولا ينفعون، فدعواؤكم إياهم وصمتكم عن هذا الدعاء سواء.

فالهزمة ساوت بين الفعل وأعطت معنى السخرية من فعلهم هذا، وعبادتهم لما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنهم شيئاً.

- وقوله تعالى: (سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ) [الشعراء/١٣٦].

أي وعظك وعدمه سواء عندنا، لا نبالي بشيء منه، ولا نلتفت إلى ما تقوله^(٢).

فهذه الآية من قصة هود-عليه السلام-، وكيف أن عاداً كفروا ربهم، فأخبرهم برسالته وصدق دعوته، وأن عقاب الله واقع بهم لا محال إن بقوا على هذه الحالة.

فما كان منهم إلا أن أجابوا جواب الميئس منهم، المستهزئ من قول هود بوقوع العذاب بهم؛ إن وعظك إيانا وعدمه سواء لا جدوى من هذه الوعظ ومن كل ما تقوله.

- وقوله تعالى: (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ)

[المنافقون/٦].

أي الاستغفار وعدمه سواء لا ينفعهم ذلك، لإصرارهم على النفاق واستمرارهم على الكفر^(٣).

فالمنافقون إذا قيل لهم توبوا مما أنتم فيه، وأسألوا رسول الله أن يستغفر لكم الله لوووا رؤوسهم مستهزئين وأعرضوا مستكبرين.

فجاءت الآية تبين اليأس من حالهم هذه، بأن الاستغفار وعدمه سواء، لأن الله قد غضب عليهم بسبب فسقهم ونفاقهم، وهم ما داموا على هذه الحالة فلا جدوى من الاستغفار والدعاء لهم.

(١): الزمخشري: الكشاف، ١٨٢/٢؛ الشوكاني: فتح القدير، ٣٥٣/٢.

(٢): الشوكاني: فتح القدير، ١٣٨/٤.

(٣): المرجع السابق، ٢٨٨/٥.

الثاني - الإنكار

وهو عدم إقرار المخاطب شيء، وإنما يستنكر عليه، ويستهن منه ما حدث أو ما سيحدث منه^(١).

- نحو قوله تعالى: (وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا)

[البقرة/٨٠].

استفهام إنكاري، إنكار عليهم لما صدر منهم من هذه الدعوى الباطلة، أنها لن تمسهم النار إلا أياماً معدودة، ولم يتقدم لهم عهد بهذا، ولا أسلفوا من الأعمال الصالحة ما يصدق هذه الدعوى حتى يتعين الوفاء بذلك وعدم إخلاف العهد^(٢).

فهم على الرغم من اختلاقهم على الله، وتبديلهم وتحريفهم الكتاب، زادوا ادعاء بأن الله

لا يعذب اليهود يوم القيامة، إلا أياماً معدودة ثم يخرجون إلى الجنة. فكان هذا السؤال إنكاراً عليهم، ورد الله عليهم بأن النار ستنتالهم وتمسهم مساً أليماً، وقد اكتسبوا إثماً عظيماً.

- وقوله تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ

انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ) [آل عمران/١٤٤].

لعل ما روي من سبب النزول يوضح لنا المعنى الذي أعطاه حرف الاستفهام، فقد روي أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لما أصيب في يوم أحد صاح الشيطان قائلاً، قد قتل محمد، ففشل بعض المسلمين حتى قال قائل: قد أصيب محمد فأعطوا بأيديكم فإنما هم إخوانكم، وقال آخر: لو كان رسولاً ما قتل^(٣).

فردّ الله عليهم ذلك فأخبرهم بأنه رسول قد خلت من قبله الرسل وسيخلو كما خلوا.

فأنكر الله عليهم أن يرتدوا ويتركوا دينه إذا مات أو قتل مع علمهم أن الرسل تخلوا

ويتمسك أتباعهم بدينهم وإن فقدوا بموت أو قتل^(٤).

(١): فضل عباس: البلاغة فنونها وأفنانها، ص ١٩٤.

(٢): الشوكاني: فتح القدير، ١/١٣٢.

(٣): السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، ص ١٨٠.

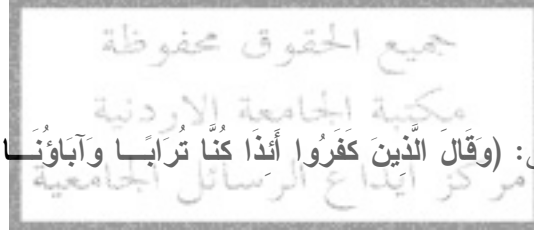
(٤): الشوكاني، مرجع سابق، ١/٤٨٥.

فهو إنكار يتضمنه عتاب لما صدر من المسلمين، وما كان ينبغي أن يصدر منهم هذا العمل، بل كان يجب عليهم أن يدافعوا عن هذا الدين ورسوله، سواء أكان الرسول حياً أم ميتاً، فشرعية الله لا تموت بموت الرسول الذي بلغها عن ربه، فهي باقية إلى يوم القيامة يدافع عنها أتباعها^(١).

- وفي قوله تعالى: (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ) [النجم/١٩].

هذه الآية إنكار من الله تعالى على الكفار عبادتهم الأصنام، بأن هل لهذه الأصنام قدرة^(٢).

وهل أوحى شيئاً كما أوحى الله إلى محمد، أم هي جمادات لا تتفعل ولا تعقل، وهم فوق ذلك يجعلونها بنات لله، مع أن البنات مذمومات، فكيف يخصون الله خالقهم بهن، ويخصون أنفسهم بمن هو أفضل في زعمهم وهم الذكور، والله سبحانه وتعالى منزه عن الولد سواء أكان ذكراً أم أنثى^(٣).



- وفي قوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَأَنزَلْنَا أَبَاؤَنَا أَنبَاءًا لَمُخْرَجُونَ) [النمل/٦٧].

في هذه الآية إنكار من المشركين واستبعاد أن يخرجوا من قبورهم أحياء بعد أن صاروا تراباً، وأكدوا هذا بأن آباءهم وعدوا من قبل وهم، وما هذا إلا أساطير وأكاذيب^(٤).

فالاستفهام في (أإذا كنا تراباً وءاباؤنا) أفاد الإنكار، إنكار المشركين والكفار أن يخرجوا من قبورهم أحياء بعد أن ماتوا وأصبحوا تراباً، فكذبوا هذا الأمر واستبعدوه.

- وفي قوله تعالى: (أَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا) [ص/٨].

هذه الآية تخبر وتصف حال المشركين من نزول القرآن على محمد - صلى الله عليه وسلم - الكبر والعناد الذي فيهم جعلهم ينكرون أن يخص الله رسوله بمزية النبوة دونهم.

(١): عبد الرؤوف اللبدي، همزة الاستفهام في القرآن، ص ٢٦٠.

(٢): الشوكاني: فتح القدير، ٣٥/٥.

(٣): انظر: اللبدي، همزة الاستفهام، ص ١٢٣-١٢٤.

(٤): الشوكاني، فتح القدير، ١٨٥/٤.

أي: كيف يكون ذلك ونحن الرؤساء والأشراف، وهذا مثل قولهم: (لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ) "الزخرف/٣١". فأنكروا أن يتفضل الله سبحانه وتعالى على من يشاء من عبادة بما شاء^(١).

هم ينكرون أن محمداً جاءهم رسولاً، وهناك من هو أفضل منه، ولكن هذه المقاييس لا تساوي عند الله شيئاً، فالله أعلم حيث يجعل رسالته، فإنكارهم هذا أدى إلى نفيهم أن القرآن أن ينزل عليه من عند الله تعالى، وقالوا هذا كذب وافتراء وسحر.

الثالث - التوبيخ

جاء الاستفهام بالهمزة مفيداً معنى التوبيخ.

- في قوله تعالى: (أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ) [البقرة/٨٧].

الآية خطابها لبني إسرائيل، بينت حالهم وصفتهم الخبيثة من التكذيب والاستكبار وظنهم أنهم هم الأفضل، جاءت هذه الآية موبخة لهم، بأنهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم استكبروا عن إجابته احتقاراً للرسل، واستبعاداً للرسالة^(٢).

فالاستفهام توبيخ لبني إسرائيل من الله تعالى على تكبرهم على الرسل واحتقارهم إياهم، وقتلهم من يستطيعون قتله، وتكذيب من لا يقدر على قتله.

- وقوله تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا قَالْ أَدْخَبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّادًا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) [النمل/٨٤].

الآية في وصف جميع الكفار والمشركين، ومجيئهم إلى موقف الحساب، فيقول الله تعالى موبخاً لهم كذبتم بآياتي التي أنزلتها على رسلي، وأمرتهم بإيلاغها إليكم، وأنتم جاهلون لها غير ناظرين فيها ولا مستدلين على صحتها أو بطلانها، كل هذا تمرداً وجرأة على الله وعلى رسله، وهذا فيه مزيد توبيخ، لأن من كذب بشيء ولم يحط به علماً فقد كذب في تكذيبه، ونادى على نفسه الجهل وعدم الإنصاف، وسوء الفهم، وقصور الإدراك.

ومن هذا قبيل من تصدى لزم علم من العلوم الشرعية أو لزم علم هو مقدمة من مقدماتها، ويفيد زيادة بصيرة في معرفتها، وتعقل معانيها كعلوم اللغة العربية، وعلم أصول

(١): المرجع نفسه، ٥٢٦/٤.

(٢): المرجع السابق، ١٣٩/١.

الفقه، فإنه يتوصل به إلى استنباط الأحكام الشرعية عن أدلتها التفصيلية مع اشتماله على بيان قواعد اللغة الكلية، وهكذا كل علم من هذه العلوم التي لها مزيد نفع في فهم كتاب الله وسنة رسوله، فإنه قد نادى على نفسه بأرفع صوت بأنه جاهل مجادل بالباطل، مستحق لأن تنزل به قارعة من العذاب حتى يصير عبرة لغيره ويتعظ بها^(١).

فالاستفهام أفاد التوبيخ، توبيخ هؤلاء المكذبين على هذا التكذيب الذي يقوم على الجهل والعناد والتمرد، وما كان ينبغي لهم هذا، دون ان يفكروا ويمعنوا النظر.

- وقوله تعالى: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)

[القصص/٧١].

الآية خطاب للمشركين، على لسان الرسول - صلى الله عليه وسلم - قائلاً لهم: أخبروني يا من أشركتم بالله، أترون هذا الليل إن جعله الله عليكم دائماً مستمراً، سواده لا يعقبه نهار، من غير الله يأتيكم بنور تطلبون فيه المعيشة وتبصرون فيه ما تحتاجون إليه^(٢). فالاستفهام في (أرأيتم) يفيد التوبيخ، توبيخ المشركين على عبادتهم غير الله وعلى تركهم عبادة الله الذي يعلمون أنه هو الذي يأتيهم بالضياء بعد الليل ليبلغوا فيه من فضله^(٣).

- وقوله تعالى: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ)

[الأحقاف/٤].

الآية خطاب للمشركين، أي أخبروني عن هذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله، أي شيء خلقوا من الأرض ويكون ذلك حجة في عبادتكم هذه الأصنام، أم كان لهم مشاركة في خلق السموات.

فالاستفهام في (أرأيتم) للتوبيخ^(٤).

فهو توبيخ للمشركين على عبادتهم غير الله تعالى، مع علمهم أن الأصنام وغيرها مما يعبد من دون الله لا تستحق العبادة، فهي لم تخلق شيئاً، ولم يثبت صحة هذه العبادة، فكيف رضيتم وقبلتم بهذا وصددتم عن الهدى إذ جاءكم؟

(١): الشوكاني، فتح القدير، ٤/١٩٠-١٩١.

(٢): المرجع السابق، ٤/٢٢٩-٢٣٠.

(٣): اللبدي، همزة الاستفهام، ص ١١٣.

(٤): الشوكاني، فتح القدير، ٥/١٦.

الرابع - التعجب

- في قوله تعالى: (قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ) [هود/٧٢].
 هذا القول على لسان زوجة إبراهيم - عليه السلام - عندما بشرتها الملائكة بإسحاق -
 عليه السلام - فخرج استفهامها هذا للتعجب، أي كيف ألد وأنا شبيخة قد طعنت في السن،
 وزوجي شيخ كذلك، فهذا أمر عجيب^(١).
 ولكن لا عجب من قضاء الله وقدره، وهو الذي لا يستحيل عليه شيء، وإنما أمره إذا
 أراد شيئاً أن يكون له كن فيكون.

- وقوله تعالى: (الْم تَرَى إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ)
 [إبراهيم/٢٨].

هذا خطاب لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو لكل من يصلح له، يتضمن تعجب
 من حال الكفار حيث بدلوا نعمة الله وشكره عليها الكفر بها، وذلك بكفرهم بمحمد - صلى الله
 عليه وسلم - وتكذيبهم له حيث بعثه الله منهم وأنعم عليهم به^(٢).

فهذا تعجب من حالهم، ينعم الله عليهم وهم يبدلونها كفرًا وخسراناً ليس عليهم وحدهم
 فقط وإنما على قومهم بكفرهم وفسقهم ونقمتهم.

- وقوله تعالى: (قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا
 الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ) [الكهف/٦٣].

الآية من قصة موسى - عليه السلام - وفتاه، وكيف جعل فقدان الحوت إمارة على
 المكان الذي فيه الخضر.

فبعد حصول هذه الإمارة، ونسيان فتى موسى أن يخبره، قال فتى موسى لموسى متعجباً
 كيف نسي أن يذكر له ما كان من الحوت، وأنه قد حي واتخذ سبيله في البحر عجباً، فمثل
 ذلك لا ينسى ولا ينبغي أن يقع فيه نسيان.

(١): الشوكاني، فتح القدير، ٦٥١/٢.

(٢): المرجع نفسه، ١٣٣/٣.

وذهب أبو السعود إلى أن الاستفهام في (أرأيت) للتعجب، أي ان فتى موسى أراد أن يحمل موسى على التعجب من نسيانه، أن يذكر له ما كان من الحوت مع أن ذلك مما لا ينبغي أن ينسى^(١).

فالاستفهام للتعجب، سواء كان من الفتى، أم أراد أن يتعجب موسى من نسيانه وهذا غريب، إذ أن أمراً كهذا لا يمكن أن ينسى.

- وقوله تعالى: (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَّوَلَدًا) [مريم/٧٧].

روي أن الآية نزلت في العاص بن وائل، فقد كان لخباب بن الأرت دين عليه، فأتى يتقاضاه، فقال: لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد.

فقال خباب: والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث.

قال العاص: فإني إذا مت ثم بعثت جئتني ولي ثم مال وولد فأعطيك^(٢).

والآية فيها خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم - أرأيت الذي كفر بالقرآن، وقال متكبراً أنه سيوتى مالا وولداً، وهذا العلم لا يتأتى إلا بأحد طريقين إما أنه أطلع الغيب وعلمه أو اتخذ عند الله عهداً بهذا والأمر ليس كذلك، سيكتب كل هذا ويسجل عليه ويزداد العذاب عليه مكان ما يدعيه من الإمداد بالمال والولد ويأتي فرداً.

فالاستفهام للتعجب^(٣) من حال هذا الكافر، ومن جرأته، وكيف أقسم أنه سيوتى مالا وولداً، كأنه اتخذ عند الله عهداً أو اطلع الغيب.

- وقوله تعالى: (قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنْ النَّاعِبِينَ) [الأنبياء/٥٥].

قول يملئه الدهشة والتعجب، من قوم إبراهيم لما عاب عليهم عبادتهم للأصنام ووصفهم بالضلال والخسران، وأن ليس بعد هذا الضلال ضلال، قول غير متوقع ان يعيب إبراهيم عليهم آلهة آبائهم وقومه، فسألوه في تعجب ودهشة أجاد أنت فيما تقول أم أنت للاعب مازح؟

(١): أبو السعود، ارشاد العقل السليم، ٢٣٣/٥.

(٢): السيوطي، لباب النقول، ص ٤٥١.

(٣): المرجع السابق، ٤٣١/٣.

فما كان من إبراهيم - عليه السلام - إلا أنه أُضرب عما قالوه وأخبرهم أن هذا الأمر لا مزاح فيه، فأنه هو الخالق لكل شيء وأنا شهيد على ذلك، وهذه الأصنام التي يعبدونها لا تستحق العبادة.

فالاستفهام في (أجئتنا) فيه حقيقة الاستفهام، مع ما يحويه من تعجب ودهشة لما صدر من إبراهيم - عليه السلام - أهو جد أم مزاح.

الخامس - التقرير

جاءت الهمزة تقييد التقرير؛ في قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفًا حَذَرَ الْمَوْتِ) [البقرة/٢٤٣].

الاستفهام للتقرير، والرؤية هي رؤية القلب لا البصر، والرؤية هنا هي التي بمعنى الإدراك مضمنة معنى التنبيه، أو الانتهاء، أي ألم ينته علمك إليهم، أو معنى الوصول أي: لم يصل علمك إليهم.

حيث جعل الله سبحانه وتعالى قصة هؤلاء لما كانت بمكان من الشيوخ والشهرة يحمل كل أحد على الإقرار بها بمنزلة المعلومة لكل فرد، والخطاب منها لكل من يصلح له^(١). فالاستفهام أراد أن يقر من يسمع هذه الحادثة، ويعرفها بقدرة الله تعالى على الإماتة والإحياء، وهذه الحادثة مرادها الاعتبار والاستبصار بقصة هؤلاء.

- وقوله تعالى: (وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ) [الأنعام/٥٣].

أي أن الله تعالى فتن الناس بعضهم ببعض، حيث يقول الكافر الغني القوي مستهزئاً ومتكبراً أهؤلاء الفقراء الضعفاء من الله عليهم من بيننا بالهدى والإيمان. فرد الله عليهم أن الله أعلم بمن يشكر، وأن الشكر هو مرجع الاستحقاق لنعم الله، فكيف تعترضون على هذا^٢.

فالاستفهام (أليس الله بأعلم بالشاكرين) للتقرير، بما تضمنه من معنى الإثبات والإقرار بأن الله هو العالم بكل شيء.

(١): الشوكاني، فتح القدير، ١/٣٢٧.

(٢): انظر: المرجع السابق، ٢/١٥١-١٥٢.

- وقوله تعالى: (أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ) [التوبة/٧٠].
بعد ان أخبر الله تعالى عن حال الكفار في الآيات السابقة، أتبعها بالحديث عن الأمم والأقوام التي أهلكها الله تعالى، فخبّرهم قد وصل إلى المنافقين، وما كان منهم وما فعله الله بهم جزاء لأعمالهم، وهؤلاء الأقوام تعرف العرب أخبارهم.

وجاء الحديث على صيغة الاستفهام الذي يفيد التقرير^(١)، فالمخاطب يعلم بصحة هذا الأمر ويراد منه الإقرار والاعتراف، وليس مجرد الإخبار.
فلا يظن المرء أنه مخلد في الدنيا، ولن يعاقب ويجازيه الله على أفعاله، فلا بد من الاعتاض والاعتبار مما حدث مع هذه الأقوام التي ظلمت نفسها بعبادة غير الله.

- وننظر في هذه الآية كيف حثت على التفكير بقدرة الله، وجميل صنعه، في قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً) [الحج/٦٣].
استفهام للتقرير،^(٢) فقدرة الله تعالى ظاهرة للعيان، يعلمها المخاطب والسامع صورة تعبر عن قدرة الله عن الإنبات واخضرار الأرض.
فالاستفهام التقريري يستثير المخاطب لما يلقي عليه، لينبهه فيستقر المعنى في ذهنه^(٣).
ويستشعر بعظمة الخالق.

- وقوله تعالى: (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ) [الشعراء/٢٢٤-٢٢٥].

كان من المشركين من يقول: إن النبي-صلى الله عليه وسلم- شاعر، فبين الله تعالى حال الشعراء، ومنافاة ما هم عليه لما عليه النبي-صلى الله عليه وسلم-.

فالشعراء لا يتبعهم إلا الغاوون الضالون، وجاء الاستفهام مقررًا لهذا، ألم تر أنهم يخوضون في كل فن من فنون الكذب. فحال الشعراء معروفة، وما يصدر عنهم من ذم للحق ومدح للباطل... الخ من الأعمال التي حرمها الله. إلا من كان شعره دفاعاً عن الإسلام والمسلمين، والانتصار للحق فهذا مباح^(٤).

(١): المرجع السابق، ٤٨٥/٢.

(٢): الشوكاني، فتح القدير، ٥٧٧/٣.

(٣): انظر اللبدي، همزة الاستفهام في القرآن، ص ٢٤٢.

(٤): انظر الشوكاني، فتح القدير، ١٤٩/٤-١٥٠.

السادس - التهم

أفاد الاستفهام بالهمزة التهم، والاستهزاء والسخرية، وخرجت عن معناها الاستفهام الحقيقي، من ذلك:

- قوله تعالى: (قَالَ الْمَأْمُورُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ) [الأعراف/٧٥].

بعد أن أخبر الله تعالى عن صالح-عليه السلام- ودعوته قومه إلى عبادة الله تعالى، وكانت معجزته الناقية، وكيف امتن الله عليهم بأن استخلفهم في الأرض بعد قوم عاد، وأن عليهم أن يطيعوا الله ويؤمنوا به ولا يفسدوا في الأرض.

جميع الحقوق محفوظة

فدار حوار بين الرؤساء المستكبرين من قوم صالح والمستضعفين الذين استضعفهم المستكبرون وهم من آمنوا بصالح- عليه السلام- قالوا مستهزئين سيأخريين، أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه، فما كان من المستضعفين إلا أن أجابوا بأنهم مؤمنون برسالته، وأن رسالته أمر واضح.

فاستفهامهم كان تهكماً واستهزاء وسخرية لما ادعاه صالح من النبوة والرسالة، وأن الله تعالى أرسله إليهم^(١).

- وفي قوله تعالى: (أَهْوَاءٍ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا) [الأأنعام/٥٣]. سبق أن ذكرت أن هذا قول الكافرين، استهزاء وتهكماً بالمؤمنين، أي أهؤلاء الذين أكرمهم الله بإصابة الحق دوننا^(٢).

فالاستفهام أبرز صورة التعالي والكبر التي يتصف بها المعاندون لدين الله تعالى، وكيف يستهزؤون بمن هم دونهم، وكأن الدعوة تقاس بهم.

(١): الشوكاني، فتح القدير، ٢/٢٨٠.

(٢): المرجع السابق، ٢/١٥١.

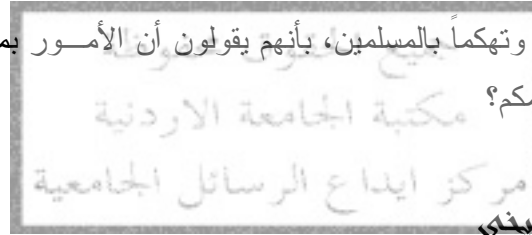
وقوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَنْطَعِمَهُ) [يس/٤٧].

روي أن هذه الآية نزلت في مشركي قريش، حين قال لهم فقراء المسلمين: أعطونا مما زعمتم من أموالكم أنها لله، يعنون قوله (وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا) "الأنعام/١٣٦" فحرموهم، وقالوا: لو شاء لأطعمكم.

فأخرجوا جوابهم (أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) استهزاء وتهكما بالمسلمين، بما كانوا يقولونه من تعليق الأمور بمشيئة الله^(١).

فكانهم حاولوا إلزام المسلمين بهذا القول، بأنهم يوافقون مشيئة الله فلا يطعمون من لم يطعمه الله، وهذا غلط ومجادلة بالباطل، فإن الله تعالى أغنى بعض خلقه وأفقر بعضاً، وأمر الغني أن يطعم الفقير فيما فرض له من ماله من الصدقة^(٢).

فكان قولهم استهزاء وتهكما بالمسلمين، بأنهم يقولون أن الأمور بمشيئة الله، فكيف نطعمكم ولم يشأ الله إطعامكم؟



السابع - إنكار توبيخ

قد يجتمع أكثر من معنى للهمزة في الآية الواحدة، وتعطي أكثر من مدلول لها و ذلك حسب ما يوحي به السياق، مثل:

- قوله تعالى: (قَالَ اتَّسِبِدُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ) [البقرة/٦١].

رغم ما من الله تعالى على بني إسرائيل من النعم ومن ضمنها إطعامهم، فضجروا الأكل من نوع واحد، وطلبوا من موسى -عليه السلام- أن يطلب من ربه أن يخرج لهم مما تنبت الأرض ليأكلوا، من باب تعنتهم وتعجرفهم كما هو الغالب في ما أخبر عنهم.

فأنكر عليهم موسى - عليه السلام - هذا الأمر^(٣)، مع توبيخهم، بأن الله أكرمهم بطعام لا تعب فيه وفيه لذة أكثر من زروع الأرض، ويريدون الأدنى والأقل من هذه النعمة، فأبيطباع

(١): الزمخشري، الكشاف، ١٩/٤.

(٢): الشوكاني، فتح القدير، ٤٦٦/٤.

(٣): أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ١٠٧/١.

هذه وتراكيب جبلت عليها نفوسهم؟

- وفي قوله تعالى: (أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) [آل عمران/٨٣].

أقام الله الحجج والبراهين على الكفار المعاندين لدينه، على صدق دعوة الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وأنه هو الدين الذي لا سواه وعلى الجميع ان يسلموا. فبعد كل هذا يبتغون غير دين الله الذي اختاره للناس جميعاً، فهذا أمر منكر لا يقبل، فكيف يتركوا عبادة الله ويتوجهوا إلى عبادة غيره.

فالاستفهام إنكار^(١) لاختيار غير دين الله، وتوبيخ لهم بعد ظهور الأدلة ووضوحها، يتجهون إلى غيره. والله نقاد وخضع جميع من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً.

- وفي قوله تعالى: (وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَأَنْتُمْ إِحْسَانٌ فَآخِذُوا مِنْهُ شَيْئًا اتَّخِذُوهُ بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مِيبَانٌ) [النساء/٢٠].

هذه الآية فيمن كان سبب الفراق هو الزوج، فيمنع من أخذ مالها، فالذي في الآية يختص فيمن ترك بارادته. فلا يحق له أن يأخذ شيئاً من مهرها. ونفر القرآن من هذا بطريقة الاستفهام التي أفادت الاستنكار والتوبيخ، أي إن فعلتم ذلك كنتم باهتين وآثمين^(٢).

فالاستفهام مسوق لتقرير النهي والتنفير من أخذ المال.

- و قوله تعالى: (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَمَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ) [التوبة/١٩].

ذكر أن المشركين قالوا إن عمارة بيت الله والقيام على السقاية خير ممن آمن وجاهد فكانوا يفخرون بالحرم ويستكبرون به من أجل أنهم أهله وعمّاره، فذكر الله سبحانه وتعالى قولهم هذا^(٣).

(١): أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٥٤/٢.

(٢): البيضاوي، أنوار التنزيل، ١٦٣/٢.

(٣): الشوكاني، فتح القدير، ٤٤١/٢.

وابتدأت الآية باستفهام يستتكر عليهم أن يُشبه المشركون بالمؤمنين، وأعمالهم المحبطة بأعمالهم المثبتة، وأن يسوى بينهم. وجعل التسوية ظلماً آخر يضاف لظلمهم العظيم وهو الكفر^(١).

فالآية فيها إنكار مع ما تعتريه من توبيخ للمشركين على قولهم هذا، وجرأتهم على المساواة بين أعمالهم وأعمال المؤمنين، فيكفي من المؤمنين إيمانهم ليكون أفضل من جميع ما يفعل الكافرون المشركون.

فالتوبيخ كان بسبب هذا الجعل، لأن أعمال الكفار محبطة وأعمال المؤمنين مثبتة، ولا يستوون. فالمشركون وأعمالهم في النار والمؤمنون وأعمالهم في الجنة.

- وقوله تعالى: (أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا) [الكهف/٣٧].

هذه الآية من قصة صاحب الجنتين والمؤمن الذي جادله وحاوره الكافر، فقد كان الكافر في سعة من العيش، أنعم الله عليه بجننتين مليئة بكروم العنب، وجعل النخل يحيط بتلك الجنتين، وتمت بزرع ما بين الجنتين من صنوف الزروع والنباتات المختلفة. واكتملت صورة الجنتين بتوفر الماء الذي قد جرى خلالهما نهراً.

كل هذا جعل الكافر يقول لصاحبه المؤمن محاوراً له بأنه أكثر منه مالاً وأعز نفراً، ويدخل جنته متباهياً معجباً، ولشدة فرط غفلته من اطمئنانه على بقاء هذه الجنان ودوام النعم قال إن هذه الجنان لن تبيد أبداً، وبعد نفيه فناء الجنان نفى موته وبعثه، وعلى تقدير صحة القول بالبعث، فإنه سيجد خيراً مما هو لديه الآن، قياساً على دنياه واغتراراً بما صار إليه، الذي هو استدراج له من الله تعالى.

فما كان من المؤمن إلا أن رد عليه منكرًا ما قاله^(٢)، موبخاً له، فما كان ينبغي له أن يكفر بالله عز وجل، وينكر البعث والحساب وهو الذي خلقه من تراب ثم من نطفة من سواء رجلاً، فالقادر على الخلق قادر على الإعادة والإحياء.

وما ينبغي له أن ينكر أن النعم التي هو فيها، جميعها أنعم الله بها عليه، فكان ينبغي أن يشكر الله تعالى لا أن يجحده.

(١): الزمخشري، الكشاف، ٢/٢٤٨.

(٢): الشوكاني، فتح القدير، ٣/٣٥٥.

الثامن: إنكارى تعجيبى

والاستفهام بالهمزة يفيد الإنكار والتعجب معا كما في قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ) [النساء/ ٥١].

هذا الحديث عن اليهود وأخلاقهم من الكفر، وجاء الحديث عنها بطريقة الاستفهام التي أفادت الإنكار والتعجب^(١).

فهو إنكار عليهم بأنهم أهل كتاب ومع هذا انحرفوا عن الإيمان بالله إلى الإيمان بالجبوت والطاغوت. فهذا أمر عجيب منهم وما كان ينبغي أن يكفروا بالله ويؤمنوا بغيره وهم أهل كتاب.

- وقوله تعالى: (قَالَ يَا وَيَلَّتَىٰ أُعْجِزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِي سَوَاءَ أَخِي) [المائدة/ ٣١].

هذه الآية من قصة ابني آدم وما كان من أحدهما، حيث قتل أخاه، وبعد أن تمثلت الجريمة أمامه استوقف نفسه حائراً ماذا يفعل بأخيه بعد أن قتله فبعث الله غرابين اقتتلا أمامه، فقتل أحدهما الآخر وحفر له حفرة دفنه فيها.

شهد ابن آدم هذا المشهد وامتلأ ندماً على هذا الفعل، الذي عجز على أن يخفيه لولا مشاهدته الغراب. فقال منكراً متعجباً^(٢): (أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب). فهو أنكر على نفسه عدم مقدرته على فعل ما بلغ إليه الطائر، وتعجب من عجزه لأن يهندي إلى ما اهتدى إليه الطائر.

- وقوله تعالى: (أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا) [الإسراء/ ٦١].

هذا قول إبليس عندما أمر الله تعالى أن يسجدوا لآدم - عليه السلام - فسجد جميع الملائكة إلا إبليس استكبر وأبى، استعظما لنفسه وحسداً لآدم^(٣).

فأجاب منكراً معللاً عدم سجوده، هل يسجد لمن هو مخلوق من الطين؟ فجاء استفهامه مفيداً الإنكار^(٤) والتعجب؟ ينكر أن يسجد لمن هو أدنى منه في نظره - ويتعجب كيف يسجد له وهو أقل منه.

(١): انظر: الألوسي، روح المعاني، ٥/٥٥.

(٢): أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٣/٢٨.

(٣): انظر الشوكاني، فتح القدير، ٣/١٦١.

(٤): البيضاوي، أنوار التنزيل، ٣/٤٥٤.

- وقوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَانِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَانُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا) [الفرقان/٦٠].

إخبار من الله تعالى عن المشركين وجهلهم باسم الرحمن، بأنه إذا قيل لهم اسجدوا وأطيعوا الرحمن، ردوا بعدم معرفتهم الرحمن وإنكارهم له. وأنهم لا يسجدون للرحمن الذي يأمرهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالسجود له. فجاء استقهامهم إنكاراً^(١)، أي لا يسجدوا للرحمن الذي يأمرهم الرسول بالسجود له. وتعجب من أمرهم بالسجود لمن لا يعرفون.

- وقوله تعالى: (أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ) [الجاتية/٢٣].

الآية فيمن اتخذ الهه ما تهواه نفسه، فترك متابعة الهدى إلى متابعة الهوى فكأنه يعبد^(٢). وكان أن ختم الله على سمعه فلا يسمع آيات الله فيتدبرها، وختم على قلبه فلا يدرك ما في كلام الله من حكم، فمن كان هكذا فلن يهتدي، ولا يوجد أحد غير الله يهديه.

فجاء الاستفهام مفيداً التعجب من حال من ترك متابعة الهدى إلى مطاوعة الهوى فكأنه يعبد، فإن النظر إلى مثل هذا يقتضي العجب^(٣). وهو إنكار عليه عمله وضلاله.

التاسع - إنكارى تقريرى

أفاد الاستفهام بالهمزة الإنكار وتقرير الأمر، في قوله تعالى: (أَأَنْتُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ) [الأنعام/١٩]

يؤمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يشهد بأن الله أكبر شهادة على صدقه. ويواجه المشركين الذين يتخذون من دون الله أولياء، ويجعلون لهم بعض خصائص الألوهية

(١): الشوكاني، فتح القدير، ١٠٥/٣.

(٢): البيضاوي، أنوار التنزيل، ١٧٢/٥.

(٣): أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٧٣/٨.

مع الله، ويدعون رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أن يقرهم على هذا الذي هم فيه ليدخلوا هم فيما جاءهم به.

كانوا يتصورون أن ذلك ممكن الحدوث، فكيف يمكن أن يجتمع الإسلام والشرك في قلب واحد، والذي يتصوره ناس في هذا الزمان، من إمكان أن يكون الإنسان مسلماً، وهو يتلقى من غير الله تعالى في شؤون حياته، ويخضع لغير الله ويتولى غيره^(١)!

أعلن لهم مضمون هذه الشهادة في صورة الإنكار والاستبعاد مع تقرير لهم^(٢). فأنكر عليهم شهادتهم وإقرارهم بوجود شريك مع الله وآلهة أخرى تستحق أن تعبد مع الله، فهذا عمل مستبعد عن وضحت لديه الدلائل، وأراد إقرارهم لإلزامهم وتبكيتهم بعبادتهم.

- وفي قوله تعالى: (قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) [يونس/٧٨].

بعد أن أظهر موسى- عليه السلام- الدليل الصادق والبرهان الساطع على صدق نبوته لم يكن أمام فرعون وملئه إلا أن يتعلقوا بحجة التقليد، التي هي دأب كل عاجز. فقالوا منكرين^(٣) على موسى عليه السلام أن يأتي ليصرفهم عن دين آبائهم وعبادة غير الله إلى عبادة الله، ليكون (في زعمهم) له ولأخيه الكبرياء والعظيمة عليهم.

وأفاد التقرير، فقد أقرّوا أن موسى جاءهم ليصدهم عن دين آبائهم، ليكون له ولهارون السلطان.

- وقوله تعالى: (يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرَأَيْبَ الْمُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) [يوسف/٣٩].

هذا هو المدخل الذي ابتدأ به يوسف- عليه السلام- كلامه مع صاحبي السجن، وبيان التوحيد والهداية، وكيف رسمت هذه الكلمات مقومات العقيدة، فخاطبهم بصيغة الاستفهام ليستثير تفكيرهم: هل الأرياب المتفرقون المختلفون خيرٌ لكم، أم الله المعبود بحق المتفرد في ذاته وصفته.

(١): انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ١٠٥٥/٢.

(٢): الزمخشري، الكشاف، ١١/٢.

(٣): أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ١٦٩/٤.

فأفاد هذا الاستفهام الإنكار والتقرير. إنكار من أن يكون الأرباب المتعددون والشرك بالله خير من عبادة الخالق المنفرد بصفات الكمال. ويريد أن يقرأوا بصحة هذا القول إلزاماً وحجة عليهم. فإله تعالى لا يريد منهم إلا التقوى والصلاح والعمل^(١).

- وقوله تعالى: (قَالَ أَوْلَوْ جِنَّتَكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ) [الشعراء/٣٠].

هذا قول موسى-عليه السلام- بعد أن هدده فرعون بالسجن إن اتخذ إلهاً غيره، ولجأ فرعون إلى الاستعلاء والتغلب بعد أن انقطعت عليه الحجة. فقال موسى-عليه السلام-. وإن جنتك بشيء مبين؟ فعرض عليه أن يريه الدليل الصادق، وكان أسلوباً فيه ملاحظة^(٢) مع ما تتضمنه من إنكار على فرعون أن يسجنه وقد جاءه بدليل صادق على كلامه وبرهان واضح عليه. وفيه معنى الإقرار بأن ما جاء به موسى هو الدليل الذي تبين به صدق كلامه.

- وقوله تعالى: (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى * وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى) [النجم/٣٣-٣٤].

ذكر أن الآية نزلت في الوليد بن المغيرة^(٣)، وروي أنها نزلت في غيره^(٤). والآية إنكار على من تولى عن دين الله، سواء أكان مشركاً أو دخل في الإسلام وارتد عنه.

والإنكار على من دخل في الإسلام ثم ارتد أشد وأقوى، لأنه قد تبين له الأدلة والحجج ثم أعرض لمجرد أن غير بتركه دين آبائه.

العاشر - إنكارى توبيخي تعجبي

أفاد الاستفهام بالهمزة الإنكار والتوبيخ والتعجب، في عدة آيات، منها:

- قوله تعالى: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) [المائدة/٥٠].

توبيخ وإنكار وتعجب^(٥)، توبيخ لمن يبغي حكم الجاهلية ويعرض عن الحكم بما أنزل الله تعالى، وإنكار عليه هذا الأمر، فلا يجتمع الأمران فإما حكم الجاهلية وإما حكم الله وحكم

(١): الشوكاني، فتح القدير، ٣/٣٢.

(٢): الشوكاني، فتح القدير، ٤/١٢٢.

(٣): الطبري، تفسير جامع البيان، ٢٧/٧٠.

(٤): الشوكاني، فتح القدير، ٥/١٤١.

(٥): أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٣/٤٧.

شريعته.

وتعجب من بان له حسن حكم الله، ويذهب إلى حكم غيره، فهل هناك من هو أحسن حكماً من الله؟ لأن التولي عن حكمه وطلب حكم آخر أمر منكر عجيب.

- وقوله تعالى: (أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ) [التوبة/٣٨].

نزلت هذه الآية حين دعا رسول الله- صلى الله عليه وسله- أصحابه إلى الجهاد وذلك في تبوك، وكان ذلك وقت حر شديد، فشق ذلك على الناس، فنزلت هذه الآية فيمن تخلف، متضمنة إنكار ما حدث.

فما لكم أيها المؤمنون إذا دعيتم إلى الجهاد في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض ورضيتم بالحياة الدنيا بدلاً من الآخرة، فما نعيم الدنيا مقارنة إلى الآخرة؟

فجاء الاستفهام مفيداً الإنكار والتوبيخ والتعجب^(١)، فما كان ينبغي للمسلمين أن يرضوا بنعيم الدنيا القليل الحقير الزائل بدلاً من نعيم الآخرة الدائم. وأفاد التعجب، من حالهم كيف رضوا وآثروا نعيماً قليلاً على نعيم دائم، فهذا يبعث التعجب، فكيف وقع منهم؟

- وقوله تعالى: (أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ) [هود/٧٨].

جاءت الملائكة إلى لوط، ورآهم في حالة حسنة، فسأه مجيئهم وضاق بهم، خوفاً عليهم من قومه لما يعلم من فسقهم وارتكابهم الفاحشة، وصل الخبر إلى قومه عن وجود ضيوف بصورة جميلة، فجاؤوه يهرعون إليه، ويطلبون من لوط ان يمكنهم من ضيوفه فحاورهم وحاول إقناعهم، أثارهم بقوله: أليس منكم رجل رشيد؟.

استفهام يفيد الإنكار والتوبيخ^(٢) والتعجب، فقد أنكر لوط على قومه تركهم الرشيد، ووبخهم على اجتماعهم على الفحشاء جميعهم. وتعجب أن لا يكون منهم على كثرتهم وسوء مطلبهم رجل عاقل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويعين على دفع الشر.

- وقوله تعالى: (أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ) [الإسراء/٦٨].

(١): المرجع السابق، ٦٥/٤.

(٢): الشوكاني، فتح القدير، ٦٥٥/٢.

أجرى الله سبحانه وتعالى الفلك في البحر لتحمل الإنسان إلى أماكن شتى، وإذا ما أصابهم ضرر في البحر، نسوا آلهتهم ودعوا الله تعالى، فلما نجاهم إلى البر عادوا إلى ما كانوا عليه من الشرك وعبادة الأصنام، ولم يشكروا الله تعالى.

فما كان ينبغي لهم أن يفعلوا ذلك، فهل آمنوا أن يخسف الله بهم الأرض، وأن يرسل عليهم حاصباً، فالله قادر على كل شيء. وهل آمنوا أن يعيدهم في البحر فيرسل عليهم ريحاً شديدة تقصفهم فيغرقوا جزاء لكفرهم.

كل هذا أخرجه الاستفهام في (أفأمنتم) في صورة التوبيخ والإنكار^(١) والتعجب منهم. توبيخاً لهم على أمنهم من عذاب الله، وإنكاراً عليهم عودتهم إلى الكفر بعد أن أنجاهم الله من الموت، فبدل شكره وعبادته عادوا إلى آلهتهم وأصنامهم، فعليهم أن لا يأمّنوا مكر الله وغضبه، وكيف يأمّنون مكر الله وهم قد كفروا به بعد إذ نجاهم الله من الموت، عجباً لهؤلاء؟

- وقوله تعالى: (اتَّخَذْنَاَهُمْ سَخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ) [ص/٦٣].

قول يخرج من أفواه أهل النار، إنكاراً على أنفسهم وتأنيباً لهم في السخرية من المؤمنين^(٢)، الذين كانوا يقولون أنهم هم الأشرار، آذوهم وسخروا منهم طويلاً، وحقروهم فصبروا ولم يباليوا.

فقولهم بعد معرفتهم من هم الأشرار إنكاراً وتوبيخاً لأنفسهم يوم القيامة وهم يعذبون في النار على سخريتهم في الدنيا من المؤمنين، وأنه ما كان ينبغي لهم أم يفعلوا ذلك.

وفيه تعجب^(٣) من المشركين بأن الذين اتخذوهم سخرية وقالوا هم الأشرار ليسوا معهم، فهل كانت أفعالهم سخرية أم أنهم لا يستطيعون رؤيتهم؟

(١): الزمخشري، الكشاف، ٦٥٢/٢.

(٢): أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٢٣٣/٧.

(٣): الفراء، معاني القرآن، ٧٠/٢.

المطلب الثاني: (هل) وأثرها في التفسير

(هل) حرف استفهام، تدخل على الأسماء والأفعال، لطلب التصديق الموجب لا غير^(١).
أي الحكم بالثبوت أو الانتفاء.
والأصل فيها الاستفهام، وقد ترد لمعان آخر:

الأول- الاستفهام التقريري

وهو الاستفهام الذي قال النحاة إن (هل) تكون فيه بمعنى (قد) أو (إن) لإثبات وجود شيء أو تقرير وجوده^(٢) نحو:

- قوله تعالى: (قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا) [البقرة/٢٤٦]
الاستفهام للتقرير، وتشبث أن المتوقع كائن، وأنه صائب في توقعه، أي أنه يتوقع
جنبهم عن القتال، فأدخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون. إشعاراً بأنه كائن^(٣)،
وهي صفة من صفات بني إسرائيل النقص وعدم الصدق.

- وقوله تعالى: (فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم) [الأعراف/٤٤]
مناداة أصحاب الجنة لأصحاب النار لم تكن لقصد الإخبار لهم بما نادوهم به، بل لقصد
تبكيتهم وإيقاع الحسرة في قلوبهم، فالاستفهام للتقرير والتوبيخ. أي: إنا قد وصلنا إلى ما
وعدنا الله به من النعيم، فهل وصلتم إلى ما وعدكم الله به من العذاب^(٤).

ولكن هذا الاستفهام فيه تقرير، فهم أرادوا أن يقر الكافرون بأن ما وعدوا من العذاب
حق. وكان هذا.

- وقوله تعالى: (وهل أتاك نبؤ الخصم إذ تسوروا المحراب) [ص/٢١]

(١): المرادي، الجنى الداني، ص ٣٤١.

(٢): محمد الشريف، معجم حروف المعاني، ١١٤١/٣.

(٣): الزمخشري، الكشاف، ٢٨٧/١.

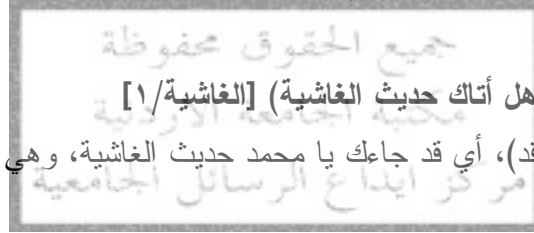
(٤): الشوكاني، فتح القدير، ٢٦٤/٢.

الآية ظاهرها الاستفهام، ومعناه الدلالة على أنه من الأنبياء العجبية التي حقها أن تشيع، ولا تخفى على أحد، والتشويق إلى استماعه^(١)، فالاستفهام لتشويق السامع إلى معرفة هذه الحادثة وأخذ الدروس والصبر.

- وقوله تعالى: (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً)

[الإسنان/١]

هل بمعنى (قد) في الاستفهام خاصة، فالمعنى: أقد أتى؟ على التقرير والتقريب جميعاً، أي: أتى على الإنسان قبل زمان قريب كان شيئاً منسياً غير مذكور، نطفة في الأصلاب^(٢). ولكن (هل) لا تخلو من التقرير، فمعلوم أن الإنسان كان نطفة، ولم يكن شيئاً، ولعل الاستفهام جاء من غير صيغة قد، استشارة لعقول البشر على طول الأزمان، لعلها تستيقظ وتعود وتؤمن بالله الذي أوجدها من لا شيء.



- وقوله تعالى: (هل أتاك حديث الغاشية) [الغاشية/١]
 قيل: (هل) بمعنى (قد)، أي قد جاءك يا محمد حديث الغاشية، وهي القيامة، لأنها تغشى الناس والخلائق بأهوالها.
 وقيل: (هل) على معناها الاستفهامي، المتضمن للتعجب مما في خبره، والتشويق إلى استماعه^(٣).

فهي على معناها من التشويق إلى سماع الحديث عنها، وتحريك نفس السامع إلى تلقي الخبر.

- وقوله تعالى: (هل في ذلك قسم لذي حجر) [الفجر/٥]

الاستفهام لتقرير تعظيم ما أقسم الله به وتقديره من هذه الأمور المذكورة، فمن كان ذا عقل ولب علم أن ما أقسم الله تعالى به من هذه الأشياء حري وحقيق بأن يقسم بها^(٤). فالاستفهام أراد إثارة عقول المخاطبين، ليدركوا بعقولهم عظم خلق الله وصنيعه، وأن هذه الأمور حرية بهذا الاهتمام والقسم بها.

(١): الزمخشري، الكشاف، ٧٩/٤.

(٢): المرجع السابق، ٦٣٥/٤.

(٣): الشوكاني، فتح القدير، ٥٣٤/٥.

(٤): المرجع السابق، ٥٤٢/٥.

الثاني - الاستفهام الإنكاري

وهذا الاستفهام يتركز على إنكار أمر أو معتقد لدى الكفار والمشركين أو الإنسان بصفة عامة، نحو:

- قوله تعالى: (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة)
[البقرة/٢١٠]

(هل) هنا للنفي، والمعنى: ما ينظرون، ولذلك دخلت (إلا). وكونها بمعنى النفي إذا جاء بعدها (إلا) كثير الاستعمال في القرآن وكلام العرب^(١).

فالله تعالى ينكر على الكفار أفعالهم، كأنه لم يبق لديهم إلا أن يأتيهم الله والملائكة.

- وقوله تعالى: (يقولون هل لنا من الأمر من شيء) [آل عمران/١٥٤]
وهذا حكاية قول قاله المنافقون، فقد روي أنه قيل لعبد الله بن أبي بن سلول، قتل بنو الخزرج فقال: وهل لنا من الأمر من شيء؟ يريد أن الرأي ليس لنا، ولو كان لنا منه شيء لسمع من رأينا فلم نخرج فلم يقتل أحد منا^(٢).

فهل هنا للنفي، وهو من الأحكام التي تختص بها دون الهمزة، ومعناه الجحد. أي ليس لهم من الأمر شيء، وهذا زيادة في تحسرهم وعدم قدرتهم على فعل شيء.

- وقوله تعالى: (قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق) [يونس/٣٥]
استفهام ينكر على المشركين أفعالهم، وبإشراكهم أصنامهم في عبادة الله، فهل شركاؤهم يهدون إلى الحق ويوصلونهم إليه، لكن الله هو الذي يفعل ذلك، ويهدي إلى الحق دون غيره - جلّ وعلا-^(٣).

فهو تحدي لهم بأن من شركائهم من يهدي إلى الحق، وتوبيخ لهم على شركهم وعبادتهم من لا يهدي.

(١): أبو حيان، البحر المحيط، ١٢٤/٢.

(٢): ابن عطية، المحرر الوجيز، ٥٢٨/١.

(٣): أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ١٤٣/٤.

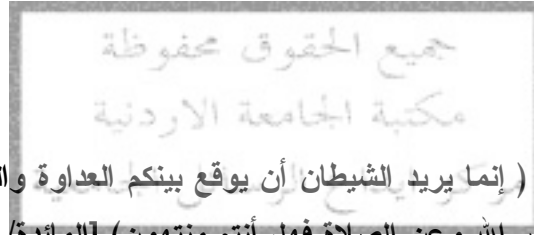
- وقوله تعالى: (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم)

[محمد/٢٢]

خطاب للذين في قلوبهم مرض بطريق الالتفات، جاء بصيغة الاستفهام لمزيد التوبيخ والتقريع^(١).

فهم لما عهد منهم وعرفوا بضعف عقيدتهم وإيمانهم إن تولوا إلا أن يفسدوا في الأرض ويقطعوا أرحامهم. فلا يصدر عنهم غير هذه الأعمال إن هم تولوا عن الحق وأعرضوا عنه. فهو توبيخ لهم وإنكار لما عهد منهم، وكيف يريدون الرجوع إلى ما أخرجهم الله منه وتفضل عليهم بابتعاث نبي منهم يخرجهم من الظلمات إلى النور.

الثالث- الاستفهام الطلبي



ويندرج تحته عدة معان:

أولاً - الأمر

- نحو قوله تعالى: (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) [المائدة/٩١]

هذا النهي من أبلغ ما ينهى به، كأنه قيل: قد تلي عليكم ما فيهما من أنواع الصوارف والموانع، فهل أنتم منتهون^(٢). بمعنى انتهوا، ولهذا قال عمر-رضي الله عنه- لما سمع هذا: انتهينا^(٣).

فالآية جاءت بصيغة الاستفهام وهي بمعنى الأمر، وهذا النهي أبلغ من الأمر، والنفس تتلقاه أسرع من الأمر الصريح. إذ فيه تعريض بما يقومون به.

- وقوله تعالى: (فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو

فهل أنتم مسلمون) [هود/١٤]

أي بعد ما ظهر من الحجة القاطعة، من عجز الكفار عن الإتيان بشيء يشبه القرآن، فإن هذا الأمر دلالة أكيدة على عجزهم، وأنه منزل من عند الله، فاثبتوا على دينه وأخلصوا له^(٤). ففيه دلالة قاطعة على صدق الرسالة، وأن عليهم أن يخلصوا ويؤمنوا.

(١): الشوكاني، فتح القدير، ٤٧/٥.

(٢): الزمخشري، الكشاف، ٦٦١/١.

(٣): الشوكاني، مرجع سابق، ٩٣/٢.

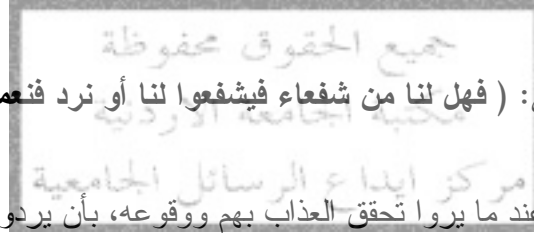
(٤): انظر الشوكاني، فتح القدير، ٦٢٠/٢.

- وقوله تعالى: (وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون) [الأنبياء/٨٠]

من تفضل الله عليه، وكرّمه وعلمه وجب عليه شكره، والشكر لا يكون منقطعاً بل مستمراً ثابتاً. والاستفهام في الآية جاء بمعنى الأمر^(١)، أي اشكروا الله على ما من عليكم به ولهذه النعمة التي أنعم بها عليكم.

- وقوله تعالى: (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) [القمر/١٧]

كتاب أنزله الله، جمع فيه سعادة البشرية، وشتى صنوف العلوم، وجعله الله منهاجاً ودستوراً، فمن كان كذلك وجب الاتعاظ به، والاعتبار بعبره وفيها حث على درس القرآن، والاستكثار من تلاوته والمسارة في تعلمه^(٢).



ثانياً - التمني

- نحو قوله تعالى: (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل) [الأعراف/٥٣]

تمني من الكفار^(٣) عند ما يروا تحقق العذاب بهم ووقوعه، بأن يردوا فيعملوا صالحاً غير الذي كانوا يعملوه، من كفر وصد.

فجاء الاستفهام ليفيد تمني الكافرين من وجود من يشفع لهم فينقذهم مما هم فيه، أو يردوا فيعملوا صالحاً. ولكن لا شفاعة لهم ولا رجوع. وتحسر منهم على حالهم.

- وقوله تعالى: (فيقولوا هل نحن منظرون) [الشعراء/٢٠٣]

هذا على جهة التمني منهم، والرغبة حيث لا تنفع الرغبة^(٤). وهذا من الطمع في المحال. فمتى ما وقع أمر الله وقضاؤه فلا فائدة من الأمنيات والطمع في أمور مستحيلة، فأنه تعالى يمهل الإنسان لعله يستيقظ من سباته، والفوز لمن وعى.

(١): المرجع السابق، ٥١٩/٣.

(٢): المرجع السابق، ١٥٣/٥.

(٣): المرجع السابق، ٢٦٨/٢.

(٤): أبو حيان، البحر، ٤٣/٦.

ثالثاً- الطلب بمعنى التحسر والاستبعاد

- نحو قوله تعالى: (يقولون هل إلى مرد من سبيل) [الشورى/٤٤] هذا القول يقوله الكفار الذين ظلموا أنفسهم بعبادتهم غير الله عند رؤيتهم العذاب، متحسرين على حالهم، وسوء ما رأوه، يريدون العودة ليعملوا صالحاً ويؤمنوا. وهذا بعيد، مستبعد عنهم^(١).
فهم مستبعدين خروجهم ولكن مع هذا يتمنوا العودة والرجوع ليؤمنوا. تحسرا منهم على ما فاتهم.

رابعاً- اليأس والقنوط، في:

- قوله تعالى: (فهل إلى خروج من سبيل) [غافر/١١] أي خروج إلى أي نوع من أنواع الخروج سريع أو بطيء، أم أن اليأس واقع دون ذلك. فلا خروج ولا سبيل إليه. وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط. ويقولون ذلك تعلاً وتحيراً^(٢).
فهم من يأسهم وقنوطهم بأنه لا سبيل لخروجهم، تمنوا أن يخرجوا ولو بعد حين على أمل النجاة.

الرابع: الاستفهام العرضي

وهو طلب على سبيل التأدب والتلطف، أو تقديم شيء، نحو:
- قوله تعالى: (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضبه عليه) (المائدة/٦٠)
جاء الاستفهام مقدماً ومقرراً أن فيهم من العيب ما هو أولى بالعيب، وهو ما هم عليه من الكفر بالله الموجب للعن الله وغضبه ومسخه^(٣).

(١): انظر ابن عطية، المحرر الوجيز، ٤١/٥.

(٢): الزمخشري، الكشاف، ١٥١/٤.

(٣): الشوكاني، فتح القدير، ٦٨/٢.

فهذا توقيف ليبين للمسلمين شرا أكثر من نقمهم عليهم، هو غضب الله عليهم ولعنهم وجعل القردة والخنازير منهم نتيجة لكفرهم. فهل هناك شر أكثر من ذلك؟

- وقوله تعالى: (قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً)

[الكهف/٦٦]

هذا سؤال الملائف المبالغ في حسن الأدب، والمعنى: هل يتفق لك ويخف عليك^(١). وهذا خلق جميع الأنبياء حسن الأدب والحوار. وما ينبغي للمسلمين من تعلمه وإتقان حسن الخطاب والحوار والأدب والتلطف في ذلك.

- وقوله تعالى: (فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً) [الكهف/٩٤]

استفهام على جهة حسن الأدب^(٢). وهو حسن أدب منهم مع ذي القرنين في طلبهم منه بناء سد بينهم وبين يأجوج ومأجوج. وحسن الأدب أقرب إلى الإقناع.

- وقوله تعالى: (وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق

إنكم لفي خلق جديد) [سأ/٧]

قول الكافرين هذا فيه معنى الاستهزاء بما وعدهم الله على لسان رسوله عليه الصلاة والسلام من البعث، وأخرجوا الكلام مخرج التلهي به والتضاحك مما يقوله من ذلك^(٣). فهم أرادوا عرض قضية تعجبوا منها، وهي بعث الله لهم بعد أن يموتوا، إنكاراً لهذا الأمر.

- وقوله: (فقل هل لك إلى أن تزكى) [النازعات/١٨]

أمر من الله تعالى إلى موسى - عليه السلام - مخاطبة فرعون بالاستفهام الذي معناه العرض، ليستدعيه بالتلطف^(٤). فهو استفهام يشعر بالنصح ويؤثر في قبول من يخاطبه^(٥). وهذا أمر مهم في مجال عرض الدعوة، فلا بد من التلطف في أثناء عرض الدعوة. خوفاً من النفور والإعراض، فاللطف أقرب وباب من أبواب نشر الأمور.

(١): القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٧/١١.

(٢): المرجع السابق، ٥٩/١١. أبو حيان، البحر، ١٦٤/٦.

(٣): الشوكاني، فتح القدير، ٣٩١/٤.

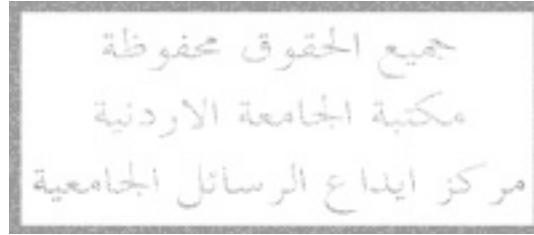
(٤): الجمل، حاشيته على الجلالين، ٤٧٣/٤.

(٥): أبو حيان، البحر، ٣٨٥/٦.

- وقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) [الصف/١٠]

الاستفهام إيجاب وإخبار في المعنى، وذكر بلفظ الاستفهام تشريفاً لكونه أوقع في النفس^(١).

ففيه حض لهم على سماعه وتشويقهم إلى ماهية التجارة التي تنجي من العذاب الأليم، الإيمان بالله والجهاد في سبيله. ينجي من العذاب، وهي التجارة الربحية.



(١): الجمل، حاشيته على الجلالين، ٣٣١/٤.

المطلب الثالث: (مَنْ) وأثرها في التفسير

اسم يُستفهم به عن العاقل. فالاستفهام بها يكون حقيقياً في حين، وفي آخر قد يكون الاستفهام مجازياً، فيخرج عن الاستفهام الحقيقي إلى معانٍ أخرى^(١).

من أحوالها:

أولاً: (من ذا) لم يقع في القرآن إلا وبعده الاسم الموصول (الذي). وجاء في خمس آيات^(٢)، هي:

- قوله تعالى: (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له) [الحديد/١١].
رغب الله في الصدقة، فقال: من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له^(٣). فجاء الاستفهام حثاً لهم وترغيباً في الصدقة. وعظم هذا الفعل وما سيلاقى من جزاء مضاعف لعمله.

- وقوله تعالى: (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) [البقرة/٢٥٥].
استفهام في معنى النفي، ولذلك دخلت (إلا) في الكلام^(٤). وفيه إنكار على من يزعم أن أحداً من عباده يقدر على أن ينفع أحداً منهم بشفاعته أو غيرها، والتقريع والتوبيخ له ما لا مزيد عليه، وقد بينت الأحاديث الصحيحة الثابتة صفة الشفاعاة ولمن هي ومن يقوم بها^(٥).

- وقوله تعالى: (قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة) [الأحزاب/١٧].

استفهام في معنى النفي، أي لا أحد يعصمكم من الله^(٦). ففضاء الله وأمره نافذ لا محالة، ولا راد لما أراه الله، فهو القادر المتصرف بكل شيء. فالمراد إنكار العصمة والعاصم، ونفي تحققه.

(١): محمد الشريف، معجم حروف المعاني، ١٠٢١/٣.

(٢): عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن، ٢٧٤/٣.

(٣): الشوكاني، فتح القدير، ٢١٠/٥.

(٤): انظر: أبو حيان، البحر، ٢٧٨/٢-٢٧٩.

(٥): الشوكاني، مرجع سابق، ٣٤١/١.

(٦): أبو حيان، البحر، ٢١٩/٧.

- وقوله تعالى: (وإن يخذلكم فمّن ذا الذي ينصركم من بعده) [آل عمران/١٦٠].
 الاستفهام يتضمن النفي^(١). وفيه إنكار على من يظن على أن النصر قد يكون من عند غير الله.
 وهذه قاعدة وسنة من سنن الله تعالى، أن النصر بيده، ينصر من يشاء ويخذل من يشاء،
 ومن خذله فلا ناصر له من بعد الله.

ثانياً: وقع (أفعل) التفضيل خبراً عن (من) الاستفهامية في ستة مواضع، وأريد فيها معنى النفي.

- قوله تعالى: (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) [البقرة/١١٤].
 الاستفهام فيه نفي للأظلمية، ونفي الأظلمية لا يستدعي نفي الظلمية، وإذا لم يدل على نفي الظلمية لم يكن في تكرير (ومن أظلم) تناقض، لأن فيها إثبات التسوية في الأظلمية. وإذا ثبتت التسوية فيها لم يكن أحد ممن وصف بذلك يزيد على الآخر.
 وصار المعنى: لا أحد أظلم ممن منع، وممن افتري، وممن ذكر، ولا يدل على أن أحد هؤلاء أظلم من الآخر. كما أنك إذا قلت: لا أحد أفقه من زيد وعمر وبكر لا يدل على أن أحدهم أفقه من الآخر، بل نفي أن يكون أحد أفقه منهم.

لا يقال: إن من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها ولم يفتر على الله الكذب أقل ظلاماً ممن جمع بينهما، فلا يكون مساوياً في الأظلمية، لأن هذه الآيات كلها في الكفار، منهم متساوون في الأظلمية، وإن اختلف طرق الأظلمية فكلها صائرة إلى الكفر. فهو شيء واحد لا تمكن فيه الزيادة لأفراد من الصف به، وإنما تمكن الزيادة في الظلم بالنسبة لهم ولعصاة المؤمنين بجامع ما اشتركا فيه من المخالفة، فنقول: الكافر أظلم من العاصي، ونقول: لا أحد أظلم من الكافر^(٢).

فهذا الاستفهام أعطى أبلغ دلالة على أن هذا الظلم متناه، وأنه لا شيء أظلم منه. وفيها توبيخ فاعله.

(١): أبو حيان، البحر، ١٠٠/٣.

(٢): أبو حيان، النهر، ٣٥٦/١. وانظر: الجمل، حاشيته على الجلالين، ٩٧/١.

- وقوله تعالى: (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة) [البقرة/١٣٨]. استفهام معناه النفي، أي لا أحد أحسن من الله صبغة، و(أحسن) هنا لا يراد بها حقيقة التفضيل، إذ صبغة الله غير منبثق عنها الحسن. أو يراد التفضيل باعتبار من يظن أن في صبغة غير الله حسنا، لا أن ذلك بالنسبة إلى حقيقة الشيء^(١). وفيه تعظيم لدين الله وشريعته، وتميزه عن دون الشرائع الوضعية الأخرى. فهو دين رباني شامل.

- وقوله تعالى: (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن) [النساء/١٢٥]. استفهام معناه النفي^(٢). أي لا أحد أحسن ديناً ممن أسلم لله وجعله الحاكم وولي أمره. وانتقاد لحكمه، أو يساويه.

- وقوله تعالى: (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) [القصص/٥٠]. يفيد النفي، أي لا أحد أضل منه، بل هو الفرد الكامل في الضلال^(٣). وتقيد الإنكار مع تقبيح وتوبيخ من اتبع هواه وعدل عن هدى الله.

- وقوله تعالى: (ومن أوفى بعهد من الله) [التوبة/١١١]. استفهام على جهة التقرير، أي لا أحد أوفى^(٤). وفي ذلك تعظيم لله تعالى، فلا أحد أوفى منه جل جلاله.

ثالثاً: الاستفهام يفيد الإنكار والتوبيخ

يجيء الاستفهام مع (من) مراد به الإنكار والتوبيخ، فلا يكون له جواب، وإنما هو بمعنى النفي، ولذلك وقعت بعده (إلا) في بعض المواضع:

- قوله تعالى: (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه) [البقرة/١٣٠].

(١): أبو حيان، البحر، ٤١٢/١. الجمل، حاشيته على الجلالين، ١٣/١.

(٢): أبو حيان، النهر، ٣٥٦/٣.

(٣): الشوكاني، فتح القدير، ٢٢١/٤.

(٤): أبو حيان، النهر، ١٠٢/٤.

الاستفهام للإنكار^(١). أي ما يرغب عن ملة إبراهيم ويعرض عنه إلا من سفه نفسه، وقال الزجاج: سفه بمعنى جهل، أي جهل أمر نفسه فلم يفكر فيها^(٢).
ففيها توبيخ لمن يرغب عن ملة إبراهيم، وهي التوحيد والإيمان بالله.

- وقوله تعالى: (ومن يغفر الذنوب إلا الله) [آل عمران/١٣٥].
الاستفهام في الآية إنكار مع ما يتضمنه من الدلالة على أنه المختص بذلك سبحانه دون غيره، أي لا يغفر جنس الذنوب أحد إلا الله.
وفيه ترغيب لطلب المغفرة منه سبحانه وتثييط للمذنبين أن يقفوا في مواقف الخضوع والتذلل^(٣).

- وقوله تعالى: (قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون) [الحجر/٥٦].
أي لا أحد يقنط من رحمة ربه إلا الضالون، وكان هذا رد إبراهيم عليه السلام عندما بشرته الملائكة بالولد فاستغرب لكبر سنه، لا لقنوطه من رحمة ربه^(٤).
فالاستفهام للإنكار، ينكر أن يقنط أحد من رحمة ربه ومن يقنط لا يكون إلا ضالاً.

- وقوله تعالى: (فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا) [غافر/٢٩].
أي من يمنعنا من عذاب الله ويحول بيننا وبينه عند مجيئه، وفي هذا تحذير منه لهم من نقمة الله بهم وإنزال عذابه عليهم^(٥).

فلا أحد ينصر من بأس الله وعذابه إذا جاء. فهو إنكار وجود من ينصر إذا جاء بأس الله، فلا أحد يستطيع.

- وقوله تعالى: (وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله) [الجاثية/٢٣].

(١): الشوكاني، فتح القدير، ١/١٨١.

(٢): المرجع السابق، ١/١٨١.

(٣): المرجع السابق، ١/٤٨١.

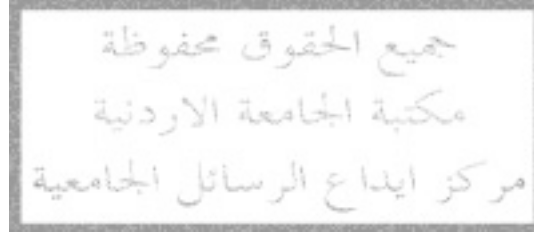
(٤): انظر الشوكاني، فتح القدير، ٣/١٦٧.

(٥): انظر المرجع السابق، ٤/٦١٢.

أي من يهدي بعد من أضله الله، فلا هادي إلا الله، فهذا إنكار على من حاله حال الكافر الذي اتخذ إليه هواءه، وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فهل هناك من يهديه بعد ما أضله الله؟

رابعاً: الاستفهام يفيد التقرير

- نحو قوله تعالى: (قل من رب السماوات والأرض قل الله) [الرعد/١٦].
أمر الله سبحانه رسوله أن يسأل الكفار من رب السماوات والأرض؟ وأمر أن يجيب قل الله، فكأنه حكى جوابهم وما يعتقدونه، وهم يقولون أن الله هو الخالق^(١).



(١): انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ١٢/٥

المطلب الرابع: (ما) وأثرها في التفسير

(ما) الاستفهامية، اسم يُستفهم به عن غير العاقل وقد تستخدم مع العاقل وهناك أمثلة عديدة من الآيات، وعن حقيقة الشيء أو صفته. وتدخل (ما) الاستفهامية على الاسم، نحو قوله تعالى: (الحاقة * ما الحاقة) [الحاقة/١-٢]. كما تدخل على الفعل، نحو: (وما أدراك ما يوم الدين) [الانفطار/١٧]^(١).

ويراد بما الاستفهامية في السياق:

أولاً - الاستفهام الحقيقي

- نحو قوله تعالى: (ادع لنا ربك يبين ما لونها) [البقرة/٦٨] خطاب على لسان بني إسرائيل، يطلبون من موسى عليه السلام أن يبين لهم ما لونها البقرة التي أمرهم الله بذبحها^(٢)، وكانوا كلما بان لهم أمرها تعنتوا في سؤالهم، ورجعوا إلى عادتهم من التشديد والسؤال من غير فائدة فشدها الله عليهم.

- قوله تعالى: (ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها) [البقرة/١٤٢] استفهام من سفهاء الناس كما سماهم القرآن، عن تحول المسلمين في صلاتهم عن بيت المقدس إلى الكعبة وكأن الاستفهام يخرج إلى الطعن والاستهزاء^(٣).

- وقوله: (قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه) [يوسف/٥١] هذا السؤال سألته الملك للنسوة مستفهما عن شأنهن مع يوسف عليه السلام ومرادتهن له. بياناً لبراءته وعتقه^(٤)، بناء على طلب من يوسف عليه السلام.

(١): محمد الشريف، معجم حروف المعاني، ٩٦٥/٣

(٢): انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ١١١/١

(٣): انظر: المرجع السابق، ١٧٠/١

(٤): انظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ٢٩٣/٣

- وقوله تعالى: (إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون) [الشعراء/٧٠] هذا من الحديث عن إبراهيم عليه السلام، حين سأل قومه ما يعبدون؟ أي شيء يعبدونه من دون الله؟ وهو مع علمه بأنها أصنام، إلا أنه أراد إلزامهم بالحجة^(١). بأن يكون الجواب منهم، لتكون حجة عليهم.

ثانياً - التعظيم

- نحو قوله تعالى: (فأصحاب اليمين أصحاب اليمين) [الواقعة/٨] ربط الجمل هنا بتكرير المبتدأ وأكثر ما يكون ذلك في موضع التهويل^(٢). فالاستفهام للتعظيم والتفخيم^(٣). أي ما أعظم شأن أصحاب اليمين، فهم في نهاية السعادة وحسن الحال.

- وقوله: (الحاقة * ما الحاقة) [الحاقة/١-٢] مفهومة هذه الجملة وإن كان لفظها استفهاماً، فمعناها التعظيم لشأنها وتفخيمها^(٤). أي أمرها وشأنها عظيم، لما فيها من الأهوال. أيداع الرسائل الجامعية

- وقوله تعالى: (عم يتساءلون * عن النبا العظيم) [النبأ/١-٢] معنى هذا الاستفهام تفخيم لشأنه، كأنه قيل: عن أي شيء يتساءلون، ونحوه ما في قولك: زيد ما زيد؟ جعله لانقطاع قرينه وعدم نظيره.

كأنه شيء خفي عليك جنسه فأنت تسأل عن جنسه^(٥). ولفظ (ما) موضوع لطلب حقائق الأشياء فجعل الشيء العظيم الذي يعجز العقل على أن يحيط به مجهول ولذا جيء بـ (ما)^(٦).

(١): الشوكاني، فتح القدير، ١٢٩/٤

(٢): أبو حيان، البحر المحيط، ٢٠٤-٢٠٥/٨

(٣): الشوكاني، مرجع سابق، ١٨٤/٥

(٤): المرجع السابق، ٣٤٧/٥

(٥): الزمخشري، الكشاف، ١٧٦/٤. الفراء، معاني القرآن، ٢٢٧/٣

(٦): الشوكاني، فتح القدير، ٤٥١/٥

الثالث - التحقير والتصغير

- نحو قوله تعالى: (إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون)

[الانباء/٥٢]

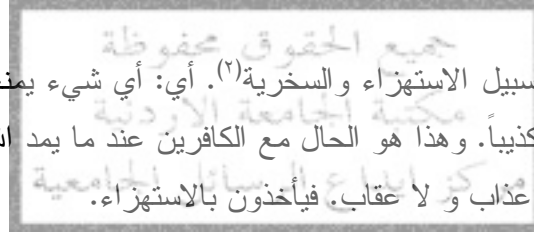
الاستفهام بـ (ما هذه التماثيل) تحقير لها، وتصغير لشأنها^(١). فهو عليه السلام ينكر على أبيه وقومه عبادة هذه التماثيل الحقيرة، التي لا تضر ولا تنفع.

الرابع - الاستهزاء والسخرية

- نحو قوله تعالى: (ولئن أخرجنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يحبسهم)

[هود/٨]

هذا الاستفهام على سبيل الاستهزاء والسخرية^(٢). أي: أي شيء يمنع من النزول استعجالاً له، استهزاء وتكذيباً. وهذا هو الحال مع الكافرين عند ما يمد الله لهم في غيهم، يظنون أنه لا حساب ولا عذاب ولا عقاب. فيأخذون بالاستهزاء.



- وقوله تعالى: (وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في

[الفرقان/٧]

الأسواق) يستفهام يصحبه استهزاء^(٣). أي ما باله يأكل الطعام كما نأكل ويتردد في الأسواق لطلب المعاش كما نتردد فلو صح ما يدعيه من النبوة فما باله لم يخالف حاله حالنا^(٤).

الخامس - العث و التحريض

- في قوله تعالى: (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله) [النساء/٧٥]

هذا استفهام فيه عث وتحريض على الجهاد في سبيل الله^(٥). أي ما لسبب الذي يمنعكم من

(١): أبو حيان، البحر، ٣٢/٦

(٢): الجمل، حاشيته على الجلالين، ٣٧٧/٣

(٣): أبو حيان، البحر، ٤٨٣/٦

(٤): الشوكاني، فتح القدير، ٧٨/٤

(٥): أبو حيان: البحر: ٢٩٥/٣

الجهاد والقتال في سبيل الله، وقد علمتم فضله ودرجته والحاجة إليه.

السادس - التعجب

- قوله تعالى: (مالي أَدْعُوكُمْ إِلَى النِّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ) [غافر/١٤] استنْفَهَامٌ مُتَعَجِّبٌ مِنْ هَذِهِ الْحَالَةِ، فَكَيْفَ هَذِهِ الْحَالُ مَعَهُمْ، يَدْعُوهُمْ لِلنِّجَاةِ مِنَ النَّارِ وَدُخُولِ الْجَنَّةِ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَإِجَابَةً رِسْلَهُ، وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ بِمَا يَرِيدُوهُ مِنْهُ مِنَ الشَّرْكِ^(١).

- وقوله: (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) [الانفطار/٦] هذا خطاب الكفار، أي ما الذي غرّك وخذعك حتى كفرت بربك الكريم الذي تفضل عليك في الدنيا بإكمال خلقك وحواسك، وجعلك عاقلاً فاهماً، ورزقك وأنعم عليك بنعمة التي لا تقدر على جدها^(٢). فالاستنْفَهَامُ لِلتَّعَجُّبِ مِنْ حَالِ الْكَافِرِ وَرُؤْيَا

- وقوله: (يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ) [مريم/٤٢] استنْفَهَامٌ مِنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِمَ يَعْبُدُ آبُوهَ الْأَصْنَامَ، فَهِيَ لَا تَسْمَعُ وَلَا تَبْصُرُ وَلَا تَغْنِي عَنْهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً مُتَعَجِّباً مُنْكَرًا هَذَا الْفِعْلَ^(٣).

- وقوله: (فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) [يونس/٣٥] استنْفَهَامٌ مَعْنَاهُ التَّعَجُّبُ وَالْإِنْكَارُ، أَي: أَي شَيْءٍ لَكُمْ فِي اتِّخَاذِ هَؤُلَاءِ الشُّرَكَاءِ، إِذَا كَانُوا عَاجِزِينَ عَنْ هِدَايَةِ أَنْفُسِهِمْ. فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَهْدُوا غَيْرَهُمْ^(٤). أَي: أَي حُكْمٍ هَذَا تَحْكُمُونَهُ بِأَنْ هَؤُلَاءِ الشُّرَكَاءُ أَهْلٌ لِلْعِبَادَةِ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَمَا هَذَا الْحُكْمُ؟

- وقوله: (فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) [الانشقاق/٢٠] تَعَجُّبٌ مِنْ انْتِفَاءِ إِيْمَانِهِمْ، وَقَدْ وَضَحَتْ الدَّلَالَةُ^(٥). وَوَرَدَ أَنَّهُ اسْتَنْفَهَامٌ إِنْكَارِيٌّ وَمِثْلُهُ يَذْكَرُ

(١): الشوكاني، مرجع سابق، ٦١٧/٤

(٢): المرجع السابق، ٤٩٢/٥

(٣): المرجع السابق، ٤١٥/٣

(٤): أبو حيان، البحر، ١٥٦/٥

(٥): المرجع السابق، ٤٤٨/٨

بعد وضوح الأدلة والحجة^(١). ولكن التعجب والإنكار يصدقان هنا فهو استفهام متعجب من عدم الإيمان مع وضوح الأدلة، ومنكر هذا لهم هذا العمل في نفس الوقت. زيادة في قبح عملهم.

السابع - التقرير

- قوله تعالى: (وما تلك بيمينك يا موسى) [طه/١٧] الاستفهام للتقرير فإن الله سبحانه عالم بما في يمينه، وأراد أن يقر بأنها عصا^(٢). وكأن هذا الأسلوب يبدأ باستفهام ما هو معلوم، لإبراز ما سيطرتب على هذا الأمر المعلوم من الخوارق والعجائب التي سيجريها الله تعالى عليها.

- وقوله: (وما أعجبك عن قومك يا موسى) [طه/٨٣] السؤال يقع من الله، لكن ليس لاستدعاء المعرفة، بل إما لتعريف غيره، أو لبتكيتته وظاهر أنه ليس المجاز^(٣). ولكنه هنا مجاز وليس حقيقي. أراد الله أن يبين له ما فعله قومه بعد مجيئه.

الثامن - الإنكار

- في قوله تعالى: (قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله) [البقرة/٢٤٦] استفهام في اللفظ انكار في المعنى^(٤). وهذا على عادة اليهود من قولهم ما لا يفعلون ونقضهم العهود، وتراجعهم عما قالوه، كأن شيئاً لم يكن.

- وقوله تعالى: (يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله) [آل عمران/٩٩] الاستفهام للإنكار^(٥). فهم أهل كتاب أنزل الله عليهم كتاباً، فلم يصدون عن سبيل الله،

(١): الجمل، حاشيته على الجلالين، ٥٠٣/٤.

(٢): المرجع السابق، ٨٦/٣.

(٣): العكبري، إملأ ما من به الرحمن، ٥٨/١.

(٤): أبو حيان، النهر، ٤٩٠/٢.

(٥): أبو حيان، البحر، ٢١١/٤.

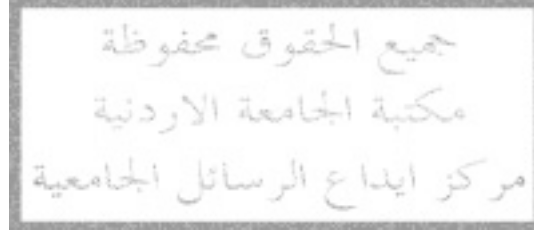
وهم أعلم الناس بصدق نبوة الرسول فلم هذا؟

- وقوله تعالى: (وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه) [الأعام/١١٩]
استفهام يتضمن الإنكار على من امتنع عن ذلك، أي لا شيء يمنع ذلك^(١). فما يمنع من الأكل مما هو ذبح حلال، أم أكل ما ذبح على النصب هو الأكل الواجب!

- وقوله تعالى: (فما ظنكم برب العالمين) [الصفات/ ٨٧]
استفهام توبيخ وتحذير وتوعد، أي: أي شيء ظنكم بفعله معكم من عقابكم إذا عبدتم غيره^(٢).

والمعنى إنكار ما يوجب ظناً، فضلاً عن قطع من يصد عن عبادته أو يجوز الإشراك

به^(٣)؟



(١): أبو حيان، البحر، ٢١١/٤

(٢): المرجع السابق، ٣٦٥/٧

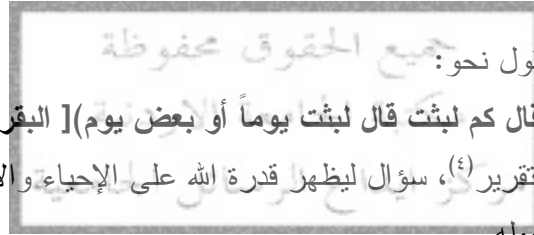
(٣): الجمل، حاشيته على الجلالين، ٥٣٧/٣

المطلب الخامس - (كم) وأثرها في التفسير

(كم) أداة تأتي للاستفهام عن عدد مبهم الجنس والمقدار. و(كم) الاستفهامية تتضمن معنى الحرف (كهمزة الاستفهام). و يكون لها صدر الكلام، وتفسر بالنكرة، ويجوز تفسيرها بالواحد^(١).

وجاءت (كم) متعينة للاستفهامية في ثلاث آيات، ومحملة للاستفهامية والخبرية في خمس آيات^(٢).

وقد ذكر السيوطي أن (كم) الاستفهامية لم تقع في القرآن حيث قال: (وترد استفهامية، ولم تقع في القرآن)^(٣).



ولكن ورودها يفند هذا القول نحو: **جميع الحقوق محفوظة**
 - قوله تعالى: (قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم) [البقرة/٢٥٩]
 استفهام على جهة التقرير^(٤)، سؤال ليظهر قدرة الله على الإحياء والإماتة وقصد منه اختبار المسؤول ليظهر جهله.

- وقوله تعالى: (قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم) [الكهف/١٩]
 وهذا كسابقه، استفهام على جهة التقرير لمعرفة المدة التي بقوا فيها نياماً، والسائل أحس بطول فترة نومهم، فكان جوابهم على غلبة الظن والقول بالظن الغالب لا يعد كذباً. ولمّا عرض لهم الشك في الإخبار ردوا علم لبثهم إلى الله تعالى^(٥).

فكان هذا السؤال فيما بينهم على حقيقة، حتى ما علموا مدة نومهم ظهرت لهم رحمة الله وقدرته.

(١): محمد الشريف، معجم حروف المعاني، ٢/٨٠٧.

(٢): عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن ٢/٣٩٦.

(٣): السيوطي، الإتقان، ١/١٧٠.

(٤): ابن عطية، المحرر الوجيز، ١/٣٤٨.

(٥): أبو حيان، البحر، ٧/١٥٥.

- وقوله تعالى: (قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم)

[المؤمنون/١١٢-١١٣]

السؤال هنا ايقاف على المدة^(١)، ليظهر لهم أن كل ما عاشوه بمجرد رؤيتهم هول العذاب نسوه، واستصغروا المدة كأنها يوماً أو بعض يوم.

فهذه الآيات جاءت (كم) فيها استفهامية، لم يرد بها الاستفهام الحقيقي. وإنما خرجت لتعطي التقرير. إلا في قصة أصحاب الكهف كان استفهامها حقيقياً.

ومن الآيات التي احتملت فيها (كم) الخبرية والاستفهامية، قوله تعالى: (سل بني إسرائيل كم آتيناكم من آية بينة) [البقرة/٢١١]

(كم) في هذه الآية استفهامية عند أبي حيان، وأجاز الزمخشري أن تكون استفهامية وخبرية^(٢).

وعلق أبو حيان على قول الزمخشري قائلاً: (وأجاز الزمخشري أن تكون (كم) هنا خبرية وهو ليس بجيد ، لأن جعلها خبرية هو اقتطاع للجمله التي هي فيها من جملة السؤال، لأنه يصير المعنى: سل بني إسرائيل وما ذكر المسؤول عنه.

ثم قال: كثير من الآيات آتيناكم فيصير هذا الكلام مفلتا عما قبله، لأن جملة (كم آتيناكم) صارت خبراً لا تتعلق بها(سل).

وأنت ترى أن معنى الكلام ومصوب السؤال على هذه الجملة، فلهذا لا يكون إلا في الاستفهامية^(٣).

والراجح أنها استفهامية، لسبق فعل السؤال لها، وهذا الاستفهام فيه توبيخ لبني إسرائيل فهم على الرغم من الآيات الكثيرة، استكبروا وكفروا ربهم.

(١): أبو حيان، البحر، ٥٨٨/٧.

(٢): الزمخشري، الكشاف، ١٢٨/١

(٣): أبو حيان، البحر المحيط، ١٢٧/٢.

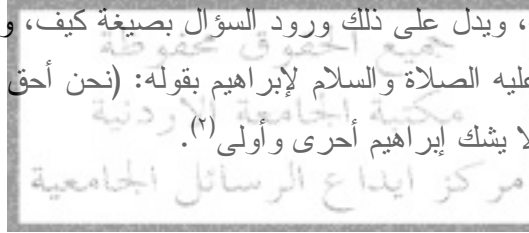
المطلب السادس: (كيف) وأثرها في التفسير

(كيف) أداة تأتي للاستفهام، ويستفهم بها عن حالة الشيء، وهذا هو الاستفهام الحقيقي بها، ولكنه قد ينصرف إلى معان أخرى كالتعجب، والإنكار... الخ^(١).

الأول- الاستفهام الحقيقي

- قوله تعالى: (أرني كيف تحي الموتى) [البقرة/٢٦٠]

سؤال الخليل عليه السلام ربه، ليس سؤال في قدرة الله على الإحياء والعياذ بالله. ولكنه سؤال عن كيفية الإحياء، ولا يشترط في الإيمان الإحاطة بصورتها، وإنما هي طلب علم ما لا يتوقف الإيمان على علمه، ويبدل على ذلك ورود السؤال بصيغة كيف، وموضوعها السؤال عن الحال. وقطع النبي عليه الصلاة والسلام لإبراهيم بقوله: (نحن أحق بالشك من إبراهيم). أي ونحن لم نشك، فلأن لا يشك إبراهيم أخرى وأولى^(٢).



فالسؤال ليس سؤال الشاك، وحاش لنبي أن يشك في قدرة الله تعالى، ولكن أراد الكيفية لتكون حاضرة على مر الأزمان لمن ينكر قدرة الله تعالى.

الثاني- الاستفهام المجازي

وهو كما ذكرت سابقاً يخرج الاستفهام عن حقيقته إلى معان أخرى، مثل:

- قوله تعالى: (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم) [البقرة/٢٨]

الاستفهام على وجه التعجب والتوبيخ، والإنكار. فخرج عن حقيقة الاستفهام. فحال الشيء تابعة لذاته، فإذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت الحال، فكان إنكار حال الكفار لأنها تتبع ذات الكفر ورتديها إنكاراً لذات الكفر، وثباتها على طريق الكناية، وذلك أقوى لإنكار الكفر وأبلغ^(٣).

(١): انظر: محمد الشريف، معجم حروف المعاني، ٢/٨١٠.

(٢): ابن المنير، الانتصاف، ١/٣٠٤: بحاشية الكشف.

(٣): الزمخشري، الكشف، ١/١٢٦.

فإنكار الحال تابع لذات الشيء، فكيف يكفرون وحالتهم تلك؟

- وقوله تعالى: (كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم) [آل عمران/٨٦]
تتعدد وتتباين آراء المفسرين في معنى (كيف) وما أفادته من معنى، فالقرطبي ذهب إلى أن معناها الجحد، أي لا يهدي الله.

وذهب أبو حيان إلى أنها هنا للتعجب والتعظيم، لكفرهم بعد الإيمان، أي كيف يستحق الهداية من أتى بما ينافيها^(١).

فالآية فيها إنكار لحال الكفر مبالغة في الإنكار وتأكيد النفي واستبعاد الهداية.

- وقوله تعالى: (فقتل كيف قدر* ثم قتل كيف قدر) [المدثر /١٩-٢٠]
جاءت كيف تفيد التعجب، التعجب من صنيعه وتقديره وإصابته فيه المحرز، ورميه الغرض الذي كان تنتحيه قريش. أو ثناء عليه على طريقة الاستهزاء به. أو هي حكاية لما كرروه من قولهم، قتل كيف قدر، تهكما بهم وبإعجابهم بتقديره، واستعظامهم لقوله^(٢).

- وقوله تعالى: (فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه) [آل عمران/٢٥]
الاستفهام بمعنى التهديد والوعيد، والتقرع، وهذا الاستفهام لا يحتاج إلى جواب، وكذا أكثر استفهامات القرآن، لأنها من عالم الغيب والشهادة^(٣).

فكيف يكون حالهم، وما يصنعون يوم يجمعهم الله ليوم القيامة لا ريب فيه؟

- وقوله تعالى: (وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله) [آل عمران/١٠١]

الاستفهام جاء ليفيد الإنكار والتعجب، ينكر عليهم كفرهم وآيات الله تعالى تتلى عليهم، والرسول - صلى الله عليه وسلم - بينهم^(٤). فمن كان يتلى عليه آيات الله وفيهم رسوله قائماً

(١): القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٣/١٧٩. أبو حيان، البحر، ٢/٥١٨.

(٢): الزمخشري، الكشاف، ٤/٦٣٦.

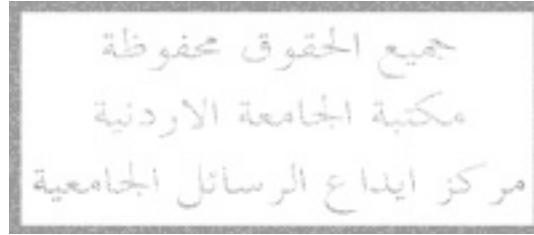
(٣): ابن الأنباري، البيان، ١/١٩٧. أبو حيان، البحر، ٢/٤١٨.

(٤): الزمخشري، الكشاف، ١/٢٠٦.

على أمورهم ، مرشداً موجهاً لهم، يُستبعد منهم هذا الكفر، ولكنهم ومع هذا كله جحدوا وكفروا، وإلى هذا المعنى ذهب أبو حيان^(١).

- وقوله تعالى: (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) [التوبة/٧]
الاستفهام هنا للتعجب المتضمن للإنكار، فمستبعد ومنكر أن يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله، وهم ضد لهم مضمون الغدر، فلا يطمعوا في ذلك ولا يحدثوا أنفسهم به^(٢).

فكيف يعطى المشركون عهد وحالهم الغدر والخيانة، لا يرقبوا في مؤمن عهداً ولا قرابة، فلا يفكروا في هذا ولا يطمعوا به.



(١): أبو حيان، البحر، ١٥/٣.

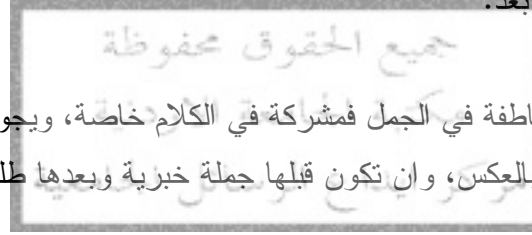
(٢): الشوكاني، فتح القدير، ٤٣٣/٢.

المطلب الثاني: الفاء وأثرها في التفسير

الفاء العاطفة تعطف الأسماء والأفعال وهي تفيد الترتيب والتعقيب^(١).

فإن كانت للعطف في المفردات فمعناها الترتيب لفظاً و معنى أو لفظاً دون معنى، والتعقيب، وقد يلازمها التسبب في بعض المواضع، وهي مشتركة بين الاسميين والفعالين في اللفظ، وفي المعنى.

وعطفها للاسم المفرد جاء في نوع معين لم تتجاوزه في القرآن: هو عطف الصفات، فكل ما وردت فيه الفاء عاطفة للاسم المفرد في القرآن كان اسم فاعل معطوفاً على اسم فاعل^(٢). وسأذكره فيما بعد.



أما التي تكون عاطفة في الجمل فمشتركة في الكلام خاصة، ويجوز أن يكون قبلها جملة اسمية وبعدها فعلية، وبالعكس، وإن تكون قبلها جملة خبرية وبعدها طلبية، وبالعكس. والربط والترتيب لازم^(٣).

واكثر ما جاءت الفاء في القرآن عاطفة فعلاً على فعل، أو جملة فعلية على فعلية، جاء ذلك في مواضع تتجاوز الستين. أما عطفها للجملة الاسمية ففي مواضع تزيد عن خمسة وعشرين بقليل^(٤).

والعطف بالفاء يعطي عدة معان:

أولاً - السببية

— قوله تعالى: (أنت مولانا فاتصرونا على القوم الكافرين) [البقرة/٢٨٦]

(١): انظر: سيبويه، الكتاب، ١/٢١٨ و ٢/٣٠٤. المبرد، المقتضب، ١/١٠ و ٢/١٤

(٢): عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن، ٢/٢٢٢

(٣): انظر: المالقي، رصف المباني، ص ٤٤٠-٤٤١

(٤): ذكر هذا الإحصاء في: دراسات لأسلوب القرآن، ٢/٢٢٣

أدخلت الفاء إيذانا بالسببية، لأن كونه تعالى مولا لهم، ومالك تدبيرهم وأمرهم ينشأ عن ذلك النصر على أعدائهم^(١). فإن من حق المولى أن ينصر من يواليه على أعدائه. فمن هذا تسبب عنه دعوة بأن ينصرهم على أعدائهم^(٢).

— وقوله تعالى: (فَأَمْنُوا فَمَتَعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ) [الصافات/١٣٨]

الفاء السببية^(٣). أي أن سبب تمتعهم إلى الحين المقدر لهم وعدم إهلاكهم هو إيمانهم.

— وقوله تعالى: (إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا

تَكْتُبُوهَا) [البقرة/٢٨٢]

ذهب الجمل إلى أنها سببية، (فليس) معطوفة على (إلا أن تكون تجارة) والسببية فيها واضحة، أي تسبب عن ذلك رفع الجناح في عدم الكتابة^(٤). فكون عدم الجناح جاء مترتباً على كونها تجارة حاضرة، فزال الجناح بعدم كتابتها.

— وقوله تعالى: (فَتَلَقَى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ) [البقرة/٣٧]

الفاء للسببية^(٥). أي رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة بعد اعترافه بذنبه، وعزمه على عدم العودة. فكانت الكلمات سبب العفو عنه والتوبة عليه، وفيها معنى الترتيب.

وقد تجيء الفاء العاطفة للجملة لمجرد الترتيب من غير إفادة السببية كما في:

— قوله تعالى: (فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ) [الذاريات/٢٦-٢٧]

أفادت الفاء المبادرة والفورية، وحرص إبراهيم عليه السلام على إكرام ضيوفه وسرعة المجيء بالطعام، فإن من أدب المضيف أن يبادر الضيف بالطعام.

— وقوله تعالى: (فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صِرَةٍ فَصَكَتْ وَجْهَهَا) [الذاريات/٢٩]

(١): أبو حيان، البحر المحيط، ٣٧٠/٢. الجمل، حاشيته على الجلالين، ٢٤٠/١

(٢): الأوسي، روح المعاني، ٧١/٣

(٣): الزركشي، البرهان، ٢٩٨-٢٩٩/٤

(٤): الجمل، حاشيته على الجلالين، ٢٣٤/١

(٥): ابن هشام، المغني، ١٤٠/١. الزركشي، البرهان، ٢٩٨/٤

الفاء تفيد الفورية، إذ أنها بمجرد سماعها بشرى الملائكة أقبلت مستغربة متعجبة من هذا الأمر، وبمجرد سماعها صكت وجهها، أي ضربته على عادة النساء إذا تعجبن من شيء^(١).

ثانياً- الترتيب الذكري

قد تفيد الفاء العاطفة للجمل كون المذكور بعدها كلاماً مرتباً على ما قبلها في الذكر، لا أن مضمونها عقيب مضمون ما قبلها في الزمان^(٢).

— نحو قوله تعالى: (ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي) [هود/٤٥] فهذا العطف من عطف المفصل على المجمل^(٣). فما بعد الفاء تفصيل للنداء، وتعقيبه بالفاء دلالة على أنه أبلغ في الاستعطاف، لما تضمنه من بسط الشكوى واستتجاز الله وعده بإنجاء أهله، والثناء عليه بما هو أهله من العلم والعدل، فكأنه يعطي: دعا نوح ربه فيبالغ في دعائه ومع ذلك فلم يجب إلى ما دعا به، لأنه لا شفاعاة لمن أثر الكفر على الإيمان .

ألا ترى كيف عدل عن ضمير المتكلم، فلم يقل: ونادانا نوح، ليشعرك من بادئ الأمر إلى أن ما دعا به نوح مما لا يجاب إليه مهما أفرط في الدعاء، وبالف في شكواه. ومن ثم حكى الله النداء بصيغة الغائب (ونادى نوح ربه)^(٤).

فجاءت الفاء لتبرز عاطفة الأبوة ، ورجاء نوح عليه السلام أن يكون ابنه ممن ينجو من الهلاك والغرق.

— وكذلك قوله تعالى: (إنا أنشأناهم إنشأء* فجعلناهم أبقارا* عربا أترابا) [الواقعة/٣٥-٣٧]

(١): الشوكاني، فتح القدير، ١٠٩/٥

(٢): الرضي، شرحه على الكافية، ٣٣٩/٢

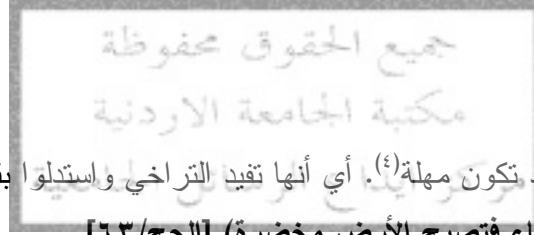
(٣): المرجع السابق، ٣٣٩/٢

(٤): الخضري، حروف العطف في الذكر الحكيم(الفاء و ثم)، ص٤٥-٤٦

من عطف المفصل على المجرم^(١). فالفاء هنا جاءت لتدل على القدرة الإلهية وكمال خلقه، وجمع الصفات التي تدل على كمال الخلق والحسن في صفات الحور.

— وقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق) [المائدة/٦]

فسرت الآية على أن المعنى فأردتم أو قصدتم الصلاة، فاكتفى بالمسبب عن السبب^(٢). فالفاء فيها الحث والمبادرة بالقيام عند العزم عليها، حتى لا ينفك الفعل عن الإرادة^(٣). وبما أنها جاءت لتحث على المبادرة بالقيام عند العزم عليها، ففيها الانتقال مباشرة إلى الوضوء والاستعداد للصلاة، وعدم الانشغال بأمر آخر عنها، خوفاً من فواتها أو تضييعها عن وقتها، فبمجرد القيام يعقب بالوضوء وهو ما يلمح به حرف التعقيب الفاء- والله اعلم-



ثالثاً - بمعنى (ثم)

ذكر إن مع الفاء قد تكون مهلة^(٤). أي أنها تفيد التراخي واستدلوا بقوله تعالى: (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة) [الحج/٦٣] قيل الفاء للسببية في هذه الآية، وفاء السببية لا تستلزم التعقيب. وقيل تقع الفاء تارة بمعنى (ثم) ومنه الآية^(٥).

تعددت الآراء في تفسير ما خالف ظاهره التعقيب، بين الاتساع في مفهوم المهلة، والقول بعدم لزوم التعقيب، ووقوع الفاء موقع (ثم).

إن الفاء في هذه الآية لتدهش، وهي تطوي الزمن، فتزى من آيات الله عجباً، تنتشر الحياة بسرعة، لا تكاد تلاحقها في موضع، وتقلب الأخضر يابساً، والحي ميتاً.

(١): الزركشي، البرهان، ٢٩٥/٤

(٢): المرجع السابق، ٢٩٦/٤. وانظر: الزمخشري، الكشاف، ٥٩٦-٥٩٧

(٣): انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ١٣٥/٥. والأغوسي، روح المعاني، ٦٨/٨

(٤): ابن مالك، التسهيل، ص ١٧٥

(٥): ابن هشام، المغني، ١٣٩/١. الزركشي، البرهان، ٢٩٥-٢٩٦

فها هي تصل الماء بالأرض، فيتحول في لحظة موتها حياة، ويتبدل جذبها خضرة. فبهذه الصورة دلت الفاء على القدرة الإلهية، التي ينمحي معها الزمن عندما يتكون الشيء بالإرادة ويقع بامر التكوين ويصبح الزمن بين أفعال الله معدوم الأثر لتحقيق ما يريد الله تعالى على الوجه الذي يريده فلا يختلف عما قضاه الله وقدره^(١).

فالفاء جاءت لتعطي صورة إبراز النعم وتعدادها، وقدرته تعالى، والتفكر في خلقه وصفاته، والتوجه إليه بالعقول والقلوب .

— وقوله تعالى : (ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظما فكسونا العظام لحما) [المؤمنون / ١٤]

قيل : إن الفاءات بمعنى (ثم) لتراخي معطوفاتها^(٢). وذكر الرضي أن إفادة الفاء الترتيب بلا مهلة لا ينافي كون الثاني المترتب يحصل بتمامه في زمان طويل وإن كان أول أجزائه متعقبا لما تقدم^(٣).
فهي محاولة من الرضي لإظهار الفاء بما تفيده من التعقيب وإن كان حصول الأمر في زمن طويل.

لكن الفاء هنا جاءت للدلالة على قدرة الله تعالى، وعظم صنيعه، وبديع خلقه، وتصويره لخلق الإنسان. بأن هذه المراحل من خلق الإنسان وحصولها في الواقع في زمن طويل، لكنها دالة على قدرة الله وعظيم صنعه في خلق الإنسان.

— وقوله تعالى: (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا) [الكهف/٤٥]

أدت الفاء دورها في رسم صورة الحياة الدنيا وضآلة نعيمها في جنب ما أعده الله تعالى للظالمين من النعيم المقيم، فهي زمن وحجما لا تستحق هذا الاعتزاز من الناس، وهم لا

(١): انظر: الخضري، حروف العطف، ص ٥٦

(٢): ابن هشام، المغني، ١/١٣٩. وانظر: البرهان، ٤/٢٩٥

(٣): الرضي، حاشيته على الكافية، ٢/٣٤١. وانظر: الزركشي، البرهان، ٤/٢٩٦-٢٩٧

يتلبثون بها إلا يسيراً، فما تدوم زهرتها أكثر من دوام نبات لم يكد يزهر حتى جف وذبل وذرته الرياح.

إن هذا الغرض من تقليل شأن الحياة الدنيا والنهي على المنكبين عليها لا تحققه في الصورة الممثلة إلا هذه الفاء بطيها للزمن وتقصيرها للحكاية^(١).

فهو مثل ضربة الله تعالى للتنفير من الاغترار بالدنيا وزهرتها وعدم الانسياق وراءها، بل أخذها طريقاً موصلاً لرضاء الله وجنته، واغتنامها بالعبادة والتقرب إليه تعالى.

- وفاء أخرى طوت ثلاثة أشهر من الزمن أو ما يقابلها من حيضات ثلاث، هي مدة المعتدة من الطلاق، في قوله تعالى: (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا) [البقرة/٢٣١].

فالأية - كما قال ابن عطية -: (خطاب للرجال، لا يختص بحكمه إلا الأزواج، وذلك نهى للرجل أن يطول العدة على المرأة مضارةً منه لها، بأن يرتجع قرب انقضائها، ثم يطلق بعد ذلك)^(٢).

فكأن هذه الفاء تفوت على الزوج المعتدي فرصة التلاعب بالزمن، ومماثلة زوجه إضراراً بها، فتسترق منه زمن العدة كله، قبل أن يفيق ليكرر عدوانه، وقد تعاونت هذه الفاء مع التجوز ببلوغ الأجل على قربه.

فمعنى "بلغن أجلهن" قاربين، لأن المعنى يضطر إلى ذلك، لأنه بعد بلوغ الأجل، لا خيار في الإمساك.^(٣)

(١): الخضري، حروف العطف، ص ٥٧

(٢): ابن عطية، المحرر الوجيز، ٢٠٥/٢

(٣): المرجع السابق، ٢٠٥/٢

وذكر أن فيها شائبة تحذير من الاستهانة بالزمن، وتضييع الفرصة لمن أراد الاستمساك بأهله، ووصل عرى المودة، حتى لا يفوته الوقت على من أراد المراجعة ويصبح محالاً ما كان ممكناً، بعد ما تبين الزوجة وتتعد المراجعة^(١).

فبهذا يتضح كيف أدت الفاء معنى التحذير من التلاعب بالزمن والاستهانة به، ومماثلة الزوجة إضراراً بها، فهل كان هذا المعنى سيظهر لو كانت الفاء بمعنى (ثم) للتراخي فقط؟

رابعاً - عطف الصفات

ذكر عزيمة أن هذا العطف - عطف الصفات - النوع الذي لم يتجاوز في القرآن من عطف المفرد على المفرد^(٢)، ولكن استندرك عليه قوله تعالى: (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها) [البقرة/٢٦].
فهو من عطف المفردات وليس المتعاطفان صفتين، ولا إسم فاعل.^(٣)

- فقله تعالى: (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها).
الفاء عاطفة (ما فوقها) على (بعوضة) أفادت تشريكهما في ضرب المثل بهما، وحقها أن تفيد الترتيب والتعقيب، وإنما استعمل في معنى التدرج في الرتب، بين مفاعيل (أن يضرب). ولا تفيد أن ضرب المثل يكون بالبعوضة، ويعقبه ضربه بما فوقها. بل المراد بيان المثل بأن البعوضة، وما يتدرج في مراتب القوة، زائد عليها درجة تلي درجة، فالفاء في هذا مجاز مرسل علاقته بالإطلاق عن التقييد، لأن الفاء موضوعة للتعقيب الذي هو اتصال خاص، فاستعملت في مطلق الاتصال، أو هي مستعارة للتدرج، لأنه شبيهه بالتعقيب في التأخر في التعقل، كما أن التعقيب تأخر في الحصول^(٤).

(١): الخضري، حروف العطف، ص ٦١

(٢): انظر: دراسات لأسلوب القرآن، ٢/٢٢٢

(٣): الخضري، حروف العطف، ص ٣٦-٣٧

(٤): ابن عاشور، التحرير و التتوير، ١/٣٦٣

ثم إن الترتيب المجازي بالفاء قد يكون تصعداً من الأدنى إلى الأعلى على سبيل الترتيبي في الفضل أو الشدة، وقد يكون بالعكس، على سبيل التنازل، بدءاً بالأهم وإنهاءً بما هو دونه.

وهذا ما ذكره الرازي، بأن الترتيبي في هذه الآية وجهها: -
الأول: أن يكون المراد: فما هو أعظم منها في الجثة كالذباب، والعنكبوت، والحصار والكلب، فإن القوم أنكروا تمثيل الله تعالى بكل هذه الأشياء.

الثاني: أراد بما فوقها في الصغر، أي بما هو أصغر منها، والمحققون مالوا إلى هذا القول لوجوه:

- أدهما: أن المقصد من هذا تحقير الأوثان، وكلما كان المشبه به أشد حقارة كان المقصود في هذا الباب أكمل حصولاً. الحقوق محفوظة
- الثاني: أن الغرض هاهنا بيان أن الله تعالى لا يمتنع عن التمثيل بالشيء الحقير، وفي هذا الموضوع يجب أن يكون المذكور ثانياً أشد حقارة من الأول^(١).

فالفاء في ترتيبيها وتنزلها، أعطت معنى الترتيبي في الأحداث والصفات بدءاً بالأدنى وانتهاءً بالأعلى، إبرازاً لعلو درجة المعطوف، أو بدءاً بالأعلى لينتأى تقديمه في اللفظ مع تقدمه في المنزلة والشرف.

وإذا دخلت الفاء على الصفات المتتالية، والموصوف واحد فالترتيب ليس في ملابستها لمدلول عاملها، بل في مصادر تلك الصفات؛ كقولك: جاء زيد الأكل فالنائم، أي: الذي يأكل فينام.

وإن لم يكن الموصوف واحداً، فالترتيب في تعلق مدلول العامل بموصوفاتها، كما في الجوامد، نحو قولهم في صلاة الجماعة: يقدم الأقرأ فالأفقه فالأقدم هجرة^(٢).

- نحو قوله تعالى: (والصفات صفا* فالزاجرات زجراً* فالتاليات ذكراً) [الصفات/١-٣]

(١): الرازي، التفسير الكبير، ١٤٨/٢

(٢): الرضي، شرحه على الكافية، ٣٣٩/٢

ذكر الزمخشري في تفسيره أن حكم الفاء إذا جاءت عاطفة في الصفات؟

- إما أن تدل على ترتيب معانيها في الوجود.
- وإما على ترتيبها في التفاوت من بعض الوجوه، كقولك، خذ الأفضل فالأكمل، واعمل الأحسن فالأجمل.
- وإما على ترتيب موصوفاتها في ذلك، كقوله: رحم الله المحلقين فالمقصرين.

وساق أمر الفاء في الآية كالاتي:-

- إن وحدت الموصوف كانت للدلالة على ترتيب الصفات في التفاضل، وإن ثلثته فهي للدلالة على ترتيب الموصوفات فيه. وبيان ذلك:-

أنك إذا أجريت هذه الأوصاف على الملائكة، وجعلتهم جامعين لها فعطفها بالفاء يفيد ترتيباً لها في الفضل: إما أن يكون الفضل للصف ثم للزجر، ثم للتلاوة وإما على العكس. وإن أجريت الصفة الأولى على الطوائف، والثانية والثالثة على آخر فقد أفادت ترتيب الموصوفات في الفضل^(١).

وذكر أبو السعود أقسام الطوائف المختلفة، إن أجريت الصفات على طوائف مختلفة، فذكر أنها طوائف الغزاة الصافات أنفسهم في مواطن الحروب كأنهم بنيان مرصوص أو طوائف قوادهم الصفات لهم فيها، الزاجرات الخيل للجهاد، سوقاً والعدو في المعارك طرداً، التاليات آيات الله وذكره وتسيبحة في تضاعيف ذلك. وغيره مما أجراه على طوائف مختلفة^(٢).

فالفاء أعطت الدلالة على ترتيب الصفات في الفضل أو الموصوفات، ولكن الذي يبدو ويعطي إثراء للمعنى هو الدلالة على ترتيب الموصوفات في الفضل، فالصافات أفضل من الزاجرات أفضل من التاليات أو العكس.

(١): الزمخشري، الكشاف، ٣/٣٣٤

(٢): انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٧/١٨٤

- وقوله تعالى: (والعاديات ضبحاً* فالموريات قدحا* فالمغيرات صباحاً* فأتأثرن به نقعاً* فوسطن به جمعا) [العاديات/ ١-٥].

تصف بنت الشاطي هذا المشهد بأنه مشهد مثير لغارة مفاجئة، تصبح القوم على غير انتظار، وموقف المباغته يلائمه قصر الآيات بما فيه من حسم، وسرعة الانتقال، وتلاحق الأحداث، ما بين العدو، وإبراء القدح، وإثارة النقع، إلى توسط الجمع، فما إن تعدو الخيل ضبحاً، حتى تكون قد توسطت الجمع في النقع المثار.. والعطف بالفاء فيه مع ملحظ السببية، ترتيب دون تراخ أو تمهل أو إبطاء^(١).

الفاء أظهرت صورة الغارة، السريعة، المفاجئة، دون تراخ أو إبطاء ليكون أثرها واضحاً وفعالاً من غير تراخ ولا لين في مقاتلة أعداء الله، وأن صفة القتال يجب أن يكون مباغت مفاجئ فيه من السرعة الكافية والتلاحق ما يعيق العدو ويمنعه من الرد.

- وقوله تعالى: (لأكلون من شجر من زقوم* فمائلون منها البطون* فشاربون عليه من الحميم* فشاربون شرب الهيم) [الواقعة/ ٥٢-٥٥].

الفاء تنتقل بالمشاهد من أمر عجيب إلى أمر آخر أعجب، ومن عذاب شديد إلى عذاب آخر أشد، مبالغة في تهديد المكذابين، فأنت ترقب الضالين يأكلون شر مأكّل، وهم مع ذلك يقبلون عليه في نهم عجيب حتى تمتلئ بطونهم، فيقدمون على الشراب من ماء تناهى في الحرارة، يقطع أمعاءهم ومع ذلك فهم يواصلون الشرب، لا يرتوون أبداً^(٢).

وهذا ما أبرزه الزمخشري، بقوله: قد يقال كيف عطف الشاربين، وهما لذوات متفقة، وصفتان متفقتان، فكان عطفًا للشيء نفسه؟

ليستا متفقتين من حيث أنهما شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الأمعاء أمر عجيب، وشربهم له على ذلك كما تشرب الهيم الماء. أمر عجيب أيضاً، فكانتا صفتين مختلفتين^(٣).

(١): بنت الشاطي، التفسير البياني للقرآن الكريم، ١/١٠٧

(٢): الخضري، حروف العطف، ص ٤١

(٣): الزمخشري، الكشاف، ٤/٦٠

Normal
Default Paragraph Font

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

Table Normal
No List

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

□□□□□z□□□□□□□□□□`□ÿ□□ÿ□□ÿ□□ÿ□□□□ó□□□□□

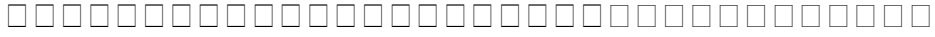
جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية



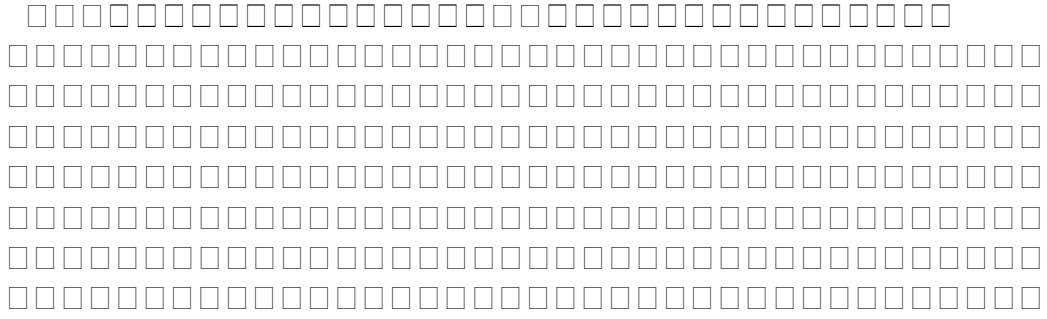
جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية



جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية



جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية



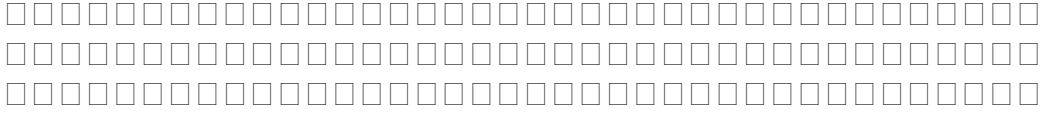
جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية



جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية



جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية



جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية



جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية



جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

□Ĵ□□E□□□Č□ □ø□□□è□□□Ü□□□
□f□

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

□-□□□□□-Á□□□□□□-□Θ□□□z□□□Ŵ□□□Ů□□□ř□

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

□□□□□□ □-□□□□□□□□-□□□□□□-□□□□□□- □□□□□□

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

@□□□□□@□□□□□@□□□□□@.□□□□□□□□□□□□□□□□-□□□□-□□□□-

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

□□□□□□□ □^{١٦٩}□ □□□□□□□□□□ □Ě □□□>□□□□□□□□□□

□□

□□□

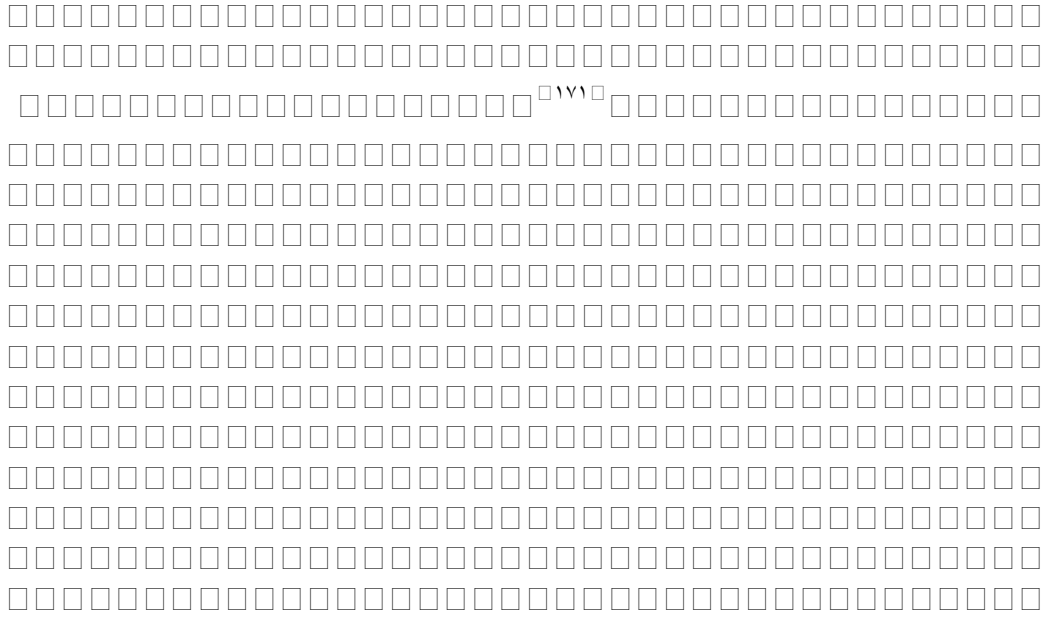
□□□

□□□

□□□

جميع الحقوق محفوظة
 مكتبة الجامعة الاردنية
 مركز ايداع الرسائل الجامعية

(٢): الشجري، أمالي الشجري، ٣٢٦/٢. ابن يعيش، شرح المفصل، ٩٥/٨



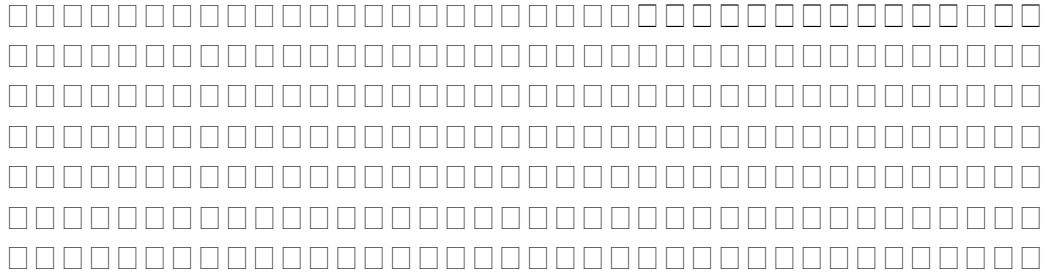
جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية



جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية



جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية



جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية



جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية



جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية



جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية



جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

□□□□□□□□□□□□□□□□|□□□□p□□□□h□□□□

□'□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

□¼□

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية



جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية



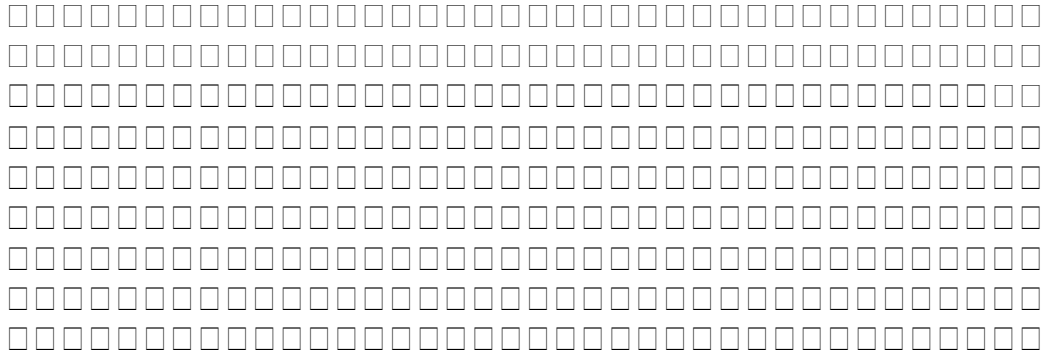
جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية



جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية



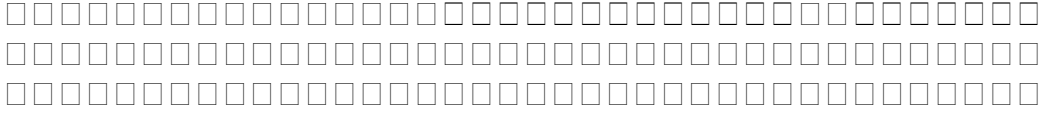
جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية



جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية



جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية



جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية



جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية



جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

WordDocument
)
SummaryInformation

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

DocumentSummaryInfor□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

C##### ######Ä^#####mation
#####pObjom
#####j#####

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية



جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

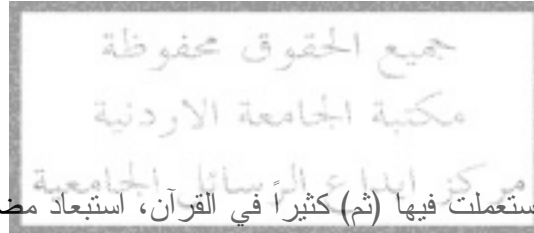


جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

المطلب الثالث: (ثم) وأثرها في التفسير

(ثم) العاطفة، تعطف مفرداً على مفرد، وجملة على جملة. فإذا عطفت مفرداً على مفرد من الأسماء والأفعال، شَرَّكت بين الأول و الثاني في اللفظ، الذي هو الاسمية أو الفعلية، الرفع أو النصب أو الخفض أو الجزم، والمعنى الذي هو إثبات الفعل لهما أو نفيه عنهما.

والمشركة بين الجملتين يكون تشريكهما في الخبر أو العطف أو فيهما من غير مراعاة لاسمية على فعلية أو بالعكس. كذلك يجوز اجتماع النفي والإثبات فيها كقوله تعالى: (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا) [البروج/ ١٠] و(ثم) تكون للترتيب^(١). والمهلة^(٢). والعطف بـ (ثم) يعطي عدة معان:



أولاً- الاستبعاد

من المعاني التي استعملت فيها (ثم) كثيراً في القرآن، استبعاد مضمون ما بعدها عن مضمون ما قبلها، وعدم مناسبتها له، وتارة يُعبر عن هذا المعنى بتفاوت مرتبة ما بعدها عما قبلها.

وذكر الرضي أنها تجيء في الجمل خاصة، لاستبعاد مضمون ما بعدها عن مضمون ما قبلها، وعدم مناسبتها له^(٣).

- نحو قوله تعالى: (وإذا أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون * ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من دياركم) [البقرة/ ٨٤-٨٥]

الخطاب هنا خاص بالحاضرين، فيه توبيخ شديد، واستبعاد قوي لما ارتكبه بعد ما كان من الميثاق والإقرار بالشهادة^(٤).

(١): انظر: المالقي، رصف المباني، ص ٢٤٩-٢٥٠. وانظر: عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن، ١٠٠/٢-١٠١.

(٢): انظر: المرادي، الجنى الداني، ص ٤٢٦.

(٣): الرضي، شرحه على الكافية، ٣٤١/٢. عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن، ١٠٢/٢.

(٤): أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٩٧/١.

فجاءت (ثم) لتعطي صورة قبح صنيعهم، فهل هناك قبح أشد مما عملوه، بعد أن يأخذ الله ميثاقهم بعدم سفك دمائهم، وإقرارهم بهذا الأمر، نراهم نقضوا ما عاهدوا الله عليه. ففيه استبعاد لحدوث هذا الأمر؟ فكيف بعد الميثاق والعهد فعل العكس. وفيه توبيخ لهم على الفعل هذا، كأنهم قوم آخرون.

وكشف عن هذا المعنى الزمخشري حين فسر: (ثم أنتم تشهدون) استبعادها لما أسند إليهم من القتل والإجلاء، والعدوان، بعد أخذ الميثاق منهم، وإقرارهم بالشهادة. والمعنى: ثم أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون، يعني أنكم قوم آخرون، غير أولئك المقربين، تنزيراً لتغيير الصفة منزلة تغيير الذات^(١).

- وقوله تعالى: (ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون)

[البقرة/٩٢]

جاءت (ثم) مع ما تفيد من تراخي لبيان عظم جرم ما فعلوا وما صنعوا. قال بهذا ابن عطية، بأن (ثم) تدل على أنهم فعلوا ذلك بعد مهلة من النظر في الآيات، وذلك أعظم في دينهم^(٢).

فابن عطية يرى أن التراخي حقيقي، في حين أن أبا السعود يرى أن تقبيح هذا الفعل يؤدي إلى القول بالتراخي المجازي، فقال: و(ثم) للتراخي في الرتبة، والدلالة على نهاية قبح ما صنعوا^(٣).

فثم جاءت لتبرز قبح ما صنعوا، سواء أكانت تفيد التراخي الحقيقي، أم التراخي المجازي، ففي كل منهما قبح ما فعلوا، بل- والله أعلم- أرى أن التراخي الحقيقي فيه تشنيع أكثر على فعلهم، فبعد أن رأوا الآيات الدالة على صدق موسى عليه السلام بمرور الزمن وما أكرمهم الله به، انصرفوا إلى عبادة العجل كأن عقولهم وقلوبهم مقفل عليها.

- وقوله تعالى: (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس

عليه دليلاً * ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً) [الفرقان/ ٤٥-٤٦]

(١): الزمخشري، الكشاف، ٢٩٣/١.

(٢): ابن عطية، المحرر الوجيز، ٢٩٤/١. وانظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٢٣/١.

(٣): أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ١٣١/١.

التعبير في هذه الآية: رسم مشهد الظل، ويد الله الخفية التدبير، تمده في رفق، وتقبضه في لطف " ألم تر إلى ربك كيف مد الظل " ثم قبضناه يسيرا".
والظل هو ما تلقيه الأجرام من الظلمة الخفيفة حين تحجب أشعة الشمس في النهار، وهو يتحرك مع حركة الأرض في مواجهة الشمس، فتغير أوضاعه وامتداداته وأشكاله والشمس تدل عليه بضوئها وحرارتها، وتميز مساحته وامتداده وارتداده ، ومتابعة خطوات الظل في مده وانقباضه يشيع في النفس نداوة وراحة، كما يشيع فيها يقظة لطيفة شفيفة^(١).

فالشمس مصاحبة للظل، فلا يظهر الظل ولا حركته إلا بضوء الشمس، فجاءت (ثم) بما فيها معنى التراخي، لتبرز فضل الشمس وأثرها في الحياة، فإذا كان الظل نعمة عظيمة فإن الضوء نعمة أعظم، ولولا الشمس لتحول الكون إلى ظلام دامس لا يرى فيه للظل أثر.
أما فضل القبض على المد المعطوف بثم، فإنه مرتبط بالوصف "قبضا يسيرا" ففي هذا القبض اليسير شيئاً بعد شيء من المنافع ما لا يعد ولا يحصر، ولو قبض رفعة واحدة لتعطلت أكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعاً^(٢).
فجاءت (ثم) لتبرز تفاضل الأمور الثلاثة، وبيان فضل كل واحدة عن الأخرى.

- وقوله تعالى: (وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون)[هود/١١٣] (فثم) لتراخي رتبة كونهم غير منصورين من جهة الله بعد ما أوعدهم بالعذاب^(٣). فالنصر مستبعد عنهم، لأنهم بعدوا عن الله، فما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله.

ثانياً- (ثم) للترتيب الذكري

جاءت (ثم) في القرآن للترتيب الذكري من غير اعتبار التراخي والمهلة، فلا تفيد أن الثاني بعد الأول، بل ربما يكون قبله.

(فثم) قد تجيء لمجرد الترتيب في الذكر، والتدرج في درج الارتقاء، من دون اعتبار

(١): سيد قطب، في ظلال القرآن، ٢٥٦٩/٥.

(٢): الزمخشري، الكشاف، ٩٤/٣.

(٣): أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٤٨/٣.

التراخي والبعد بين تلك في الدرج، ولا أن الثاني بعد الأول في الزمان بل ربما يكون قبله^(١).

- نحو قوله تعالى: (فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين * ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) [البقرة/ ١٩٩/١٩٨]

ذهب ابن عطية في هذه الآية إلى أن: "ثم" ليست في هذه الآية للترتيب، إنما هي لعطف جملة كلام على جملة منها منقطعة^(٢).

وهذا لا يظهر سر العطف بـ (ثم) مع إمكان عطفها بالواو^(٣).

وكان الزمخشري أظهر سر المغايرة بين الإفاضتين، وسر إيثار حرف التراخي، يقول: (فإن قلت: كيف موقع "ثم"؟ قلت: نحو موقعها في قولك: أحسن إلى الناس ثم لا تحسن إلى غير كريم، تأتي بـثم لتفاوت ما بين الإحسان إلى الكريم، والإحسان إلى غيره، وبعد ما بينهما، فكذلك حين أمرهم بالذكر عند الإفاضة من عرفات، قال: "ثم أفيضوا" لتفاوت ما بين الإفاضتين، وأن أحدهما صواب والآخر خطأ^(٤)).

وفصل ابن المنير ما أجمله الزمخشري: بأن الآية اشتملت على نكتتين، إحداهما- عطف الإفاضتين، إحداهما على الأخرى ومرجعها واحد، وهو الإفاضة المأمور بها، فربما يتوهم متوهم أنه من باب عطف الشيء على نفسه، فيزال هذا الوهم بان بينهما من التغاير ما بين العام والخاص. والمخبر عنه أو لا الإفاضة من حيث هي غير مقيدة، والمأمور به ثانياً: الإفاضة مخصوصة بمساواة الناس.

والثانية- بعد وضوح استقامة العطف، كونه وقع بحرف المهلة، وذلك يستدعي التراخي مضافاً إلى التغاير، وليس بين الإفاضة المطلقة والمقيدة تراخ، فالجواب غير ذلك، أن التراخي كما يكون باعتبار الزمان قد يكون باعتبار علو المرتبة، وبعدها في العلو بالنسبة إلى غيرها، وهو الذي أجاب به بعد مزيد تنشيط وإيضاح^(٥).

(١): المرضي، شرحه على الكافية، ٣١٤/٢.

(٢): انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ١٥٩/٢.

(٣): انظر: الخضري، حروف العطف، ص ٢٠٨.

(٤): الزمخشري، الكشاف، ٣٤٩/١.

(٥): ابن المنير، الانتصاف بحاشية الكشاف، ٣٤٩/١.

فجاءت (ثم) لتلمح إلى بعد ما بين إفاضة صحيحة وأخرى باطلة، حينما كانت قریش تختص نفسها بالإفاضة من المزدلفة، دون عامة الناس الذين يفيضون من عرفات.

- وقوله تعالى: (الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش)

[الرعد/ ٢]

تقدم رفع السماوات على الاستواء على العرش، مع أن الاستواء على العرش قبل رفع السماوات^(١).

فنتقديم الاستواء على الأصل من الترتيب الوجودي يضيع من الدلالة على الارتقاء في الذكر، من خلق عظيم إلى خلق هو أعظم منه، وهو السر الذي من أجله استعيرت ثم للتراخي الرتبي^(٢).

—(ثم) هنا دلت على ما بين الخلقين أو الفعلين من التفاوت، وفضل وعظم الاستواء على

العرش على خلق السماوات، لا للتراخي في الوقت. محفوظة

مكتبة الجامعة الاردنية

- ومنه قوله تعالى في سورة الحجرات: (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم

لم يرتابوا)[الحجرات/ ١٥]

انتقاء الريبة يجب أن يقارن الإيمان، فقيل: من ترتيب الكلام، لا من ترتيب الزمان، أي ثم

أقول: لم يرتابوا. أو يراد الاستمرار^(٣).

ولكن ما المعنى الذي أفادته "ثم" هنا، بما أن انتقاء الريبة يجب أن يقارن الإيمان، وهي

للتراخي؟

أوضح ذلك الزمخشري على طريقتين:

- أحدهما: أن من وجد منه الإيمان ربما اعترضه الشيطان أو بعض المضللين بعد تلج

الصدر، فشككه وقذف في قلبه ما يتلم يقينه، أو نظر هو نظراً غير سديد يسقط به على

الشك، ثم يستمر على ذلك راكباً رأسه، لا يطلب له مخرجاً، فوصف المؤمنون حقاً بالبعد

عن هذه المواقف، ونظيره قوله "ثم استقاموا".

(١): أبو حيان، البحر، ٣٦٠/٥.

(٢): انظر: الخصري، حروف العطف، ص ٢٠٦-٢٠٧.

(٣): أبو حيان، البحر، ١١٧/٨.

- الثاني: أن الإيقان وزوال الريب لمّا كان ملاك الإيمان أفرد بالذكر بعد تقدم الإيمان، تنبيهها على مكانه، وعطف الإيمان بكلمة التراخي إشعاراً باستقراره في الأزمنة المتطاولة غصاً جديداً^(١).

وأجاد الزمخشري بتفسيره لمعنى "ثم" ففي المعنى الأول دلت على ثبات المؤمن حقاً على الإيمان، وعدم شكه وارتياجه، كما يحصل لبعض النفوس الضعيفة. وفي الثاني: دلت على مكانة اليقين وأن عدم الريب هو قمة الإيمان، مشعراً باستقراره في الأزمنة المتطاولة.

ثالثاً - التوكيد

ذكر المفسرون أن "ثم" تفيد التوكيد، وذلك إذا كررت مع الجملة، فالتكرير يفيد التوكيد.

- نحو قوله تعالى: (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا) [المائدة/٩٣]

ذكر أبو حيان قول: أن هذه الجمل كررت على سبيل التوكيد في هذه الصفات، ولا ينافي التأكيد العطف بـ"ثم"، فهو نظير قوله تعالى: (كلا سيعلمون* ثم كلا سيعلمون) وذهب قوم إلى تباين هذه الجمل بحسب ما قدروا لها من متعلقات^(٢).

ولكن هذا الرأي يذهب بالدور الذي يؤديه كل حرف، ولعل الذي يفسر المعنى، ويعطي الحرف حقه، هو:

أن المعنى من هذه الآية: بأن المطلوب من المؤمنين ليس الزهادة عن المستلذات وتحريم الطيبات، وإنما المطلوب منهم الترقى في مدارج التقوى والإيمان إلى مراتب الإخلاص واليقين، ومعارض القدس والكمال، وذلك بأن يثبتوا على الاتقاء عن الشرك، وعلى الإيمان بما يجب الإيمان به، وعلى الأعمال الصالحة لتحصيل الاستقامة التامة، التي يمكن بها الترقى إلى مرتبة المشاهدة، ومعارض أن تعبد الله كأنك تراه، وهو المعنى بقوله: "وأحسنوا"^(٣).

(١): الزمخشري، الكشاف، ٥٧١/٣.

(٢): أبو حيان، البحر، ١٦/٤.

(٣): الشهاب الخفاجي، حاشيته على تفسير البيضاوي، ٢٨٠/٣.

فهي مراحل من التدرج في مدارج الإيمان، ابتداء بالخوف من الله والإيمان به والعمل الصالح، ثم ترقى إلى الرضا واليقين، اللذين أشاعا في النفس الأريحية الباعثة على مداومة ما اطمأنت إليه، وانتهت بالوصول إلى درجة الإحسان، التي ترقى بصاحبها إلى مرحلة المشاهدة واليقين، حتى يعبد الإنسان ربه عبادة من يراه^(١).

فثم جاءت تمدح الأعمال الصالحة وترغب فيها، وتكسب بالتكرار معنى الثبات والدوام على الأعمال الصالحة والإيمان والتقوى.

- ونحو قوله تعالى: (وما أدراك ما يوم الدين * ثم ما أدراك ما يوم الدين)

[الإِنْفِطَار/١٧/١٨]

التكرير هنا لزيادة التهويل^(٢). فالتعبير عن الكفار بالفجار فيه دلالة على التناهي بالكفر، لأن الفجر: شق الشيء شقاً واسعاً^(٣). فهو كفر مشفوع بالتحدي والمجاهرة وشق ستر الديانة^(٤). فقابل الله هذا الفجور بزيادة التهويل من يوم القيامة، وما يصحبه من أهوال، فجاء بـ "ثم" العاطفة بينهما.

مركز أيداع الرسائل الجامعية
مكتبة الجامعة الأردنية

- قوله تعالى: (كلا سيعلمون * ثم كلا سيعلمون)[النبأ/٤-٥]

(ثم) للإشعار بأن الوعيد الثاني أبلغ من الوعيد الأول وأشد^(٥). فجاءت (ثم) للتشديد على ما سيلاقوه، وتهويل الأمر، وفيه من الشدة ما فيه.

- وقوله تعالى: (أولى لك فأولى * ثم أولى لك فأولى)[القيامة/٣٤-٣٥]

هذه الآيات جاءت بعد الحديث عن اللاهين، الذين لا يستعدون بعمل ولا طاعة، بل يؤثرون المعصية والتولي، في تباه وتمطي، وهو تعبير قرآني يتهم بصاحبه ويسخر منه ويثير السخرية كذلك، وهو يصور حركته بالتمطي^(٦).

(١): الخضري، حروف العطف، ص ٢٤٧.

(٢): الزمخشري، الكشاف، ٤/١٩٣.

(٣): الراغب، المفردات في غريب القرآن، ص ٣٧٣.

(٤): المرجع السابق، ص ٣٧٣.

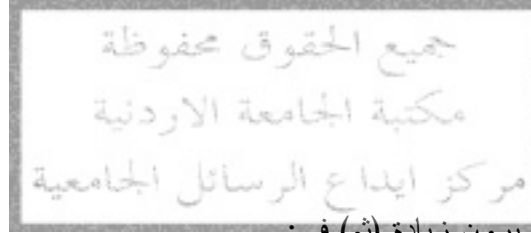
(٥): الزمخشري، الكشاف، ٤/١٧٦.

(٦): انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ٦/٣٧٧٣.

فهؤلاء لم يكتفوا بالتكذيب والإعراض، حتى تعاضم به بين قومه، فكان ذلك أبشع عند الله من التكذيب والإعراض، والذي يدل عليه عطفه بـ"ثم" التي تدل على التفاوت والبعد بين التكذيب والإعراض، وبين ذهابه إلى أهله بتمطي كبيراً واختيلاً، فقابله الله تعالى بتكرير التهديد والوعيد، بأن ويل لك على تكذيبك وإعراضك، وويل لك أشد وأعظم على تباهيك واختيالك بهذا الكفر والإعراض.

وفي ذلك تنبيه على أن المجاهرة بالذنب معصية أخرى، أشد وأعظم من المعصية نفسها، لما لها من أثر على سلوك الناس، وتشجيعهم على المعاصي وإفشائها^(١).

وهذا تفسير يعطي "ثم" ما تحويه من معنى التفاوت والبعد، ويبرز أثر المجاهرة بالمعاصي، وما يعكس ذلك على المجتمع من آثار سلبية. ففي هذا الموقف قابل الله تعالى الغلو في التكذيب والمكابرة، بالمبالغة في التهديد والوعيد.



رابعاً- الزيادة

الأخفش والكوفيون يرون زيادة (ثم) في:

- قوله تعالى: (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا) [التوبة/ ١١٨] رُدَّ عليهم بتقدير جواب (إذا) أي تاب عليهم، أو يقال في (إذا) أنها ظرفية لا غير^(٢).

ولكن هذا الرد لا يعطي "ثم" الدور والمعنى الذي وضعت لأجله، وإنما هو خروج مما وضعه النحاة من القول بزيادة "ثم" بين الشرط و الجواب.

فهذه الآية أبرزت العقاب الذي حل بالذين تخلفوا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، هم من صادقي المسلمين، انتابهم لحظة من لحظات الضعف البشري، فتخلفوا بلا أعدار، في غزوة العسرة، وكان العقاب القاسي، المقاطعة. التي وجد فيها هؤلاء الثلاثة أنفسهم معزولين عن الحياة والناس، فهجروا من الجميع، حتى أزواجهم، وظلوا يرقبون عفو الله، بقلوب يعتصرها

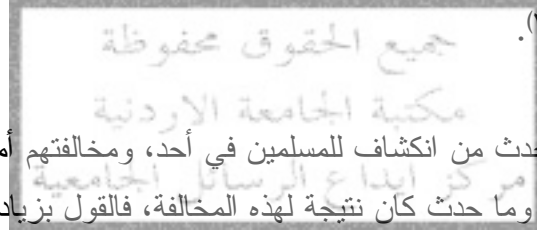
(١): الخضري، حروف العطف، ص ٢٤٦.

(٢): أبو حيان، البحر، ٥/١١. ابن يعيش، شرح المفصل، ٨/٩٦.

الحزن، والخوف، فدخلت (ثم) بين ضيق أنفسهم وعفو الله عنهم، لتطيل زمن العقاب، وكأنها سوط التأديب، ومرارة الانتظار الطويل^(١).

فمن يقولون بزيادتها يذهبون بما أشعرت به من إحساس المقاطعين من طول المعاناة، وقسوة العقاب.
فإذا جُعلت التوبة من الله عليهم جواباً للشرط، ضاع الغرض الذي تبرزه "ثم" من تراخي الزمن وطوله، لتدل على شدة ما عانوه في مقاطعتهم.

- قوله تعالى: (حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم) [آل عمران/ ١٥٢].
ذكر أن جواب (إذا) محذوف، أي منعكم نصره^(٢). وذكر أن (ثم) زائدة، إذا كان (ثم) صرفكم) جواب (إذا)^(٣).



فالآية تصور ما حدث من انكشاف للمسلمين في أحد، ومخالفتهم أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - وتركهم الجبل، وما حدث كان نتيجة لهذه المخالفة، فالقول بزيادة (ثم) يذهب بالمعنى الذي تعطيه (ثم) من التراخي، بأن صرفهم عن المشركين تأخر وجاء بعد مخالفتهم لأمر النبي - صلى الله عليه وسلم -. وكل ما حصل لهم جزاء أعمالهم وبما كسبت أيديهم. فكانت عتاب وعقاب لهم ودرس للمسلمين، ليكون لهم عبرة للانضباط واتباع الأوامر.

خامساً - (ثم) للتراخي الزمني

تفيد (ثم) أن ما بعدها متأخر ووقوعه عما قبله، نحو قوله تعالى:

- (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون) [البقرة/ ٢٨]

كان العطف الأول بالفاء والإعقاب بـ"ثم"؟

(١): انظر: الخضري، حروف العطف، ص ١٦٥-١٦٦.

(٢): أبو حيان، البحر، ٣/٧٩. الزمخشري، الكشاف، ١/٢٢٣. وانظر: الفراء، معاني القرآن، ١/٢٣٨.

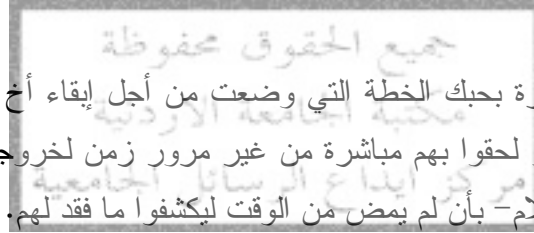
(٣): ابن عطية، المحرر الوجيز، ١/٥٢٤.

لأن، الإحياء الأول قد تعقب الموت بلا تراخ، وأما الموت فقد تراخى عن الإحياء والإحياء الثاني متراخ عن الموت إن أريد به النشور تراخياً ظاهراً، وإن أريد به إحياء القبور فمنه يكتسب العلم بتراخيه، والرجوع إلى الجزاء أيضاً متراخ عن النشور^(١).

وفي كل من هذه الأفعال، الدلالة على عظم قدرة الله تعالى، بالإماتة والإحياء ويختم أفعال العباد بالرجوع إلى ربهم للحساب والجزاء.

- وقوله تعالى: (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون) [يوسف/٧٠]

(ثم) تقتضي مهلة بين جعل السقاية والتأذين، فروي أنه لما فصلت العير بأوقارها، وخرجوا من مصر أدركوا وقيل لهم ذلك^(٢).



ومجيء (ثم) مشعرة بحبك الخطة التي وضعت من أجل إبقاء أخ يوسف - عليه السلام - وإعادته إلى مصر. فلو لحقوا بهم مباشرة من غير مرور زمن لخروجهم لدار الشك في ذهن إخوة يوسف - عليه السلام - بأن لم يمض من الوقت ليكشفوا ما فقد لهم.

- قوله تعالى: (والذي يميني ثم يميني) [الشعراء/٨١]

عطف بثم هنا لاتساع الأمرين الإماتة والإحياء، لأن المراد بها الإحياء في الآخرة^(٣). وفيه إشادة بعظم قدرة الله تعالى، فليس فقط يميت وإنما يحي بعد الموت فهو القادر على ذلك.

(١): الكشف: ٦٠/١، الجمل: ٣٦/١.

(٢): البحر: ٣٢٩/٥.

(٣): الجمل/٣/٢٨٣.

المطلب الرابع: (عن) وأثرها في التفسير

أثبت لـ (عن) عدة معان:

الأول - المجاوزة

ولم يذكر لها البصريون غير هذا المعنى^(١)، وهي الأصل في معانيها، والمجاوزة إما حقيقة، نحو: رحلت عن زيد. أو مجازاً: كأخذت العلم عن والدي. كأنه لما اتصف به وصار عالماً قد جاوز المعلم^(٢).

- نحو قوله تعالى: (وما ينطق عن الهوى) [النجم/٣].

(عن) على أصلها، أي لا يصدر نطقه عن الهوى. وقيل بمعنى الباء^(٣). ولكن الظاهر (عن) على أصلها وليس بمعنى الباء. فهي دالة على نفي أن ما جاءهم به صادر عن هوى من نفسه، وتنزيهه عن النطق عن هوى يقتضي أن ينزه عن أن يفعل أو يحكم عن هوى^(٤). وهذا أبلغ من نفي التلبس والمخالطة. فنفي الصدور أو الفعل أو التأثر به أقوى في النفي.

- وقوله تعالى: (ولا هم عنها ينزفون) [الصافات/٤٧].

(عن) فيها نفي صدور أي أثر من الآثار الضارة للخمر المعروفة في الدنيا، سواء عند شربها ومخالطة الخمر لعقول شاربها، أم بعد ذلك مما يعقبها من صداع وإرهاق ولو قال: ولا ينزفون بها، لأفهمت الملابس والمصاحبة في الباء نفي الصداع والنزف حال شربها ولم تنفها عقبة كأثر من آثارها. فاستدعى كمال المدح (عن) دون غيرها^(٥).

فعن بمعناها المجاوزة، أفادت معنى أبعد من مجرد الملابس، ففي الأولى أفادت أبعد من مجرد النطق بالهوى التأثر به، وفي المعنى الثانية أبعد من مجرد التأثر أثناء شربها بل إلى ما بعد الشرب.

- وفي قوله تعالى: (يسألونك كأنك حفي عنها) [الأعراف/١٨٧]

(١): ابن هشام، المغنى، ١/١٢٩

(٢): الإربلي، جواهر الأدب، ص ١٩٤

(٣): العكبري، إملأ ما من به الرحمن، ٢/١٣٠

(٤): ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٧/٩٣

(٥): انظر: الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ٣١٦

فُسِّرَ (كَأَنَّكَ حَفِي عَنْهَا) عَالَمٌ بِهَا، وَقِيلَ مَعْنَى (حَفِي عَنْهَا) حَفِي بِهِمْ، أَيْ فَرِحَ بِالسُّؤَالِ عَنْهَا تَحْبَهُ^(١).

لَكِنَّ (حَفِي) يَتَعَدَّى (بِالْبَاءِ) وَ(فِي) وَ(إِلَى) وَ(عَنْ)، وَفِي كُلِّ تَعْدِيَةٍ لَهُ مَعْنَى خَاصٌّ يُوْحِي بِهِ الْحَرْفُ الْمُعَدَّى بِهِ، فَيُقَالُ: حَفِيَ بِهِ حَفْوًا وَحَفَاوَةً: بَالِغٌ فِي إِكْرَامِهِ، وَأَحْفَى فِي السُّؤَالِ أَلْحَفَ، وَأَحْفَيْتَ إِلَيْهِ فِي الْوَصِيَّةِ: بِالْغَتِّ، وَهُوَ فِي حَفِي عَنْ الْأَمْرِ: بَالِغٌ فِي السُّؤَالِ عَنْهُ "كَأَنَّكَ حَفِي عَنْهَا"^(٢).

فَالْمَبَالِغَةُ هُوَ الْمَعْنَى الَّذِي تَحْمَلُهُ كَلِمَةُ (حَفِي)، فَيَكُونُ الْمَعْنَى الْإِلْحَاحَ وَالْمَبَالِغَةَ فِي السُّؤَالِ عَنِ السَّاعَةِ وَتَعْيِينَ وَقْتِهَا^(٣)، هُوَ الْمَلَاتِمُ لِمَعْنَى الْآيَةِ. فَالسُّؤَالُ عَنْهَا قَدْ تَكَرَّرَ، وَتَعَدَّدَ الْوَسَائِلُ الَّتِي تَنْفِي عِلْمَ أَحَدٍ غَيْرِ اللَّهِ بِهَا. فَكَانَ كَثْرَةُ سُؤَالِهِمْ رَغْبَةً فِي أَنْ يُلْحَقَ الرَّسُولَ لِمَعْرِفَةِ وَقْتِهَا.

- وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) [الأنفال/ ١]

السُّؤَالُ حَقِيقَةُ الطَّلَبِ، فَإِذَا عَدِّيَ (بَعْنُ) فَهُوَ طَلَبٌ مَعْرِفَةَ الْمَجْرُورِ (بَعْنُ)، وَإِذَا عَدِّيَ بِنَفْسِهِ فَهُوَ طَلَبٌ إِعْطَاءِ الشَّيْءِ^(٤).

فَافْتَتَحَ السُّورَةَ (بِيسْأَلُونَكَ) وَتَعْدِيَتُهَا (بَعْنُ)، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَعْلَمُوا مَاذَا يَكُونُ شَأْنُ الْغَنَائِمِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ مَارُويٌّ مِنْ حَدِيثِ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ اخْتَلَفُوا فِي غَنَائِمِ بَدْرٍ وَفِي قِسْمَتِهَا فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَيْفَ تَقْسِمُ وَلِمَنْ الْحُكْمُ فِيهَا أَهْوَ لِلْمُهَاجِرِينَ أَمْ لِلْأَنْصَارِ أَمْ لَهُمْ جَمِيعًا، فَنَزَلَتْ الْآيَةُ^(٥).

فَالسُّؤَالُ مِنَ الصَّحَابَةِ سُؤَالٌ لِاسْتِدْعَاءِ الْمَعْرِفَةِ، وَالذَّلِيلُ تَعْدِيَةُ بَعْنُ، وَالْجَوَابُ أَنَّ حُكْمَهَا مَخْتَصٌّ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَهُوَ الْأَلِيقُ بِالصَّحَابَةِ، فَمَنْ تَرَكَ أَهْلَهُ وَوَطَنَهُ وَمَالَهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَطْلُبَهُ وَفِي أَوَّلِ لِقَاءِ لَهُمْ.

الثاني - (مَنْ) بِمَعْنَى (مَنْ)

قِيلَ إِنَّ (مَنْ) قَدْ تَقَعَّ مَوْقِعَ (عَنْ). وَمِمَّا اسْتَشْهَدَ بِهِ عَلَى أَنَّ (عَنْ) بِمَعْنَى حَرْفِ الْإِبْتِدَاءِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ) [التوبة/ ١٠٤]

(١): الألويسي، روح المعاني، ١٣٤/٩

(٢): موسى بن محمد الملياني، معجم الأفعال المتعدية بحرف، ص ٦١

(٣): ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٠٥/٩

(٤): المرجع السابق، ٢٤٨/٩. وانظر: الألويسي، روح المعاني، ١٦٠/٩-١٦٢.

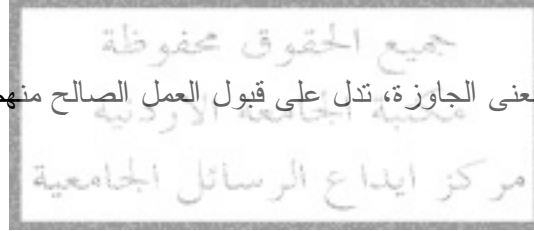
(٥): أخرجه الإمام أحمد في مسنده، من حديث عبادة بن الصامت، برقم: ٢٢٣١٥

قال أبو عبيده: (يقبل التوبة عن عباده) أي من عبيده، كقولك: أخذته منك، وأخذته عنك^(١).

ولكن (عن) جاءت أشعاراً بقبول أعمالهم الصالحة، وتوبتهم الخالصة، والتجاوز عن سيئاتهم^(٢)، فأفادت معنى (من) وزادت عليها محو الذنوب والعفو عنها فضلاً من الله ورحمة. وجاء الاستفهام ليقدر هذا العفو والتوبة، ويؤكد قبول توبتهم وعفو الله عنهم.

- وفي قوله تعالى: (أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا) [الأحقاف/١٦]

عدّي فعل (يتقبل) بحرف (عن)، وحقه أن يُعدّي بحرف (من)، علّل ابن عاشور ذلك بأنه من باب التغليب بجانب المدعو لهم، وهم الوالدان والذرية، لأن دعاء الوالد لأولئك بمنزلة النيابة عنهم في عبادة الدعاء، وإذا كان العمل بالنيابة متقبلاً علّم أنّ عمل المرء لنفسه متقبل أيضاً، ففي الكلام اختصار كأنه قيل: أولئك يُتقبل منهم ويُتقبل عن والديهم وذريتهم أحسن ما عملوا^(٣).



و(عن) بما تحمله من معنى الجاوزة، تدل على قبول العمل الصالح منهم، والتجاوز عن سيئاتهم. وتنمة الآية تؤكد هذا.

الثالث - التحليل

أن تكون بمعنى اللام^(٤)، ومثلوا له بقوله تعالى: (وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك)

[هود/٥٣].

مما قيل: إنّ (عن) هنا بمعنى اللام، والمعنى: وما نحن بتاركي آلهتنا لقولك^(٥). وبتأمل الآية وما يهدف إليه النظم، نرى قوم هود أرادوا تبييس هود من الإيمان به، وإظهار أنه لا يُتبع ولا يصدر عن رأيه، وخاصة فيما يتعلق بدين آبائهم، فكأنهم أرادوا أن ينفوا أمرين لا أمراً واحداً، الأول أنهم لن يتركوا آلهتهم ولن يقبلوا جدالاً، والثاني: أنهم لن يصدروا عن رأيه وقوله، وهو ما أكدوه بقولهم: (وما نحن لك بمؤمنين).

(١): أبو عبيدة، مجاز القرآن، ٢٦٨/١

(٢): انظر: الألويسي، روح المعاني، ١٥/١١

(٣): ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٥/٢٦

(٤): ابن مالك، التسهيل، ص ١٤٦. المالقي، رصف المباني، ص ٣٦٩

(٥): السيوطي، الإتقان، ١٦٤/١

(فعن قولك) حال من الضمير في تاركي آلهتنا، كأنه قيل: ما نترك آلهتنا صادرين عن قولك^(١). فيكون النفي بذلك منصباً على القيد والمقيد معاً، لأنهم لا يتركون آلهتهم ولا يعملون بقوله عليه السلام^(٢).

وهذا أبلغ من اللام في وضعها، لأن مع (اللام) يكون المنفي أمراً واحداً معللاً بقوله، أي لن نترك ديننا لأجل أو بسبب قولك. فكأنهم على استعداد لترك دينهم لو كان الأمر من غيره. فاللام لم تنف عدم تركهم آلهتهم لتمسكهم بها^(٣).

- وفي قوله تعالى: (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه) [التوبة/ ١١٤]

قيل: (عن موعدة) لأجل موعدة، و(عن) للتعليل^(٤). وهذه الآية جاءت بعد نهي الله تعالى لرسوله والمؤمنين أن يستغفروا للمشركين، فقالوا: قد استغفر إبراهيم لأبيه^(٥)، فجاءت هذه الآية تبين أن استغفار إبراهيم لأبيه وهو من المشركين إنما كان وفاء بما وعد أباه، و(عن) بما فيها من معنى المجاوزة تفسر أن إبراهيم أراد أن يتجاوز إثم الإخلاف بالوعد. وكأنه كان مدفوعاً إليه، إذ بمجرد ما تبين له عداوته لله تبرأ منه.

وليس الوعد كما ذكر ابن عاشور صدر من أبي إبراهيم، بأنه وعد إبراهيم بالإيمان، فظن إبراهيم أنه متردد فسأل له المغفرة لعله يرفض عبادة الأصنام^(٦).
إذ الآية: (قال سأستغفر لك ربي) فهذا القول من إبراهيم - عليه السلام - عندما طلب منه أبوه أن يهجره. فكيف يطلب منه أن يهجره ويقال إنه وعده بالإيمان فاستغفر له؟.

(١): الزمخشري، الكشاف، ٢/٢٧٥

(٢): الألوسي، روح المعاني، ١٢/٨١

(٣): انظر: الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ٣١٤

(٤): السيوطي، الإتيان، ١/١٦٤

(٥): الألوسي، روح المعاني، ١١/٣٤

(٦): انظر: ابن عاشور، التحرير والتوير، ١١/٤٥

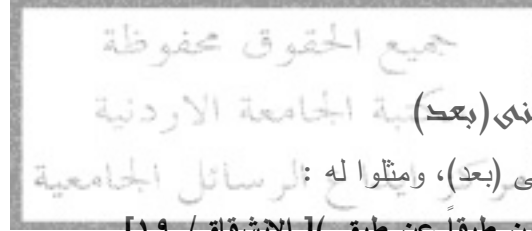
- وقوله تعالى: (فأزلهما الشيطان عنها) [البقرة/٣٦]

الضمير في قوله "عنها" يجوز أن يعود إلى الشجرة لأنها أقرب وليتبين سبب الزلّة، وسبب الخروج من الجنة، إذ لو لم يجعل الضمير عائداً إلى الشجرة لخلت القصة عن ذكر سبب الخروج.

و(عن) في أصل معناها، أي: أزلهما إزالاً ناشئاً عن الشجرة، أي عن الأكل منها، وتقدير المضاف دل عليه قوله "ولا تقربا هذه الشجرة". وليست (عن) للسببية ومن ذكر السببية أراد حاصل المعنى.

ويجوز كون الضمير للجنة وتكون (عن) على ظاهرها، والإزال مجازاً في الإخراج بكره، والمراد منه الهبوط من الجنة مكرهين^(١).

وفي كل (عن) تبين دورها، وأن القول بالسببية جاء من المعنى المفهوم للآية.



- بقوله تعالى: (لتركين طبقاً عن طبق) [الانشقاق/ ١٩]

قيل المعنى: لتركين حالاً بعد حال، و(عن) بمعنى(بعد) والبعدية اعتبارية، وهي بعدية ارتقاء، أي لتلاقن هو لا أعظم من هول^(٢).

فمعنى البعدية جاء باعتبار المعنى من ترقى ركوب الطبق، واختلاف الحال. و(عن) بما فيها من المجاوزة أفادت وأدت هذا المعنى: أي لتركين أحوالاً بعد أحوال هي طبقات في الشدة بعضها أرفع من بعض^(٣).

فالصحيح أن (عن) صفة أو حال، أي طبقاً متجاوزاً في الشدة عن طبق دونه في الشدة.

- وفي قوله تعالى: (قال عما قليل ليصبحن نادمين) [المؤمنون / ٤٠]

(١): ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٤٣٣/١

(٢): المرجع السابق، ٢٢٩/٣٠

(٣): الألويسي، روح المعاني، ٨٢/٣٠

أفاد حرف (عن) المجاوزة، أي مجاوزة معنى متعلقها الاسم المجرور بها. فينشأ منها معنى (بعد). وهذا تفسير الظاهر والمعنى.
فمعنى (عمّا قليل ليُصبحنّ نادمين): أنّ إصباحهم نادمين يتجاوز زمنًا قليلاً، أي من زمان التكلم، وهوة تجاوز مجازي بحرف (عن) ^(١).

فحرف (عن) أكد معنى القلة أكثر من (بعد)، وما فيه من الوعيد والتهديد، بحيث أعقبه بالأخذ.

- وموضع جاء متعدياً (بعن) وآخر (من بعد) ، فُفسّر الذي عُدّي بـ (عن) أنه بمعنى بعد ^(٢)، وذلك في قوله تعالى: (يُحرفون الكلم عن مواضعه) [المائدة/ ١٣]

أبان أبو حيان معنى الحرفين بقوله: (والذي يظهر أنهما سياقان، فحيث وصفوا بشدة التمرد والطغيان وإظهار العداوة واشترائهم الضلالة، ونقض الميثاق جاء (يُحرفون الكلم عن مواضعه). ألا ترى إلى قوله: (ويقولون سمعنا وعصينا) [النساء/ ٤٦]، وقوله (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يُحرفون الكلم عن مواضعه). فكأنهم لم يتركوا الكلم من التحريف عما يراد بها، ولم تستقر في مواضعها فيكون التحريف بعدا استقرارها، بل بادروا إلى تحريفها بأول وهلة.

وحيث وصفوا ببعض لين وتردد وتحكيم للرسول في بعض الأمر جاء (من بعد مواضعه) [المائدة/ ٤١] ألا ترى إلى قوله: (يقولون أن أوتيتم هذا فخذوه وأن لم تؤتوه فاحذروا) [المائدة/ ٤١] وقوله بعد (فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم) [المائدة/ ٤٢] فكأنهم لم يبادروا بالتحريف، بل عرض لهم التحريف بعد استقرار الكلم في مواضعها ^(٣).

الخامس - الاستعلاء

ذكر النحاة أن (عن) تأتي بمعنى (على) دالة على الاستعلاء ^(٤). قالوا ^(٥): في قوله تعالى: (هاأنتم هؤلاء تُدعون لتنتفخوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه)

[محمد/ ٣٨]

(١): ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٥٨/١٨

(٢): الزركشي، البرهان، ٢٨٧/٤

(٣): أبو حيان، البحر المحيط، ٢٦٣/٣

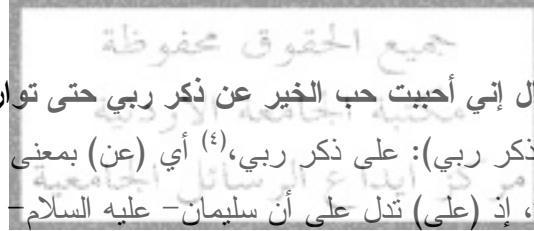
(٤): انظر: المالقي، رصف المباني، ص ٤٣١. و ابن مالك، التسهيل، ص ١٤٦

(٥): انظر: الزركشي، البرهان، ٢٨٦/٤

عُرّف البخل بأنه: إمساك المقتنيات عمّا لا يحق حبسها عنه^(١). فيقال: بخلت عليه وبخلت عنه، لأنّ البخل فيه معنى المنع، ومعنى التصييق على من منع عنه المعروف والإضرار فناسب أن يعدى بعن للأول وبعلى للثاني^(٢).

وعليه فليس أحد الحرفين بمعنى الآخر. وفي الآية دعوة إلى الإنفاق في سبيل الله فلا يستجيبون لشح أنفسهم، ويضنون بأموالهم فلا يلبوا داعي الله، وهم بذلك إنما يمنعون الخير عن أنفسهم من حيث ظنوا أنهم يبذلونه لها، لأنه ليس للإنسان من ماله إلا ما تصدق فأبقى، وكأن القرآن يقول لهم: إنكم إذا منعتم المال وحبستموه عن وجوه الخير فإنكم منعتم الأجر العظيم والثواب الجزيل عنها^(٣).

وليس لذلك إلا حرف المجاوزة بما يشير إليه من مجاوزة الخير لهم وفواته عنهم.



- وقوله تعالى: **(فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب) [ص/٣٢]** قدر البعض (عن ذكر ربي): على ذكر ربي،^(٤) أي (عن) بمعنى حرف الاستعلاء. وهذا قول يرفضه مقام النبوة، إذ (على) تدل على أن سليمان - عليه السلام - غلب لديه حب الخيل على ذكر الله، وهذا أمر نُزّه الأنبياء عن الوقوع فيه أو الصدور منهم .

ولكن ما المعنى الذي أفادته (عن) في الآية؟ قال أبو حيان: (قال الجمهور: عُرِضت عليه آلاف من الخيل تركها أبوه، وقيل ألف واحد، فأجريت بين يديه عشياً، فتشاغل بحسنها وجربها، ومحبتها عن ذكر الله، فقال: ردّوها عليّ فطفق يضرب أعناقها وعراقبيها بالسيف لما كانت سبب الذهول عن ذلك الذكر، فأبدله الله أسرع منها الريح)^(٥).

وهذا التفسير عليه الأغلب من المفسرين. وإن كنت أيضاً لا أرى - مع تقديري لجهود المفسرين هذا الرأي كذلك، من المعلوم أنّ (عن) تفيد المجاوزة إمّا حقيقةً أو مجازاً، و(عن) في الآية أفادت المجاوزة مجازاً، فحبّ سليمان - عليه السلام - للخيل كان حباً ناشئاً عن ذكر الله

(١) : الراغب، المفردات، ص ٤٩

(٢) : الألويسي، روح المعاني، ٨٢/٢٦

(٣) : الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ٢١٩

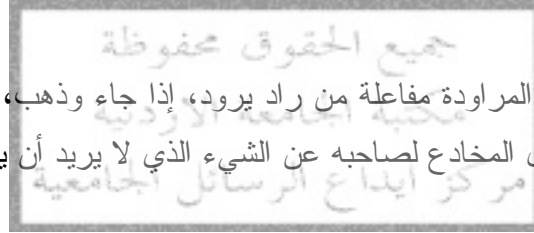
(٤) : انظر: الزركشي، البرهان، ٢٨٦/٤٥

(٥) : أبو حيان، البحر المحيط، ٣٩٦/٧

ومكانه الخيول في الجهاد، فما نشأ عن شئ كان مجاوزاً له مجازاً وليس حقيقة. وهذا - والله أعلم- ينسجم مع الآية، إذ طلب عليه السلام أن تُردّ الخيل عليه حين توارت عنه وأخذ بمسح أعناقها وسوقها مسحا حقيقيا، وليس كما قيل مسحا بالسيف أي يقتلها^(١).

- وآية أخرى أو ثرت (عن) في سياقها في قوله تعالى: (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه) [يوسف/٢٣].

الأصل في (راود) أن يتعدى بعلی دالاً على المغالبة، كما جاء في حديث الإسراء قال موسى عليه السلام: (قد والله راودت بني إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه)^(٢). وفي مرادة امرأة العزيز ليوسف ما يوحي بالمغالبة التي تتطلب حرف الاستعلاء، كما يدل عليه قوله (التي هو في بيتها) أنها صاحبة الموقف الراجح، وقوله (وغلقت الأبواب) فما السر في العدول عن حرف الاستعلاء إلى حرف المجاوزة؟



قال الزمخشري: (المرادة مفاعلة من راد يروء، إذا جاء وذهب، كأنّ المعنى خادعته عن نفسه، أي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد أن يخرج من يده، يحتال أن يغلبه ويأخذه منه)^(٣).

وكان امرأة العزيز تلتفت إليه، وحاولت إغراءه وشغله عن نفسه، على اعتقادها أن الحيلة والخداع هما الوسيلة لما تريد، وليس المغالبة والقهر، و(عن) بما فيها من المجاوزة توحى ببعد النفس وخسارتها وضياعها إن حصل ذلك الفعل، ففعلها خسارة النفس وضياعها.

الساحس - بمعنى (الباء)

من أشهر الأمثلة التي قيل إنّ (عن) فيها بمعنى الباء، قوله تعالى: (وما ينطق عن الهوى) [النجم/٣]^(٤)

وقوله تعالى: (يسألونك كأنك حفي عنها) [الأعراف/١٨٧]^(٥).

(١): انظر: الرازي، عصمة الأنبياء، ص ٧٦-٨٠

(٢): ابن حجر، فتح الباري بشرح البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في قوله تعالى " وكلم الله موسى تكليماً " ، ٤٤٩/١٥ . برقم " ٧٥١٧ "

(٣): الزمخشري، الكشاف، ٤٣٧/٢

(٣): سبق الحديث عنها، انظر: المعنى الأول- المجاوزة، ص ٦٦

(٥): سبق الحديث عنها كذلك، نفس الموضوع، ص ٦٧

- وفي قوله تعالى: (وأتو النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً) [النساء/٤]

ذهب الألويسي إلى أن تعدى الفعل (طاب) جرى على غير الأصل، إذا أن الشأن فيه أن يتعدى بالباء، فضمّن (طاب) معنى تجافى وتباعد ، حتى تصح تعديته بحرف المجاوزة^(١).

فقولهم: طبت به نفساً أي طابت نفسي به، وطابت بالشيء، إذا سمحت به من غير كراهة ولا غضب، وقد طابت نفسي عن ذلك تركاً، وطابت عليه إذا وافقتها، وطبت نفساً عنه وعليه وبه، وفي التنزيل العزيز: (فإنه طبن لكم عن شيء منه نفساً)^(٢).

فالآية الكريمة علّقت حلّ أكل الرجال من مهور النساء بطيب النفس عما تتازلن عنه وتركنه لأزواجهن رغبة واختياراً. وليس ذلك (للباء) بما فيها المصاحبة و القرب.

السابع - اسم بمعنى جانب

- نحو قوله تعالى: (أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله) [النحل/٤٨].

قيل: (عن) اسم بمعنى جانب^(٣). ولكن هذا تفسير معنى ولا تبرز دور (عن)، وذلك أن حركة الظلال في تفيؤها تتحرف عن الأيمان والشمائل بحكم اتجاهات الرياح، ولا يصور تباعد حركة الظلال وتظامنها سجوداً لله تعالى إلا حرف المجاوزة^(٤).

- وفي قوله تعالى: (قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم) [الأعراف/١٧].

قال الزمخشري محاولاً تعليل المغايرة في الحرفين: (فإن قلت: كيف قيل: (من بين أيديهم ومن خلفهم) بحرف الابتداء، (وعن أيمانهم وعن شمائلهم) بحرف المجاوزة؟ قلت: المفعول فيه عدى إليه الفعل نحو تعديته إلى المفعول به، فكما اختلفت حروف التعدية في ذلك اختلفت في

(١) انظر: الألويسي، روح المعاني، ٤/١٩٨-١٩٩

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ٥/٢٧٣٣

(٣) ابو حيان، البحر، ٥/٤٩٨. الجمل، حاشيته على الجلائين، ٢/٥٦٦

(٤): انظر: الخصري، من أسرار حروف الجر، ص ٣٢٣

هذا، وكانت لغة تؤخذ ولا تقاس، وإنما يفتش عن صحة موقعها فقط، فلما سمعناهم يقولون :
جلس عن يمينه، وعلى يمينه، وعن شماله، وعلى شماله، قلنا: يعني معنى على يمينه: أنه تمكن
من جهة اليمين تمكن المستعلي من المستعلي عليه، ومعنى عن يمينه أنه جلس متجافياً عن
صاحب اليمين منحرفاً عنه، غير ملاصق له، ثم كثر حتى استعمل ي المتجافي وغيره^(١).

وعلق أبو حيان على كلام الزمخشري بأنه كلام لا بأس به، وقال معللاً : (إنما خصَّ بين
الأيدي والخلف بحرف الابتداء الذي هو أمكن في الإتيان، لأنهما أغلب ما يجيء العدو منهما
فينال فرصته، وقدّم بين الأيدي على الخلف، لأنها الجهة التي تدل على إقدام العدو وبسالته في
مواجهة قرنه غير خائف منه، والخلف من جهة غدر وجهالة القرن بمن يغتاله ويتطلب غرته
وغفلته، وخص الأيمان والشمائل بالحرف الذي يدل على المجاوزة لأنهما ليستا بأغلب ما يأتي
منها العدو، وإنما يتجاوز إتيانه إلى الجهة التي هي أغلب في ذلك)^(٢).

فقوله يصور أساليب الشيطان في تعرضه للإنسان، فإن النفس الضعيفة تأتي أساليبه مواجهة
لأنها لا تصمد أمامه ولا تقاوم، أما الذين يبذلون قوة أمامه وصعوبة في الانسياق وراءه فإنه يلجأ
إليهم عن طريقة التخفي، والحيل، في أمور تزيّن إليهم أنها خير لا شر.

الثامن - الزيادة

قالوا بزيادة (عن) في قوله تعالى : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) [النور / ٦٣].
ذهب أبو عبيدة إلى أن (الذين يخالفون عن أمره) مجازه : يخالفون أمره سواء، وعن زائدة^(٣).
أما أبو حيان فضمن خالف معنى صدّ وأعرض فعدها بعن^(٤). وقدّر الزمخشري فعل محذوف،
يقال : خالفه إلى الأمر : إذا ذهب إليه دونه، ومنه قوله تعالى : (وما أريد أن أخالفكم إلى ما
أنهاكم عنه) [هود / ٨٨].

(١): الزمخشري، الكشاف، ٧١/٢

(٢): أبو حيان، البحر المحيط، ٢٧٦/٤

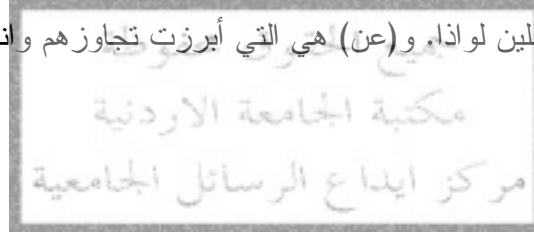
(٣): أبو عبيدة، مجاز القرآن، ٦٩/٢

(٤): أبو حيان، البحر المحيط، ٤٧٧/٦

وخالفه عن الأمر، إذا صدر عنه دونه، ومعنى (الذين يخالفون عن أمره) الذين يصدّون عن أمره دون المؤمنين وهم المنافقون، وحذف المفعول، لأن الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه^(١).

والتأمل لسياق الآية يجد قبلها حديثاً عن طاعة المؤمنين وثباتهم مع الرسول — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — حين يدعو إلى أمر جامع، لا يتركونه إلا بإذن منه (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنه) (النور/٦٢). ثم جاءت هذه الآية مشيرة إلى أن فريقاً حاول أن يستتر بغيره ليترك الرسول خفية ويتسلل دون أن يراه أحد. فكان قوله : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) تحذيراً لهؤلاء الذين لا يعلنون عصيانهم، ولكنهم يتجاوزن أمر الله وينحرفون عنه — من سوء ما ينتظرهم، وإعلامهم بأن الله يراهم ويراقب أفعالهم، ولو عدى الفعل بنفسه، فقليل : يخالفون أمره لدل على أنهم يعلنون عصيانهم ومخالفتهم.

وليس هذا موقف المتسللين لوأذا. و(عن) هي التي أبرزت تجاوزهم وانحرافهم فيما حسبوه خافياً مستوراً^(٢).



(١): الزمخشري، الكشاف، ٧٩/٣

(٢): الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ٣٠٥

المطلب السادس: (اللام) وأثرها في التفسير

ذكر لحرف اللام عدة معان أفادتها عند دخولها:

الأول- الملك^(١)

- تنفيذ الملك الحقيقي، كقوله تعالى: (إن الأرض لله) [الأعراف/١٢٨]. وقوله تعالى: (ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض) [البقرة/١٠٧]
فاللام للملك الحقيقي، فإله تعالى هو من يملك الأمور ويديرها، ويجريها على حسب ما يصلح للإنسان.

- وقوله تعالى: (إنما الصدقات للفقراء) [التوبة/٦٠].
الآية في ذكر الأصناف التي تجب لها الصدقات، وأبان الزمخشري أنها للاختصاص، فيحتمل أن تصرف إلى الأصناف كلها وأن تصرف إلى بعضها، وعليه مذهب أبي حنيفة. وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أنهم قالوا: في أي صنف منها وضعتها أجزأك.
وعند الشافعية أنها تفرّق في الأصناف الثمانية^(٢). أي أن اللام عنده للتملك وليس للاختصاص.

- وقوله تعالى: (ووهبنا لهم من رحمتنا) [مريم/٥٠].
اللام للتملك^(٣). فالهبة تملك من ناحية المعنى. ولكن اللام تعود لمعناها الرئيسي الذي تدور عليه وهو الاختصاص، فالله تعالى خصهم برحمة من عنده.

- وقوله تعالى: (وجعل لكم من أنفسكم أزواجاً) [النحل/٧٢].
اللام تفيد شبه الملك^(٤)، فملك الزوج ملك منفعة وليس ملك عين لها.

(١): انظر: لام الملك في كتاب اللامات للزجاجي، ص ٤٧-٥٠.

(٢): الزمخشري، الكشاف، ٢/٢٧٣-٢٧٤.

(٣): الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٤/٣٣٩.

(٤): عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن، ٢/٤٣٣.

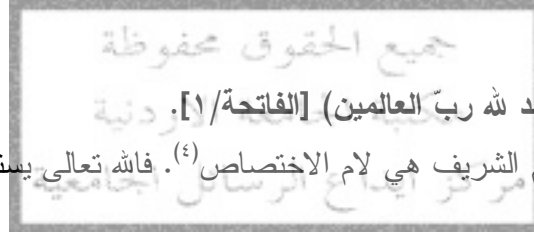
الثاني - الاختصاص

ومعناه: أنها تدل على أن بين الأول والثاني نسبة باعتبار ما دل عليه متعلق^(١). وهو المعني الأصلي لها، الذي تدور معانيها الأخرى حوله.

- منه قوله تعالى: (ولمّا جاء موسى لميقاتنا) [الأعراف/١٤٣].
اللام للاختصاص^(٢). فموسى عليه السلام اختص مجيئه للميقات، ولم يذهب معه أحد، فخص بهذا الوقت الذي حدّد له.

- وقوله تعالى: (إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً) [الإسراء/١٠٧].
اللام للاختصاص، فمعناه: جعل ذقنه ووجهه للخروج واختصه به^(٣). فالمسلم يخص وجهه بالسجود، تعبداً لله وانقياداً له.

- وقوله تعالى: (الحمد لله رب العالمين) [الفاحة/١].
اللام الداخلة على الاسم الشريف هي لام الاختصاص^(٤). فالحمد لله تعالى يستحق المدح ومخصوص به.



الثالث - الاستحقاق

وهو ما يتصور له التملك^(٥). والفرق بينه وبين الملك؛ أن الملك لما حصل وثبت، وهذا لما لم يحصل بعد، لكن هو في حكم الحاصل، من حيث ما قد استحق^(٦).

- من ذلك قوله تعالى: (أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) [الرعد/٢٥].
فهم استحقوا اللعنة والطرده من رحمة الله، واستحقوا جهنم جزاء لهما بما كانوا يعملون.

(١): الزركشي، البرهان، ٣٣٩/٤.

(٢): أبو حيان، البحر المحيط، ٣٨١/٤.

(٣): الزمخشري، الكشاف، ٦٧٢/٢.

(٤): الشوكاني، فتح القدير، ٢١/١.

(٥): الإربلي، جواهر الأدب، ص ٣٢.

(٦): الزركشي، البرهان، ٣٣٩/٤.

_ وقوله تعالى: (ويل للمطففين) [المطففين/١]

فالمطففون يستحقون الويل والدعاء عليهم، لما يقترفوا من إنقاص وتحايل على الناس في الوزن. فاستحقوا الدعاء عليهم.

- وقوله تعالى: (ولهم مقامع من حديد) [الحج/٢١].

الآية في الذين كفروا وما أُعد لهم من عذاب يوم القيامة، فاستحقوا لكفرهم مقامع من حديد يضربون بها^(١).

ولكن اللام في الآيات السابقة، تعود لمعناها الأصلي وهو الاختصاص. فكل اختص بعذاب وجزاء لما كان يقترفه من أعمال.

الرابع - العلة

وهي التي يصلح في موضعها من أجل^(٢). نحو قوله تعالى: (إنما نطعمكم لوجه الله) [الإنسان/٩].

ولكن (اللام) على أصلها من معنى الاختصاص، بأن إحصانهم مفعول لوجه الله تعالى، خالصاً لوجهه تعالى، لا يريدون شكراً ولا جزاء.

- وقوله تعالى: (إني نذرت لك ما في بطني محرراً) [آل عمران/٣٥].

(اللام) لام السبب، أي لخدمة بيتك أو الاحتباس على طاعتك^(٣). والسبب يعود لمعنى الاختصاص، فهي خصت نذر ما في بطنها لله تعالى، عتيقاً خالصاً لله لخدمة دينه وعبادته وحده.

- وقوله تعالى: (أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض) [البقرة/٢٦٧].

اللام للتعليل^(٤). أي أنفقوا مما أخرجنا لأجلكم من الأرض، وعلى الرغم من معنى التعليل، ففيها امتنان من الله على الإنسان بأن أخرج لهم ويسر لهم الرزق، فعليهم أن يسعوا وينفقوا من هذه الطيبات.

(١): الشوكاني، فتح القدير، ٥٥١/٣.

(٢): الزركشي، البرهان، ٣٤٠/٤.

(٣): أبو حيان، البحر، ٤٣٧/٢.

(٤): الجمل، حاشيته على الجلالين، ٢٢٣/١.

- وقوله تعالى: (أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير) [آل عمران/٤٩].
اللام للتعليل^(١). أي أنه يخلق من أجلهم. وهذا تفسير لإبراز المعنى. (واللام) دلت على الاختصاص، فكانت هذه المعجزة لعيسى - عليه السلام - خاصة بقومه فقط ومن كان في ذلك الوقت وليست لغيرهم.

- وقوله تعالى: (وإذ استسقى موسى لقومه) [البقرة/٦٠].
أي لأجل قومه^(٢). وكذلك كان هذا الاستسقاء من موسى خاصاً لقومه، عندما طلبوا الماء. فكانت من النعم الكثيرة التي أنعم الله بها على بني إسرائيل.

الخامس - التبليغ

وهي الجارة لاسم السامع لقوله أو ما في معناه^(٣). نحو قوله تعالى: (وإذ قال ربك للملائكة) [البقرة/٣٠].
اللام للتبليغ^(٤). وهي للاختصاص، فقول الله تعالى هذا كان خاصاً للملائكة. ولم يقال لغيرهم، عندما أخبرهم أنه جاعل في الأرض خليفة.

- وقوله تعالى: (وإذ قال موسى لقومه) [البقرة/٥٤].
اللام للتبليغ^(٥). والتبليغ فيه اختصاص فقول موسى - عليه السلام - كان خاصاً بقومه، حين ظلموا أنفسهم واتخذوا العجل عبادة لهم. فأمرهم بالتوبة والندم على ما فعلوه.

- وقوله تعالى: (ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض) [البقرة/٣٣].
اللام للتبليغ^(٦). فإله تعالى بعد أن طلب من الملائكة أن يخبروه بأسماء ما عرضه عليهم، فعجزوا ولم يعرفوا، وعرف آدم - عليه السلام - الأسماء وأخبرهم بأسمائها، فجاء هذا القول لهم إقراراً بأن الله يعلم ما في السماوات والأرض، والقول كان خاصاً للملائكة.

(١): أبو حيان، البحر، ٤٦٦/٢.

(٢): المرجع السابق، ٢٢٦/١.

(٣): ابن هشام، المغني، ١٨٧/١.

(٤): أبو حيان، البحر، ١٣٩/١.

(٥): المرجع السابق، ٢٠٥/١.

(٦): المرجع السابق، ١٥١/١.

- وقوله تعالى: (وقالت أولاهم لأخراهم) [الأعراف/٣٨].
 اللام للتبليغ لأن الخطاب مع آخرهم^(١). وهذا خطابهم في النار عندما يجتمع الأتباع والمتبوعون، فيقوم الأتباع بمحاجة من اتبعوهم إلى الله، بأنهم هم الذين أضلوهم عن السبيل رغبة في النجاة.
 ولكن الله منح العقل للإنسان والإرادة في اختيار ما يريد، فلا سلطان لأحد عليه، وإنما حجة أملاً في الخروج، ولكن لا خروج.

- وقوله تعالى: (قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا) [الأعراف/٧٥].
 اللام للتبليغ^(٢).

الملأ والسادة الذين تكبروا من قوم صالح-عليه السلام- يخبرون المستضعفين ممن آمن مع صالح، أن صالحاً مرسل من ربه على سبيل الاستهزاء بهم.
 فقول الملأ كان خاصاً لهؤلاء المستضعفين، الذين آمنوا بما أنزل على صالح وآمنوا بالله، فأرادوا الاستهزاء منهم فقالوا مقولتهم تلك.

الساحس - الصيرورة

وتسمى لام العاقبة ولام المال^(٣). نحو قوله تعالى: (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً) [القصص/٨]. وهي بهذا الاسم عند من أثبت لها المعنى.

ذهب الزمخشري إلى أنها لام التعليل المجازي^(٤). فالآية أظهرت قدرة الله تعالى في تسخير فرعون وملئه- وهم الذين أسالوا دماء جيل من أطفال بني إسرائيل، رغبة في الوصول إلى دم موسى- لإرادته تعالى. فيلتقطونه وكأنهم يعلمون أنهم يسيرون إلى نهايتهم المحتومة، ويضعون نهاية ملكهم بأيديهم، وهذا إبراز لكمال قدرة الله تعالى، ونفاذ إرادته، وفي هذا الأسلوب ما فيه من التهكم والسخرية^(٥).

(١): الجمل، حاشية على الجلالين، ١/١٣٨.

(٢): أبو حيان، البحر، ٤/٣٣٠. الجمل، حاشيته على الجلالين، ٢/١٥٧.

(٣): عبد النعيم علي، الجر علم الأسماء، ١/١٨٣.

(٤): انظر: الزمخشري، الكشف، ٣/١٦٦.

(٥): انظر: الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ٢٦٠.

وقد جسد الألووسي هذا المعنى في قوله: (فيه استعارة تهكمية)^(١). فهي بهذا تفيد التعليل العائد للاختصاص، وما تحمله من معنى لا تدل عليه لام العاقبة.

السابع - بمعنى (إلى)

أي تكون لانتهاء الغاية^(٢). وكثيرة تلك المواطن التي قيل فيها إنَّ (اللام) تؤدي معنى انتهاء الغاية، وتحل محل الحرف الموضوع لها، ذاهبين إلى أنهما يتبادلان مواقعهما.

- من ذلك قوله تعالى: (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) [يس/٣٨].

فقد قيل: (تجري لمستقر لها) أي إلى مستقر لها، كما تقول: هو يجري لغايته وإلى غايته^(٣). وذهب الألووسي إلى أن (المستقر لها) لحد معين، تنتهي إليه من فلکها في آخر السنة، شبه بمستقر المسافر إذا قطع مسيره، من حيث أن في كل انتهاء إلى محل معين، وإن كان للمسافر قرار دونها، وروى هذا الكلبي، واختاره ابن قتيبة، والمستقر عليه اسم مكان، واللام بمعنى إلى^(٤).

وبتأمل السياق نجدتها تتحدث عن آيات الله في كونه، وترسم صورة حية للحركة الدقيقة المنتظمة لليل والنهار، والشمس والقمر، دون أن يختل هذا النظام، وكأن الله أودع في هذه الأجرام المتحركة من الإلهام ما تدرك به غايتها، وتسعى لتحقيق هدفها، وهو ما تعبر عنه (اللام) خير تعبير^(٥).

والمفسرون القدامى قد اعتمدوا في تفسير جري الشمس على ما يشاهدونه من الحركة اليومية لدوران الأرض حول محورها أمام الشمس، مما ينتج عنه اختلاف الليل والنهار، والحركة السنوية لدوران الأرض حول الشمس، وما ينتج عنها من اختلاف المشارق والمغارب. والعلم الحديث أثبت للشمس حركة حقيقية بسرعة مخصوصة تقدر بنحو اثني عشر ميلاً في الثانية، في اتجاه مخصوص في فضاء الله هو الجهة التي فيها النجم المسمى (فيفا)،

(١): الألووسي، روح المعاني، ٤٦/٢٠.

(٢): المرادي، الجنى المداني، ص ٩٩.

(٣): ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص ٣١٦.

(٤): الألووسي، روح المعاني، ١١/٢٣.

(٥): انظر: الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ٢١٩.

ومستقرها لا يزال أمراً من أمور الغيب، وذلك إعجازاً علمي جاء به القرآن قبل أن يولد علم الفلك الحديث^(١).

وتعدية الفعل باللام تنبئ عن غرض خاص رسمه الله للشمس، وهي تجري باحثة عنه في حركة منتظمة لا تقتر ولا تمل، ويتناغم مع هذه اللام أختها في قوله: (لها). حيث لم يقل: لمستقرها، تأكيداً لخصوصية هذه الحركة وتفردها^(٢).

فأين هذا من حرف الانتهاء المنبئ عن توقف حركتها مجرد بلوغها هذا المستقر، إن (إلى) تلائم الحديث عن الآخرة، حيث يراد نهاية الكون، وبدء عالم آخر يتغير فيه نظام الخلق، ولا يلائم الحديث عن تصوير حركة الحياة في الكون.

- وقوله تعالى: (ربنا إنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان) [آل عمران/١٩٣].

ذهب الشوكاني إلى أن (اللام) في قوله: (للإيمان) بمعنى (إلى)، وقيل: إن (ينادي) يتعدى باللام وبإلى، يقال: ينادي لكذا، وينادي إلى كذا، وقيل اللام للعلة، أي لأجل الإيمان^(٣).

وتعدية النداء باللام الهدف منه تخصيص النداء، والدعوة بما طلب، إظهاراً لعظمة شأن المنادي، فلا مناد أعظم من مناد ينادي للإيمان^(٤). والسعي له. أما (إلى) فيكون الغرض منه القصد إلى الشيء والانتهاء إليه. ولا يفيد ما يعطيه حرف (اللام) من الاختصاص.

- وقوله تعالى: (الحمد لله الذي هدانا لهذا) [الأعراف/٤٣].

يقال: هديت للحق وهديت إلى الحق بمعنى واحد^(٥). وذكر الشوكاني أربعة معان للهداية حسب ورودها في القرآن، هي: الإرشاد أو التوفيق أو الإلهام أو الدلالة^(٦).

(١): انظر: الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، ص ٢٦٦-٢٦٨.

(٢): انظر: الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ٢١٩-٢٢٠.

(٣): الشوكاني، فتح القدير، ١/٥١٨.

(٤): الزمخشري، الكشاف، ١/٤٤٥.

(٥): ابن منظور؛ لسان العرب، ٨/٤٦٣٩. وانظر: الزمخشري، الكشاف، ٢/٣٣٤.

(٦): الشوكاني، فتح القدير، ١/٢٦.

فهو حين يُعدى (بالى) يدل على الإرشاد وإيصال المهدي إلى الغاية المنشودة، وحين يُعدى (باللام) يدل على التوفيق وتهيئة القلب والنفس للسعي من أجل هذه الغاية، انبثاقاً من معنى الاختصاص في اللام^(١).

فاللام في الآية تدل على توفيق الله للمؤمنين، وتهيئة قلوبهم ونفوسهم للسعي من أجل الإيمان والعمل، وأنهم خصوا بهذا الطريق وهذه الهداية، التي امتن الله عليهم بها.

- وقوله تعالى: (إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً) [الأنعام/٧٩].

فذكر أن (اللام) بمعنى (إلى). وأبان الرازي خصوصية الحرف في الآية، بأن تعديته (باللام) فيه دقيقة، وهي أنه لم يقل: وجهت وجهي إلى الذي فطر السماوات والأرض، بل ترك هذا اللفظ، وذكر قوله: (وجهت وجهي للذي)، والمعنى: أن توجيه القلب ليس إليه، لأنه متعال عن الحيز والجهة، بل توجيه وجه القلب إلى خدمته وطاعته لأجل عبوديته، فترك (كلمة) إلى هنا، والاكتفاء بحرف اللام، دليل ظاهر على كون المعبود متعالياً عن الحيز والجهة^(٢).

فالتوجه والإخلاص لا يكون إلا لله خالق السماوات والأرض، متعال عن الجهة والحيز.

- وقوله تعالى: (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له) [الأعراف/٢٠٤].

ذكر أن (اللام) بمعنى (إلى)^(٣). ولكن من معنى الاختصاص للام، فإن اللام في الآية تدل على إيثار المسموع بالقبول، واختصاصه بالاستجابة، والانقياد له.

أما (إلى) فتدل على انتهاء الكلام إلى الأذن، ووصول المسموع إليها، دون الاستجابة والعمل بمقتضاه^(٤).

فبهذا ظهر الفرق بين التعدية بالحرفين.

(١): انظر: ابن القيم، بدائع الفوائد، ٢/٢١٠.

(٢): الرازي، التفسير الكبير، ١٣/٥٧.

(٣): الجمل، حاشيته على الجلالين، ٢/٢١٩.

(٤): انظر، الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ٢٢٩-٢٣٠.

الثامن - بمعنى (على)

ذهب كثير من النحاة والمفسرين إلى جعل (اللام) في قوله تعالى: (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها) [الإسراء/٧].

معنى (فلها): أي فعليها؛ لأن السيئة على الإنسان لا له بدليل قوله تعالى: (فعلني إجرامي) [هود/٣٥]، وقوله: (من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها) [فصلت/٤٦] ^(١).
لأن اللام من شأنها أن تأتي دالة على النفع، ومن شأن (على) أن ترمز إلى الضرر والشدة، فلما خولف ذلك في هذه الآية قيل إن اللام بمعنى حرف الاستعلاء، كما ذهب إليه السيوطي وابن الجوزي ^(٢).

وفي نظم هذه الآية ما يستدعي اللام، ويرجح معنى الاختصاص فيها، حيث قصت الآيات قبلها ما قضاها الله على بني إسرائيل من الإفساد في الأرض مرتين، وكيف عاقبهم الله تعالى على افسادهم للمرة الأولى وحذرهم مغية العودة إلى الإفساد للمرة الثانية، وما يترتب عليه من عقاب يستحقونه جزاء ما عملوا، وحتى لا يتوهم بنو إسرائيل لكثرة ما أنعم الله عليهم، وفضلهم على غيرهم، أن الله تعالى في طاعتهم حاجة وأنهم كما يدعون أبناء الله وأحباءه، جاءت اللام لتدل على أن إحسانهم وإساءتهم لأنفسهم لا ينتفع بأعمالهم، ولا يضربها غيرهم ^(٣).

فهي لام الاستحقاق والاختصاص وليست بمعنى (على) وهو ما رجحه أبو البقاء، بأنها على بابها وهو الصحيح، لأن اللام للاختصاص، والعامل مختص بجزاء عمله، حسنة وسيئة ^(٤).

- وقوله تعالى: (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) [التوبة/٥١].

جسدت اللام عقيدة المسلم، ورؤيته للحياة والموت، والانتصار والشهادة.

فإن (اللام) في (إلا ما كتب الله لنا) تكشف عن أعماق النفس المؤمنة، بان ما أصابها من سراء أو ضراء فهو خير ساقه الله له، فإن أصابته سراء شكر وإن أصابته ضراء صبر

(١): الزركشي، البرهان، ٣٤١/٤. أبو حيان، البحر، ١٠٠/٦. العكبري، إملاء ما من به الرحمن ٤٧/٢. الجمل، حاشيته على الجلالين، ٦٠٨/٢.

(٢): انظر: السيوطي، الإتقان، ١٧٠/١. وابن الجوزي، منتخب قرة العيون النواظر، ص ٢١١.

(٣): الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ٢٤٠.

(٤): العكبري، إملاء ما من به الرحمن، ٨٨/٢.

فكان خيراً له^(١).

فكشفت (اللام) عن عقيدة المسلم في استقباله لقضاء الله، ولو كانت الآية عُدِّيت (بعلى) لأشعرت بالثقل والضيق، من غير رضا.

- وفي قوله تعالى: (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً) [الكهف/١٠٠].
يقول أبو حيان: (وعرضنا) أي أبرزنا يومئذ، أي يوم إذ جمعناهم. وقيل اللام بمعنى (على).
وأبعد من ذهب إلى أنه مقلوب، والتقدير: وعرضنا الكافرين على جهنم عرضاً^(٢).

يتعدى الفعل عرض بـ (على)، فعرض القوم على السيف: قتلهم به، وعرضهم على السبوط ضربهم به، وعرضهم على النار أحرقهم، وعرض يعرض له أمراً: بدا وظهر^(٣).

فمن تعديته بعلى يفيد الإحراق بالنار، وتعديته باللام تفيد إبراز وإظهار النار لهم، ورؤية الكافرين لها وللمصير الذي ينتظرهم، تعديبا وتخويفا لهم. و(اللام) تفيد الاختصاص، فعرض النار لا يكون إلا للكفار، جزاء لما فعلوه وإفعالهم لقلوبهم وعقولهم.

- وقوله تعالى: (أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) [الرعد/٢٥].
حيث فسرت (اللام) في (لهم) بأنها بمعنى (على)^(٤). ولكن تعدية اللعنة باللام، تعطي معنى الثبوت والاستحقاق، فهم استحقوا اللعنة وخصت بهم لأنهم نقضوا عهد الله بعد ميثاقه وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض.

ولو عُدِّيت (بعلى) لأفادت حلول الغضب بهم، وانصبايه عليهم وشدته^(٥).

- وقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) [الحجرات/٢].

(١): انظر: الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ٢٤١-٢٤٢.

(٢): أبو حيان، البحر، ٦/١٦٥.

(٣): موسى محمد الملياني، معجم الأفعال المتعدية بحرف، ٢٣٢.

(٤): الزركشي، البرهان، ٤/٣٤١.

(٥): الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ٢٣٩.

جاءت (اللام) تكشف أن الرفع والجهر لم يكن إلا ما كان في طباعهم، لا أنه مقصود بذلك الاستخفاف والاستعلاء، لأنه كان يكون فعلهم ذلك كفراً والمخاطبون مؤمنون^(١).

وتفسير ابن قتيبة لهذه (اللام) بعلی^(٢)، يفوت هذا الغرض من بيان أنهم لم يقصدوا بالجهر إيذاء الرسول - صلى الله عليه وسلم -، ولو كانت بمعنى (على) لدلت على قصد الإساءة والاستعلاء على الرسول - صلى الله عليه وسلم -.

فجاءت الآية لتعلمهم آداب الحديث في حضرة الرسول دون أن يطعنهم في إيمانهم، بدليل تصدير الابتداء بالآية بنداؤ المؤمنين، وختمها بقوله (وأنتم لا تشعرون)^(٣).

التاسع - بمعنى (في)

يرى كثير النحاة أن الظرفية من معاني اللام، واستشهدوا لها ببضع آيات من القرآن الكريم، يمكن لمس غرض فيها يهدف إليه النظم مع إبقاء على أصل معناها، من ذلك قوله تعالى: (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً) [الأنبياء/٤٧].

قال الألويسي: (واللام في (ليوم القيامة) بمعنى (في) كما نصّ عليه ابن مالك وهو مذهب الكوفيين، ووافقهم ابن قتيبة، أي: يضع الموازين القسط في يوم القيامة التي كانوا يستعملونها. وقال غير واحد: هي للتعليل، أي: لأجل حساب يوم القيامة، أو لأجل أهله، وجعلها بعضهم للاختصاص^(٤)).

وأرى والله أعلم أن اللام على معناها من الاختصاص، والقول بأنها للتعليل راجح إلى معنى الاختصاص كما حققه المرادي^(٥). فالآية خصت وضع الموازين التي توزن بها أعمال الإنسان في يوم القيامة فقط.

- وقوله تعالى: (يقول يا ليتني قدّمت لحياتي) [الفجر/٢].

(١): أبو حيان، البحر، ١٠٦/٨.

(٢): تأويل مشكل القرآن، ص ٥٦٩.

(٣): الخصري، من أسرار حروف الجر، ص ٢٤٣.

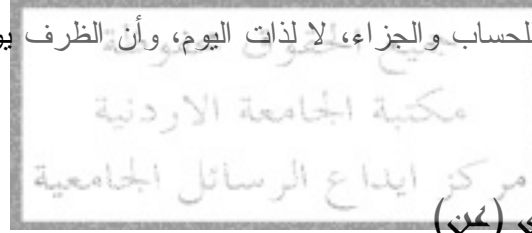
(٤): الألويسي، روح المعاني، ١٥٥/٧١.

(٥): انظر: الجنى الداني، ص ١٠٩.

فمعنى الآية: يا ليتني قدّمت في حياتي، أي الحياة الدنيا. على من قال إن (اللام) بمعنى (في) ^(١). والظاهر أن المعنى: لأجل حياتي، يعني الحياة الآخرة ^(٢).

فهذه الإضافة تحقق هدف النظم من إبراز تحسر الكافرين، وندمهم على ما فرطوه في حياتهم الدنيا، وعدم عملهم لحياة الآخرة الأبدية، التي تحياها في عذاب دائم. فهذه الحياة الآخرة خاصة لدوامها، فكان يمكن أن يتحول الدائم من جحيم إلى نعيم لكن الكافر كان السبب في ندمه وحسرتة يوم لا ينفعه كل ذلك.

- وكذا في قوله تعالى: (ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه) [آل عمران/٩]. ففسر معنى (اليوم) في يوم ^(٣). فهذه الآية (اللام) فيها للاختصاص، باختصاص يوم الجزاء بالجمع وما تبعه من تهديد ووعيد بما ينتظر الكافرين من سوء الحساب. فجمع الناس وإنما هو للحساب والجزاء، لا لذات اليوم، وأن الظرف يوحى بأنه ميعاد وزمان الجمع فقط.



العاشر - اللام بمعنى (عن)

عرّف المرادوي اللام الدالة على المجازة والتي قيل إنها تنوب فيها عن حرفها الموضوع لها وهو (عن)، بأنها: "هي الجارة اسم من غاب حقيقة أو حكماً عن قول قائل متعلق به"، نحو: - قوله تعالى: (وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه) [الأحقاف/١١]. أي: عن الذين آمنوا ^(٤).

هذه الآية سبقها حديث عن تكذيب المشركين بآيات الله، ودعواهم بان القرآن مفترى وليس من عند الله، ممّا استدعى الرد عليهم بقوله: (أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين) [الأحقاف/١٠].

(١): انظر: الزركشي، البرهان، ٣٤١/٤. والمرادي، الجنى الداني، ص ٩٩.

(٢): المرادي، الجنى الداني، ص ٩٩.

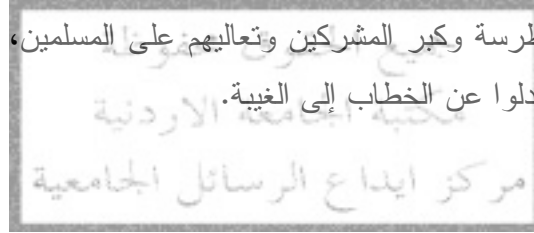
(٣): أبو حيان، البحر المحيط، ٣٨٧/٢.

(٤): المرادي: الجنى الداني، ص ٩٩.

فكان رد المشركين في الآية موضع الحديث يحمل الاستخفاف بالمسلمين، وتطلب كبرياؤهم أن يترفعوا عن خطاب المؤمنين، فعدلوا عن أسلوب الغيبة، صوناً لأنفسهم عن مواجهة من هم دونهم في زعمهم، وهو ضرب من الالتفات أثره القرآن الكريم لإبراز صور التعالي والخطرسة. فانظر كيف يضيع هذا الغرض لو قال: لو كان خيراً ما سبقتمونا إليه. وكيف يفسد المعنى لو قلت: قال الذين كفروا عن الذين آمنوا؛ لأنه يصبح نوعاً من الحديث عنهم، لا لهم مع أن الآية حوار بين المسلمين والمشركين^(١).

واللام لا تزال تحمل معنى اختصاص قولهم بمن وجه إليهم، واللام سماها أبو حيان لام التبليغ، وهي فرع عن الاختصاص. حيث قال: (واللام للتبليغ، ثم انتقلوا إلى الغيبة في قولهم (ما سبقونا) ولو لم ينتقلوا لكان الكلام ما سبقتم إليه)^(٢).

فالآية بينت خطرسة وكبر المشركين وتعاليمهم على المسلمين، بالرغم من أنهم تحدثوا مع المؤمنين إلا أنهم عدلوا عن الخطاب إلى الغيبة.



(١): انظر: الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ٢٥٢.

(٢): النهر الماد من البحر، ٥٨/٨.

المطلب السابع- (أين) وأثرها في التفسير

(أين) اسم استفهام عن المكان الذي حل فيه الشيء، وجاء الاستفهام في معظمها في القرآن الكريم على سبيل التوبيخ، لا للاستفهام الحقيقي^(١).

- نحو قوله تعالى: (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) [الأنعام/٢٢].

الاستفهام في (أين شركاؤكم) للتقريع والتوبيخ للمشركين، وجاءت إضافة الشركاء إليهم، لأنهم هم سموها شركاء ولم تكن شركاء لله حقيقة، وجاء التوبيخ لهم بهذا الاستفهام أن معبوداتهم غابت عنهم في تلك الحال أو كانت حاضرة ولكن لا ينتفعون بها بوجه من الوجوه، فكان وجودها كعدمها^(٢).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مؤيد تذهبون (فأين تذهبون) [التكوير/٢٦].
الجامعة الأردنية

- وقوله تعالى: (فأين تذهبون) [التكوير/٢٦].

تبكيت وتوبيخ للمشركين، أين تعدلون عن هذا القرآن وعن طاعته، وقال الزجاج: معناه: أي طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي قد بنيت لكم^(٣).

فهذا توبيخ لهم بعدما أبان الله لهم صفة رسوله عليه السلام ومكانته العالية، فيبعد كل هذا إلى أين؟ فهل هناك ضلال أكثر من هذا؟

- وقوله تعالى: (يقول الإنسان يومئذ أين المفر) [القيامة/١٠].

أفاد الاستفهام (بأين) التمني، إذ يتمنى الكافر أن يجد مكاناً يلجأ إليه من هول العذاب.

- وقوله تعالى: (وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله) [الشعراء/٩٢-٩٣].

(١): محمد الشريف، معجم حروف المعاني، ٤٤٢/١

(٢): الشوكاني، فتح القدير، ١٣٥/٢

(٣): المرجع السابق، ٤٨٧/٥

هذا الاستفهام توبيخ وتقريع للكافرين^(١)، يقال لهم هذا القول توبيخاً لهم وبياناً لسفاههم، أين الأصنام والأنداد التي سويتها بالله، وجعلتموها شركاء لله في عبادتكم. فتقطع حجة المخاطبين، ويُفحمون إذ يظهر لهم فساد ما كانوا يعتقدون.

- وقوله تعالى: (ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون) [غافر/٧٣].

هذا توبيخ وتقريع لهم، أي أين الشركاء الذين كنتم تعبدونهم من دون الله^(٢). وهذا يقال لهم بعد ما يروا العذاب الأليم، والنار التي أحاطت بهم، فلا مخرج لهم منها ولا ملجأ يحميهم من نارها، فأين الذين أشركوهم مع الله في العبادة.

فهذه هي الخسارة بعينها، والحسرة والندامة، يوم لا ينفع كل هذا. أجازنا الله جميعاً منها،

وأبعد عنا ما يقرب إليها من قول أو عمل. الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز أبحاث الرسائل الجامعية

(١): الشوكاني، فتح القدير، ١٣٢/٤

(٢): المرجع السابق، ٦٢٧/٤

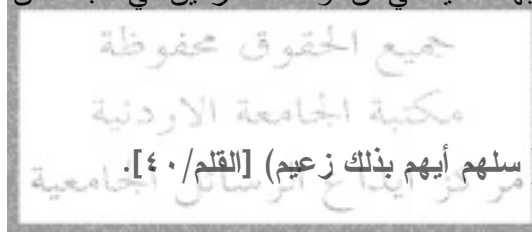
المطلب الثامن - (أي) وأثرها في التفسير

(أي) اسم يستفهم به عن العاقل وغيره، وهو للسؤال عما يميز أحد المتشاركين في أمر يشملهما^(١).

- نحو قوله تعالى: (وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سَألت بِأَيِّ ذَنبٍ قَتَلت) [التكوير/٨-٩].

يوجه السؤال إليها لإظهار كمال غيظها على قاتلها حتى كان لا يستحق أن يخاطب ويسأل عن ذلك، والاستفهام إنكار وتوبيخ شديد وتبكيك لقاتلها، لأنها قتلت بغير ذنب^(٢).

واستدل ابن عباس بهذه الآية في أن أولاد المشركين في الجنة لأن الله انتصر لهم من



ظلمهم^(٣).

- وقوله تعالى: (سلهم أيهم بذلك زعيم) [القلم/٤٠].

طلب من الله تعالى لنبيه عليه السلام بأن يسأل الكفار موبخاً لهم ومقرعاً أيهم بذلك الحكم الخارج عن الصواب كفيل لهم بأن لهم في الآخرة ما للمسلمين فيها^(٤).

- وقوله تعالى: (فبأي آلاء ربكما تكذبان) [الرحمن/١٣].

أي بأي نعم الله يكذب وينكر، فالاستفهام تقريراً للنعم وتأكيداً للتذكير ولذا جاءت هذه الجملة بين كل مجموعة من النعم. فهذه النعم لا يستطيع أحد أن ينكرها^(٥).

فهو تعظيم لآيات الله، وإنكار التكذيب بها مع تقبيح هذه الأفعال وتوبيخهم.

(١): محمد الشريف، معجم حروف المعاني، ٤٤٣/١

(٢): الشوكاني، فتح القدير، ٤٨٤/٥. الزمخشري، الكشاف، ٦٩٥/٤

(٣): ابن عطية، المحرر الوجيز، ٤٤٢/٥

(٤): الشوكاني، فتح القدير، ٣٤١/٥

(٥): انظر: المرجع سابق، ١٦٦/٥

- وقوله تعالى: (فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون) [الجاثية/٦].

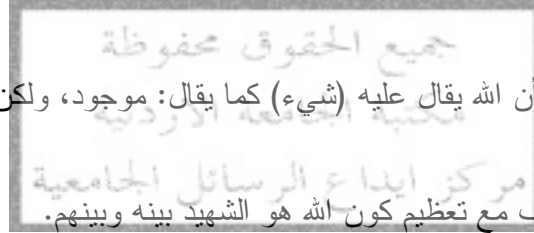
الآية باستفهامها توبيخ وتقريع، وفيه قوة تهديد^(١)، أي بأي حديث بعد الله وآياته، وحديثه يؤمنون. وهو حديث عظيم، لا يصل إلى عظمه أحد، فهل بقي من يستحق أن يؤمن به إلا الله؟

ففيها تعظيم لحديث الله وآياته، وتوبيخ المتحدث عنهم في هذه الآية.

- وقوله تعالى: (قل أي شيء أكبر شهادة) [الأنعام/١٩].

استفهام على جهة التوقيف والتقرير^(٢)، إذ قال لهم عليه السلام أي شيء أكبر شهادة فأقر أن الله أكبر شهادة، فهو شهيد بينه وبينهم.

فتتضمن هذه الآية أن الله يقال عليه (شيء) كما يقال: موجود، ولكن ليس كمثله تبارك وتعالى شيء^(٣).
ففيها طلب الاعتراف مع تعظيم كون الله هو الشهيد بينه وبينهم.



(١): ابن عطية، المحرر الوجيز، ٨٠/٥

(٢): ابن عطية، المحرر الوجيز، ٢٧٥/٢

(٣): المرجع السابق، ٢٧٥/٢

المطلب التاسع - (أَيَّان) وأثرها في التفسير

ظرف بمعنى (متى) يستفهم به عن الزمان المستقبل^(١)، ويفيد التهويل والتفخيم والتعظيم^(٢).

- نحو قوله تعالى: (يسألونك عن الساعة أيان مرساها) [الأعراف/١٨٧، النازعات/٤٢].

سؤال قريش للنبي - صلى الله عليه وسلم - عن الساعة متى وقتها. وما سألوا للتعرف عن القيامة بل للتكذيب بها واستعجالها على وجه التهكم^(٣).

- وقوله تعالى: (وما يشعرون أيان يبعثون) [النمل/٦٥].
نفي من الله تعالى، وإنكار على علمهم بكونها، فينتحل لهم عدم الشعور بوقتها، وهو مبالغة في نفي العلم، وجاء على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم^(٤).

- وقوله تعالى: (يسألون أيان يوم الدين) [الذاريات/١٢].
أي متى وقت الجزاء، سؤال تكذيب واستهزاء^(٥). وهو ما جرت به عادة الكفار المعاندين من الاستهزاء والتكذيب بيوم الجزاء.

ومن الآيات السابقة فإن (أيان) لا تفيد التفخيم والتعظيم، لأن الكفار لا يفخمون يوم الدين أو يوم الحساب، بل على العكس ينكروه، وتأتى أسئلتهم هذه مخرج المنكر المستهزئ، فمتى موعد الساعة التي تقولها؟ سؤال لا تعظيم فيه ولا تفخيم.

- وقوله تعالى: (يسأل أيان يوم القيامة) [القيامة/٦].
سؤال استهزاء وتكذيب وتعنت^(٦). كسابقه من استهزاء الكفار وتكذيبهم وتعنتهم، أي متى هذا اليوم الذي تدعي إنه قادم؟

(١): الرضي، شرحه على الكافية، ١٠٩/٢

(٢): محمد الشريف، معجم حروف المعاني، ٤٤٩/١

(٣): عبد العليم فودة، أساليب الاستفهام في القرآن، ص ١٤٤.

(٤): أبو حيان، البحر، ٢٦٤/٨

(٥): المرجع السابق، ١٣٥/٨

(٦): أبو حيان، البحر المحيط، ٣٨٥/٨

المطلب العاشر - (متى) وأثرها في التفسير

جاءت (متى) استفهامية فقط في القرآن، وهي تستعمل في الماضي والمستقبل^(١). ولكن جميع شواهدا استفهامية للمستقبل. والاستفهام بها جاء مجازياً، باستثناء قوله تعالى:

- (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب)

[البقرة/٢١٤]

الاستفهام جاء بطلب النصر، والسؤال عن وقته، وهذا القول صدر عنهم بعد ما بلغ بهم الضجر إلى أن قالوا هذه المقالة المقتضية لطلب النصر، واستبطاء حصوله واستطالة تأخره فبشرهم الله أن نصره قريب^(٢).

وفيه دلالة على تنامي الأمر في الشدة وتماديه في العظم، لأن الرسل لا يقادر قدر ثباتهم وضبطهم لأنفسهم، فإذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية في الشدة التي لا مطمح وراءها^(٣).

- وقوله تعالى: (فسيغضون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو) [الإسراء/٥١].

حركة رؤوسهم مع الاستفهام، فيها استهزاء وسخرية، لما يتعلق بالبعث والإعادة^(٤). فهذا تكذيب من المشركين بالبعث واستبعاده، واستعجاله جاء على وجه السخرية. منهم.

- وقوله تعالى: (ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين) [السجدة/٢٨].

إخبار من الله تعالى عن الكفرة، باستعجال فصل القضاء بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم على معنى الاستهزاء والتكذيب^(٥).

وأنبعت الآية بما يصور الهول وشدة العذاب الذي ينتظر المشركين بقوله: (قل يوم الفتح

لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون) [السجدة/٢٩].

(١): الرضي، شرحه على الكافية، ١٠٩/٢

(٢): الشوكاني، فتح القدير، ٢٧٠/١

(٣): الزمخشري، الكشاف، ٢٥٤/١

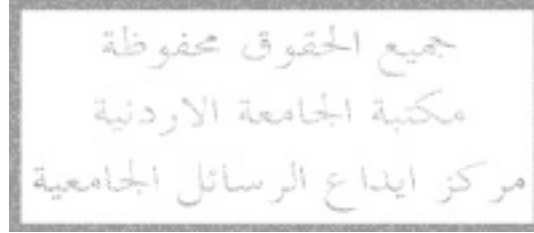
(٤): الشوكاني، فتح القدير، ٢٩١/٣

(٥): أبو حيان، البحر، ٤٤٢/٨

- وقوله تعالى: (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) [يونس/٤٨].

الاستفهام منهم للإنكار والاستبعاد، وللقبح في النبوة^(١).

فالاستفهام جاء في جميع الآيات السابقة يصور عقيدة المشركين تجاه البعث وصور الاستفهام إنكارهم واستبعادهم وتكذيبهم لهذه القضية، والطلب جاء على وجه السخرية والاستهزاء.



الفصل الثالث

خطابا تتعلق بحروفه المعاني

جميع الحقوق محفوظة

المبحث الأول: القول بزيادة بعض حروفه المعاني

مركز أبحاث الرسائل الجامعية

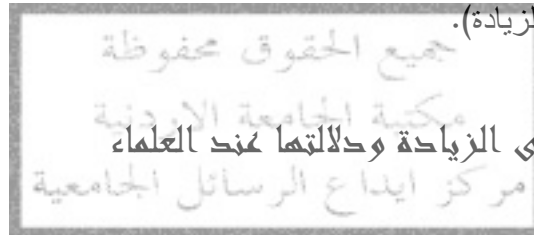
المبحث الثاني: التناوب في بعض الحروف

المبحث الثالث: إلغاء عمل بعض الحروف

المبحث الأول: القول بزيادة بعض حروف المعاني

هناك حقيقة يقينية تتعلق بالبيان القرآني ، وهي (الدقة المعجزة) لألفاظ القرآن الكريم، فكل لفظ مختار اختيارا خاصا، وهو يؤدي وظيفته في الصياغة الأسلوبية، وفي تقرير المعنى، بحيث لا ينوب عنه لفظ آخر، ولا يكون زائدا أو حشوا أو ملغى. (١).

وألفاظ القرآن قد تكون أسماء أو أفعالا أو حروفا، والذي يعينني في هذا المقام هو الحروف. فأكثر ألفاظ القرآن التي ادعى بعضهم الزيادة فيها من حروف المعاني. فهذه الحقيقة لا بد من وضعها نصب أعيننا ونحن نبحث مسألة مهمة تتعلق بالبيان القرآني المعجز، وهي قضية (الزيادة).



المطلب الأول: معنى الزيادة ودلالاتها عند العلماء

يختلف مصطلح الزيادة عند العلماء، فهناك الزيادة التي يتحدث عنها علماء الصرف ويعنون بالزيادة تلك الزيادات التي تكون في بنية الكلمة، وتجمع في كلمة (سألتمونيها)، كزيادة السين والتاء في الأفعال مثل: (استنصر) ، أو في الاسماء مثل: (مستنصر) (٢). وهذه لا يعينني بحثها، وإنما الذي يعينني هنا الزيادة عند النحويين، زيادة حروف المعاني، وهي بهذا الاسم عند البصريين أما الكوفيين فيسمونها حروف الصلة. (٣).

واختلف العلماء في تعريف الزيادة ومعناها، ودلالاتها لدى كل واحد منهم، بل وفي الإعراف أصلا بوجودها، فبعضهم عرّف الزائد بـ:
- أن يكون دخوله كخروجه من غير إحداث معنى. (٤)

(١): صلاح الخالدي، إعجاز القرآن البياني، ص ١٧٢.

(٢): أنظر: الصادق خليفة راشد، دور الحرف في أداء معنى الجملة، ٤٥ - ١٥٨

(٣): فضل عباس، لطائف المنان، ص ٥٧

(٤): السيوطي، الأشباه والنظائر، ٢٠٨/١

- و كون هذه الحروف زوائد: أنك لو حذفتها لم يتغير الكلام عن معناه الأصلي، وإنما قيل عن معناه الأصلي؛ لأن زيادة هذه الحروف تفيد معنى وهو التوكيد.^(١)

من هذين التعريفين نرى الاختلاف الحاصل في تعريف الزيادة، وملخص هذه الآراء كالاتي:

أولاً- قال جمهورهم: إنها زائدة من حيث الإعراب، وليس لها وظيفة إعرابية، وإذا أسقطت من الجملة يبقى الكلام بدونها تاماً، ويؤتى بها لتأكيد الكلام وتقويته. وهذا القول ينطبق مع التعريف الثاني للزيادة.

من هؤلاء الذين قالوا بهذا القول: سيبويه، ابن يعيش، أحمد بن عبد النور المالقي في (رصف المباني)... إلخ. فهم لا يعنون بالزيادة هنا الزيادة في المعنى، وإنما يعنون الزيادة في الإعراب، فيذهبون إلى أنها لها دور في تقرير المعنى.

ثانياً- ذهب بعضهم إلى أنها زائدة في الإعراب وزائدة في المعنى أيضاً، فهي لا تزيد معنى الجملة القرآنية شيئاً، فهو مقرر سواء أوجدت تلك الأحرف أم حذفت. وهذا القول ينطبق مع التعريف الأول.

ثالثاً- وذهب آخرون إلى أن هذه الزوائد لها وظيفة تحسينية، جيء بها بهدف تحسين الصياغة التعبيرية في الجملة وتجميلها. فالجملة بوجود تلك الزوائد تكون أكثر بلاغة، وأمتن صياغة، وأجمل إيقاعاً وأبهى تعبيراً. وهذا القول إلى حد ما ينطبق مع قول الجمهور الذين قالوا إنها جاءت لتأكيد الكلام. فبلاغة الكلام ومثانة الصيانة... إلخ. لها تأثير في الكلام وتؤكد.

رابعاً- لم يرتض آخرون التعبير بلفظ الزيادة، لأن معنى الكلمة لا يليق بالبيان القرآني المعجز، فاختاروا لفظاً أطف وأليق بالقرآن، وقالوا: هذه صلة للتأكيد.^(٢)

وممن ذهب إلى القول بالزيادة في ألفاظ القرآن - وبالذات حروف المعاني - : الفراء، الأخفش، أبو عبيدة، ابن قتيبة، ...

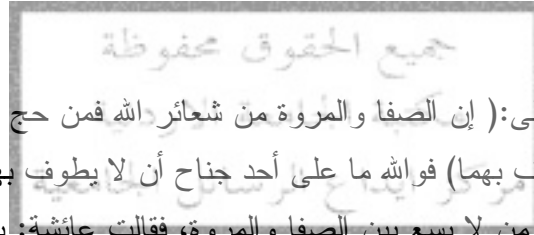
(١): انظر السيوطي، الأشباه والنظائر، ٢٠١/١-٢١٨

(٢): انظر: صلاح الخالدي، اعجاز القرآن البياني، ص ١٧٣. فضل عباس، لطائف المنان، ص ٥٨-٥٩

وممن قال بالزيادة في بعض ألفاظ القرآن من المعاصرين : محمد عبد الخالق
عضيمة، والدكتور علي العماري.^(١)

ولكن هل كانت هذه الزوائد معروفة، أو موجودة عند أولئك الذين نزل القرآن
فيهم؟ هذه القضية لم تكن موجودة زمنهم، فكل حرف من حروف القرآن وكل كلمة
تعمل في نفوسهم عملها، ذلك لأن هذه الكلمات كان لكل منها معنى تؤديه.

والذي يدل على أن الحرف كان ذا معنى كبير عندهم، ما ثبت في السنة الصحيحة من
أن عروة بن الزبير سأل خالته عائشة- رضي الله عنهم- عن قوله تعالى : (إن الصفا
والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما)
{البقرة/١٥٨}



قال أرأيت قول الله تعالى: (إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر
فلا جناح عليه أن يطوف بهما) فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بهما!
فقد فهم أنه لا إثم على من لا يسع بين الصفا والمروة، فقالت عائشة: بئسما قلت ياابن
أختي! إنها لو كانت على ما أولتها عليه لكانت: (فلا جناح عليه ألا يطوف بهما).
ولكنها إنما أنزلت لأن الأنصار كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا
يعبدونها عند المشلل، وكان من أهل لها يتخرج أن يطوف بالصفا والمروة، فسألوا عن
ذلك رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقالوا:يا رسول الله! إنا كنا نتخرج أن نطوف
بالصفا والمروة في الجاهلية فأنزل الله تعالى:(إن الصفا والمروة) الخ الآية.

قالت عائشة- رضي الله عنها-:(ثم قد سن رسول الله- صلى الله عليه وسلم-
الطواف بهما، فليس لأحد أن يدع الطواف بهما).^(٢)

بهذا المثال يتضح أهمية الحرف ودوره لدى الصحابة - رضوان الله عليهم- فلم يؤثر
عنهم القول بزيادة حرف ولا تقدير حرف... الخ من القضايا التي يثيرونها حول

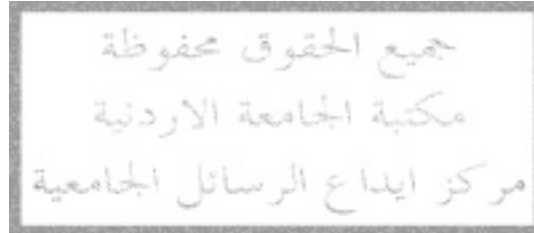
(١): انظر: فضل عباس، لطائف المنان، ص ٧١- ٩٠

(٢): ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الحج، باب: وجوب الصفا والمروة
وجعل من شعائر الله، رقم الحديث: ١٦٤٣. ٤/٣٠٤-٣٠٥.

القرآن الكريم، مطبقين قواعدهم اللغوية على كلام الله سبحانه وتعالى.

فالناظر في كتب النحو والإعراب على كثرتها واختلاف مذاهب أصحابها، يجد مبعوثاً في ثناياها لا يكاد يخلو كتاب منه.

كانت هذه آراء العلماء وأقوالهم في معنى الزيادة. وكيف كان لهذا المعنى من أثر في توجيه الآيات القرآنية. فهل هناك وجود للزيادة في اللغة والقرآن!



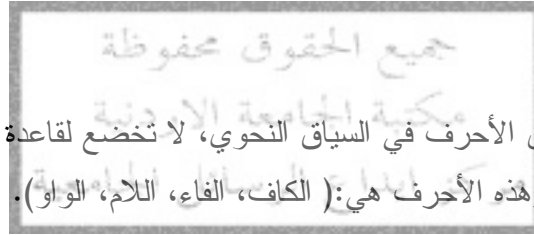
المطلب الثاني: حقيقة الزيادة

أولا - في اللغة

الزيادة كما يراها النحويون مطردة تسير على القياس وغير مطردة.

الزيادة المطردة

وهي تلك الزيادة التي يمكن تحديدها في كل سياق وردت فيه مع ضمنية معينة تتنافى وإياها في التأثير في النص اللغوي المشتمل عليها. وتتنحصر في ستة أحرف وهي :
(إن، ما، لا، من، ب)^(١)



الزيادة غير المطردة

وهي تلك الزيادة لبعض الأحرف في السياق النحوي، لا تخضع لقاعدة محددة، وإنما مرد وقوعها السماع. وهذه الأحرف هي: (الكاف، الفاء، اللام، الواو).

وقد اختلف في صحة وقوعها، ولكن حتى الذين قالوا بزيادتها يجعلون ورودها يتراوح بين الضرورة وصحة الوقوع.^(٢)

وسأعرض لزيادة بعض هذه الأحرف، كمثال على هذه الظاهرة ومدى انطباق مصطلح الزيادة عليها.

• إن

ورد هذا الحرف زائدا دون تأدية وظيفة نحوية أو معنوية في سياقات لغوية تجمع بينه وبين حروف أخرى، لها وظائف معينة في السياق النحوي، لا تسمح له بأن يضمها، مع ما يحمله من معنى للشرط، أو النفي، أو التوكيد. فلم يبق لها إلا أن تكون - أن - زائدة خلافا للفراء. ولكن زيادتها هذه مشروطة بـ:

(١): الصادق، دور الحرف في أداء معنى الجملة، ص ٤٦.

(٢): المرجع السابق، ص ٧٩.

- أن تقع بعد (ما) والأكثر في هذه الحالة أن تكون (ما) نافية داخلية على جملة فعلية، على نحو ما هو في قول النابغة الذبياني:

ما إن أتيتُ بشيء أنت تكرهه إذن فلا رفعت سوطي إلي يدي^(١)

وقول دريد :

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله كالיום هانئ أينق جرب^(٢)

- أو جملة إسمية كقول فروة بن مسيك :

فما إن طبنا جبن ولكن منايانا ودولة آخرينا^(٣)

وقد تتراد بعد (ما) الموصولة الإسمية، والمصدرية، وذلك لشبهها بـ(ما) النافية، مثل

قول معلوط ابن بدل القريني: جميع الحقوق محفوظة

ورج الفتى للخير ما إن رأيت الجامعة على ألسن خيرا لا يزال يزيد^(٤)

مركز أيداع الرسائل الجامعية

فهي هنا زائدة واقعة بعد (ما) المصدرية الظرفية.

وقول الآخر:

يرجى المرء ما إن لا يراه وتعرض دون أدناه الخطوب^(٥)

فهي هنا زائدة بعد (ما) الموصولة الإسمية.

وزيادتها بعد (ما) النافية وفقا لتعريف الزيادة لا تتضافر لها القرائن، أما فيما عدا ذلك فإنه لا يمكن اعتبار هذا الحرف زائدا عند تضامه مع (ما) التي تخضع في معاملتها على أنها حرف يؤثر إعرابا في الجملة الداخل عليها، وهي (ما) الحجازية؛ لأن دخول (إن) يعطي للجملة حكما آخر من الناحية الإعرابية، وذلك لسلبها عمل (ما) وكفها إياها

(١): ابن هشام، مغني اللبيب، ص٣٨. الرضي، شرح الرضي على الكافية، ٤/٤١.

(٢): ابن هشام، المرجع السابق، ص٨٩. الفراء، معاني القرآن، ٢/٣٠٠ برواية ولا سمعت به

(٣): انظر: ابن هشام، المرجع السابق، ص٣٨. سيبويه، الكتاب، ٣/١٥٣، ٤/٢٢١.

(٤): سيبويه، المرجع السابق، ٤/٢٢٢. ابن هشام، مغني اللبيب، ص٣٨.

(٥): ابن هشام، المرجع السابق، ص٣٨.

كما كفت ما (إن) عن العمل عند مضامتها لها، وهو ما ينتفي بانتفاء (إن)، وبالتالي فإن الحكم عليها بالزيادة والحالة هذه أمر لا يقر به. (١)

• الكاف

ورد هذا الحرف زائداً في الاستعمال اللغوي شعرا ونثرا، ووروده إنما وقع على سبيل التأكيد، شأنه في ذلك شأن كل الحروف التي قالوا بزيادتها. (٢)

ومن أمثلتهم على زيادتها في النثر، ما جعلوه في الحديث الشريف: (يكفي كالوجه والكفين) كما أثبتته المرادي (٣). وجعل ابن مالك هذا التركيب أحد وجوه الرواية، ومبعثهم في ذلك وجود (الوجهين والكفين) بالجر دون أن يلاحظوا المعنى، لأنه لا معنى لوجود الكاف ومعاملتها على أنها ضميمة قائمة بنفسها - على أن الوجه الثاني من تأويله هو الأصل الذي يتماشى ومعنى السياق حين يجعل الأصل (يكفيك مسح الوجه والكفين) فحذف المضاف وبقي المجرور على ما كان عليه (٤)؛ لأن القرائن تدل عليه فالتيمم يستلزم ضمناً المسح. (٥)

وإن كان الحديث يخرج تخريجا آخر - حيث تجعل الكاف زائدة - وهو أنه يجوز على هذا الوجه رفع (الكفين) عطفاً على موضع (الوجه) فإنه فاعل. وإن رفع الوجه وهو الجيد والمشهور. فالكاف ضمير المخاطب، ويجوز في (الكفين) حينئذ الرفع بالعطف، وهو الأجود، والنصب على أنه مفعول معه. (٦)

ولكن الباحثة ترى أن هذا لا ينطبق على الحديث، فالرواية الصحيحة جاءت بالرفع من غير وجود الكاف، وإن كانوا قدروها - فهي لغير معنى -، وكما ذكرت في الهامش

(١): الصادق خليفة، دور الحرف في أداء معنى الجملة، ص ٤٨.

(٢): الصادق خليفة، دور الحرف في أداء معنى الجملة، ص ٧٩.

(٣): المرادي، الجنى الداني، ص ٨٧.

(٤): ابن حجر، فتح الباري، كتاب التيمم، باب: التيمم للوجه والكفين. رقم الحديث: (٣٤١)، روي الحديث بالرفع وذكرت رواية الجر في الشرح بصيغة وقيل.

(٥): الصادق خليفة، مرجع سابق، ص ٨١.

(٦): ابن مالك، محمد بن عبدالله الطائي، شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، ص ٢٠١

فابن حجر ذكر الرواية بصيغة قيل، ومعروف ما تحمل هذه الصيغة من معنى.

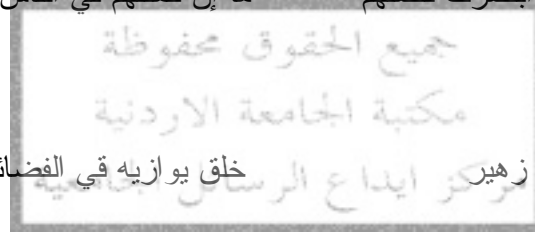
أما زيادتها في كلام العرب فقد ذكر بأنها (غير قليلة) ^(١). من ذلك ما نقل عن الفراء: أنه قيل لبعضهم: كيف تصنعون الإقط فقال: كهين. يريد هينا ^(٢).

وما جاء في شعرهم مثل قول (أوس بن حجر):

وقتلى كمثل جذوع النخيل تغشاهم مسبل منهمر ^(٣)

وقول الآخر:

سعد بن زيد إذا أبصرت فضلهم ما إن كمثلهم في الناس أحد ^(٤)



وقول الآخر :

ليس كمثل الفتى زهير خلق يوازيه في الفضائل ^(٥)

وذهب (ابن عصفور) إلى أن زيادة الكاف في هذه الأبيات، وما جاء على شاكلتها محمولة على الضرورة، وتبعه في ذلك الألوسي معللا لعدم التفات ابن عصفور إلى ما ورد من هذه الكلمات، بضعف سند ورودها ^(٦)، وهو ما يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار.

كانت هذه بعض الأمثلة على قولهم بالزيادة في اللغة، وكيف كانت الآراء بين مجيز لوقوعها وممانع لها، وكان التعليل لورودها في الشعر الضرورة، أي في غير الشعر لا يقبل.

فإن كان في الشعر يقبل عند الضرورة، فهل يقبل في كلام الله تعالى؟

(١): المرادي، الجنى الداني، ص ٨٧.

(٢): المرجع السابق، ص ٨٧.

(٣): المرجع السابق، ص ٨٨.

(٤): المرجع السابق، ص ٨٩.

(٥): المرجع السابق، ص ٨٩.

(٦): الألوسي، الضرائر، ص ٣٢٣. وانظر: ابن عصفور، ضرائر الشعر، ص ٦٥-٦٦.

ثانياً: في القرآن

اختلف العلماء في انطباق مفهوم الزيادة ومدلوله على القرآن الكريم، بين معارض ناف لهذه القضية وبين مطبق مؤكد لوجود هذه الظاهرة أو القضية.

وكان الحديث في المطلب الأول قد أبان هذه المواقف والآراء تجاه هذه القضية، فالقائلين بهذا الأمر وخصوصاً النحويين منهم ذكروا أكثر من مثال على قولهم بوجود الزيادة في بعض حروف القرآن الكريم. ومن هذه الحروف:

• الحرف (إلى)

قالوا^(١): انها زائدة في قوله سبحانه: (وَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) {إبراهيم/٣٧} بفتح واو (تهوي)، وهي قراءة أبي جعفر (عشرية)، وهو أحد القراء الثلاثة بعد السبعة، وتهوي هنا مضمنة معنى الميل، أي: اجعل أفئدة من الناس تميل إليهم. ولذلك عدت بإلى^(٢).

وفسر معنى تهوي: تسرع إليهم وتطير نحوهم شوقاً^(٣). فألى أشارت إلى سرعة تلبية الملبى للدعاء، يدفعه شوقه ليصل إلى غايته، وليس فقط أن القلوب تحبهم من غير بيان أن غايتهم الوصول إليهم.

فالقول بالزيادة يذهب برونق المعنى واللفظ على السواء، لأن المعنى يصير: واجعل أفئدة من الناس تهواهم، وهذا معنى غير مراد.

و(إلى) لم تذكر في الحروف الزائدة سواء أكانت تلك المطردة أم غير المطردة. ففي القرآن أولى أن لا تذكر زائدة.

(١): أبو حيان، البحر المحيط، ٤٣٣/٥. ابن هشام، المغني، ٧٦/١

(٢): الأوسي، روح المعاني، ٢٣٩/١٣

(٣): الزمخشري، الكشاف، ٥٣٧/٢

• حرف (الباء):

والباء التي عدت زائدة جاءت على نوعين:

الأول: ما لا يندرج تحت قاعدة^(١)

الثاني: ما اندرج تحت قاعدة وهي الباء الواقعة في خبر ليس وما النافية^(٢)

وسأقوم بذكر بعض الأمثلة على كلا النوعين لنرى مدى صحة القول بالزيادة.

الأول: ما لا يندرج تحت قاعدة

○ قوله تعالى: (وباؤوا بغضب من الله) {البقرة: ٦١ آل عمران: ١١٢} هذه

الآية تتحدث عن بني اسرائيل، قالوا^(٣): إن الباء زائدة لأن (باؤوا) بمعن

استحقوا واستحق لا تتعدى الباء، فلا يقال: استحق بغضب من الله وإنما يقال:

استحقوا غضبا فالباء زائدة إذن. الجامعة الاردنية

ولكن هذا المعنى يصح إن كان معني باؤوا استحقوا، ولكن باؤوا ذكر معناها في

المعجم الوسيط: باء بالشيء، رجع وفي التنزيل العزيز: (وباؤوا بغضب من الله)^(٣).

فهذا هو معنى الكلمة من حيث اللغة، وتفسير البوء بالإستحقاق لم يقل به إلا أبو روق

من اللغويين، كما نقل عن صاحب البحر^(٤).

أما من حيث المعنى ؛ فهذه الآيات تتحدث عن بني اسرائيل بعد خروجهم مع موسى

عليه الصلاة والسلام، حيث أنعم الله عليهم بتظليل الغمام والمن والسلوى وغير ذلك،

فقالوا: (لن نصبر على طعام واحد) {البقرة/٦١}، فقيل لهم: (اهبطوا مصرا)

{البقرة/٦١}، ثم قال الله تعالى: (وباؤوا بغضب)، فالسياق الذي يفهم من الآية، أن

يقال: (باؤوا): رجعوا بغضب، فالباء إذن غير زائدة، أي: رجعوا مصحوبين بغضب

من الله، وعليه فالباء للمصاحبة^(٥).

(١): الصادق خليفة، دور الحرف في أداء معنى الجملة، ص ٦٨

(٢): المرجع السابق، ص ٧٥

(٣): انظر: إبراهيم منكور وآخرين، المعجم الوسيط، ١/٧٧

(٤): أبو حيان، مرجع سابق، ١/٢٣٦

(٥): انظر: فضل عباس، لطائف المنان، ص ١٠٠-١٠١

○ قوله تعالى: (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) {البقرة/ ٢٩٥}

قالوا^(١): إن الباء زائدة ولكن عجا من هذا القول، فالمقصود هنا ليس النهي عن إلقاء الأيدي، فيكون المعنى: لا تلقوا أيديكم.

إن الوقوف مع النص القرآني الكريم، وجمع النصوص بعضها إلى بعض، يوضح ويبين لنا الحقيقة وأن ما ذكر غير مستقيم مع الآية. فالآية: (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)، واليد يعبر عنها كثيرا في نصوص الكتاب والسنة بأنها المعطية أو المانعة، قال تعالى: (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط) {الإسراء/ ٢٩} وفي الحديث: (ورجل تصدقة بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه)^(٢).

فالآية الكريمة إذن تريد أن تبين أن اليد هي سبب التهلكة، والمعنى إذن: انفقوا وجاهدوا ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم إلى التهلكة، فتكون اليد سبب في الهلاك، وذهب المرادي إلى هذا المعنى.^(٣) مكتبة الجامعة الاردنية

ولعل الرواية التي أخرجها البخاري وغيره عن أسلم بن عمران توضح الرأي الذي ذكر، قال أسلم بن عمران: "كنا بالقسطنطينية، فخرج من المدينة صف عظيم من الروم، وصفنا لهم صفا عظيما من المسلمين، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل عليهم فصاح الناس: ألقى بيده إلى التهلكة. فقال أبو أيوب:

يا أيها الناس : نحن أعلم بهذه الآية وانما نزلت فينا، صحبتنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فنصرناه وشهدنا معه المشاهد، وأثرناه على أهاليها وأموالنا وأولادنا، فلما فشا الإسلام وكثر أهله، ووضعت الحرب أوزارها، رجعنا إلى أهاليها وأولادنا وأموالنا نصلحها ونقيم فيها، فكانت التهلكة الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد"^(٤).

(١): الزمخشري، الكشاف، ٢٣٧/١

(٢): ابن حجر، فتح الباري، كتاب الأذان، باب: من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، رقم الحديث: ٦٦٠. ٣٦١/٢. روي عن أبي هريرة

(٣): المرادي، الجنى الداني، ص ٥٢

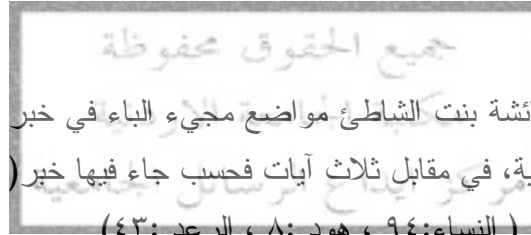
(٤): ابن حجر، فتح الباري، كتاب التفسير، باب: قوله تعالى: (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)، رقم الحديث: ٤٥١٦. ٤١/٩

فالباء هنا للسببية، فالهلاك نتيجة لفعل اليد وبسبب أفعالهم، فاليد في الغالب يعبر عنها أنها الفاعلة.

فهذه بعض الأمثلة على القول بزيادة الباء في آيات قرآنية غير مدرجة تحت قاعدة معينة، والقول بالزيادة يذهب بالمعنى المطلوب ، ويؤدي إلى خلل وفرق واضح في المعنى. فهو كلامه تعالى الذي لا يأتيه الباطل.

الثاني: ما اندرج تحت قاعدة (الباء الواقعة في خبر ليس)

كان الحديث السابق عن الباء التي لا تندرج تحت قاعدة معينة، وسيكون الحديث هنا عن الباء التي تقع في خبر (ليس) و(ما) المشبهة بها وهي التي تكاد تطرد في وقوعها بهذا الخبر .



وقد أحصت الكتورة عائشة بنت الشاطئ مواضع مجيء الباء في خبر (ليس) الصريح المفرد ثلاثاً وعشرين آية، في مقابل ثلاث آيات فحسب جاء فيها خبر (ليس) غير مقترن بالباء وهي آيات (النساء: ٩٤ ، هود: ٨ ، الرعد: ٤٣)

وكذلك خبر (ما) الصريح المفرد يأتي غالباً مقترناً بالباء المقول بزيادتها، إلا أن تلي (ما) النافية بالفعل (كان)، فينصب الخبر به صريحا مفردا غير مقترن بالباء^(١).

ثم تخلص إلى: أن الآيات التي اقترن بها خبر (ما) بالباء جاءت في مقام الجحد والإنكار (وما هم بضارين به من أحد إلا بأذن الله) {البقرة/١٠٢}، (وما هو ببالغوه) {الرعد/١٤}، (و ما أنت بمسمع من في القبور) {فاطر/٢٢}.

أما خلو الخبر من الباء فجاء في آيتين اثنتين: (ما هذا بشرا) {يوسف/٣١}، (ما هن أمهاتهم) {المجادلة/٢}.

ويلاحظ أن خلو الخبر من الباء جاء أسلوب القصر في الجملة التي بعده، ففي الآية الأولى: (إن هذا إلا ملك كريم)، وفي الآية الثانية: (إن أمهاتهم إلا اللاتي ولدنهم).

(١): انظر: عائشة بنت الشاطئ، الإعجاز البياني ومسائل نافع بن الأزرق، ص ١٦٨

أما خبر ليس، فجاء غالبا مقترنا بالباء، إلا ثلاث آيات جاءت خالية من الباء، وهي قوله تعالى: (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا) {النساء/٩٤}، (ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم) {هود/٨}، (ويقول الذين كفروا لست مرسلا) {الرعد/٤٣}.

والذي دعا لترك الباء في هذه الآيات أغراض بيانية ، فقد يكون المقام في حاجة إلى تأكيد قبل نفي الخبر، كما ترشد إليه آية النساء: (ياأيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا) {النساء/٩٤}. وقد يغني عن تقرير النفي بالباء التعقيب على الجملة الخبرية بما يحقق وقوعها بحيث ينقلها من غيب إلى ماض تحقق وقوعه ، كآية هود التي جاء بعدها : (وحق بهم ما كانوا به يستهزؤون) {هود/٨}.

وقد يكون من أغراض ترك هذه الباء عدم تيقن المتكلم مما يقول ، كما في آية الرعد (لست مرسلا) ، فهم يقولون هذا، ولكن نفوسهم غير موقنة به، (فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) {الأنعام/٣٣}.

هذا كله في خبر ليس التي لم تسبقها همزة الاستفهام، أما التي سبقتها همزة الاستفهام فإنها جميعا جاءت مقترنة بالباء ، لأنها جميعا ينتقض فيها النفي إلى إثبات وتقرير (أست بربكم) {الأعراف/١٧٢}. (أليس الله بكاف عبده) {الزمر/٣٦}. (أليس الله بأحكم الحاكمين) {التين/٨}، وذلك لأن وجود الباء هنا وفي هذا المقام - مقام الإثبات والتقرير بعد انتقاض النفي - أمر لا بد منه.^(١) وكان كلامها مطولا بصدد هذا الموضوع ، والموضوع يستحق الوقوف عليه من كتابها.

بعد كل هذا، يمكن الذهاب إلى أن ما يجمع عليه النحاة والمفسرون من أن الباء زيدت للتأكيد، قول تعوزه الدقة في الأسلوب القرآني، وإلا فلماذا ذكر في بعض الآيات دون بعض!!

وأن لكل حرف وظيفة ومعنى جيئ به لإبرازه، فالقول بالزيادة أو أن الحرف للتأكيد يفوت الهدف الذي وضع الحرف لأجله.

(١): انظر: بنت الشاطئ، الإعجاز البياني، ص ١٨١-١٩١

المطلب السادس: (اللام) وأثرها في التفسير

ذكر لحرف اللام عدة معان أفادتها عند دخولها:

الأول- الملك^(١)

- فتفيد الملك الحقيقي، كقوله تعالى: (إن الأرض لله) [الأعراف/١٢٨]. وقوله تعالى: (ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض) [البقرة/١٠٧]
فاللام للملك الحقيقي، فإله تعالى هو من يملك الأمور ويديرها، ويجريها على حسب ما يصلح للإنسان^(٢).

- وقوله تعالى: (إنما الصدقات للفقراء) [التوبة/٦٠].
الآية في ذكر الأصناف التي تجب لها الصدقات، وأبان الزمخشري أنها للاختصاص، فيحتمل أن تصرف إلى الأصناف كلها وأن تصرف إلى بعضها، وعليه مذهب أبي حنيفة. وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أنهم قالوا: في أي صنف منها وضعتها أجزأك.
وعند الشافعية أنها تفرّق في الأصناف الثمانية^(٣). أي أن اللام عنده للتملك وليس للاختصاص.

- وقوله تعالى: (ووهبنا لهم من رحمتنا) [مريم/٥٠].
اللام للتملك^(٤). فالهبة تملك من ناحية المعنى. ولكن اللام تعود لمعناها الرئيسي الذي تدور عليه وهو الاختصاص، فالله تعالى خصهم برحمة من عنده.

(١): انظر: لام الملك في كتاب اللامات للزجاجي، ص ٤٧-٥٠.

(٢): انظر: الزمخشري، الكشاف، ١/١٧٥.

(٣): الزمخشري، الكشاف، ٢/٢٧٣-٢٧٤.

(٤): الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٤/٣٣٩.

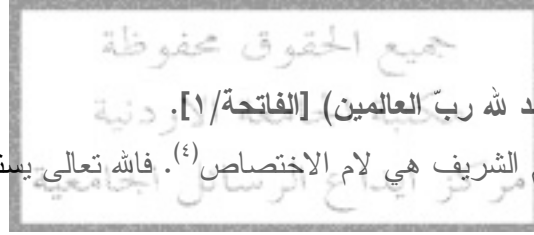
الثاني - الاختصاص

ومعناه: أنها تدل على أن بين الأول والثاني نسبة باعتبار ما دل عليه متعلق^(١). وهو المعني الأصلي لها، الذي تدور معانيها الأخرى حوله.

- منه قوله تعالى: (ولمّا جاء موسى لميقاتنا) [الأعراف/١٤٣].
اللام للاختصاص^(٢). فموسى عليه السلام اختص مجيئه للميقات، ولم يذهب معه أحد، فخص بهذا الوقت الذي حدّد له.

- وقوله تعالى: (إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً) [الإسراء/١٠٧].
اللام للاختصاص، فمعناه: جعل ذقنه ووجهه للخروج واختصه به^(٣). فالمسلم يخص وجهه بالسجود، تعبداً لله وانقياداً له.

- وقوله تعالى: (الحمد لله رب العالمين) [الفاحة/١].
اللام الداخلة على الاسم الشريف هي لام الاختصاص^(٤). فالحمد لله تعالى يستحق المدح ومخصوص به.



الثالث - الاستحقاق

وهو ما يتصور له التملك^(٥). والفرق بينه وبين الملك؛ أن الملك لما حصل وثبت، وهذا لما لم يحصل بعد، لكن هو في حكم الحاصل، من حيث ما قد استحق^(٦).

- من ذلك قوله تعالى: (أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) [الرعد/٢٥].
فهم استحقوا اللعنة والطرده من رحمة الله، واستحقوا جهنم جزاء لهما بما كانوا يعملون.

(١): الزركشي، البرهان، ٣٣٩/٤.

(٢): أبو حيان، البحر المحيط، ٣٨١/٤.

(٣): الزمخشري، الكشاف، ٦٧٢/٢.

(٤): الشوكاني، فتح القدير، ٢١/١.

(٥): الإربلي، جواهر الأدب، ص ٣٢.

(٦): الزركشي، البرهان، ٣٣٩/٤.

_ وقوله تعالى: (ويل للمطففين) [المطففين/١]

فالمطففون يستحقون الويل والدعاء عليهم، لما يقترفوا من إنقاص وتحايل على الناس في الوزن. فاستحقوا الدعاء عليهم.

- وقوله تعالى: (ولهم مقامع من حديد) [الحج/٢١].

الآية في الذين كفروا وما أُعد لهم من عذاب يوم القيامة، فاستحقوا لكفرهم مقامع من حديد يضربون بها^(١).

ولكن اللام في الآيات السابقة، تعود لمعناها الأصلي وهو الاختصاص. فكل اختص بعذاب وجزاء لما كان يقترفه من أعمال.

الرابع - العلة

وهي التي يصلح في موضعها من أجل^(٢). نحو قوله تعالى: (إنما نطعمكم لوجه الله) [الإنسان/٩].

ولكن (اللام) على أصلها من معنى الاختصاص، بأن إحصانهم مفعول لوجه الله تعالى، خالصاً لوجهه تعالى، لا يريدون شكراً ولا جزاء.

- وقوله تعالى: (إني نذرت لك ما في بطني محرراً) [آل عمران/٣٥].

(اللام) لام السبب، أي لخدمة بيتك أو الاحتباس على طاعتك^(٣). والسبب يعود لمعنى الاختصاص، فهي خصت نذر ما في بطنها لله تعالى، عتيقاً خالصاً لله لخدمة دينه وعبادته وحده.

- وقوله تعالى: (أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض) [البقرة/٢٦٧].

اللام للتعليل^(٤). أي أنفقوا مما أخرجنا لأجلكم من الأرض، وعلى الرغم من معنى التعليل، ففيها امتنان من الله على الإنسان بأن أخرج لهم ويسر لهم الرزق، فعليهم أن يسعوا وينفقوا من هذه الطيبات.

(١): الشوكاني، فتح القدير، ٥٥١/٣.

(٢): الزركشي، البرهان، ٣٤٠/٤.

(٣): أبو حيان، البحر، ٤٣٧/٢.

(٤): الجمل، حاشيته على الجلالين، ٢٢٣/١.

- وقوله تعالى: (أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير) [آل عمران/٤٩].
اللام للتعليل^(١). أي أنه يخلق من أجلهم. وهذا تفسير لإبراز المعنى. (واللام) دلت على الاختصاص، فكانت هذه المعجزة لعيسى - عليه السلام - خاصة بقومه فقط ومن كان في ذلك الوقت وليست لغيرهم.

- وقوله تعالى: (وإذ استسقى موسى لقومه) [البقرة/٦٠].
أي لأجل قومه^(٢). وكذلك كان هذا الاستسقاء من موسى خاصاً لقومه، عندما طلبوا الماء. فكانت من النعم الكثيرة التي أنعم الله بها على بني إسرائيل.

الخامس - التبليغ

وهي الجارة لاسم السامع لقوله أو ما في معناه^(٣). نحو قوله تعالى: (وإذ قال ربك للملائكة) [البقرة/٣٠].
اللام للتبليغ^(٤). وهي للاختصاص، فقول الله تعالى هذا كان خاصاً للملائكة. ولم يقال لغيرهم، عندما أخبرهم أنه جاعل في الأرض خليفة.

- وقوله تعالى: (وإذ قال موسى لقومه) [البقرة/٥٤].
اللام للتبليغ^(٥). والتبليغ فيه اختصاص فقول موسى - عليه السلام - كان خاصاً بقومه، حين ظلموا أنفسهم واتخذوا العجل عبادة لهم. فأمرهم بالتوبة والندم على ما فعلوه.

- وقوله تعالى: (ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض) [البقرة/٣٣].
اللام للتبليغ^(٦). فإله تعالى بعد أن طلب من الملائكة أن يخبروه بأسماء ما عرضه عليهم، فعجزوا ولم يعرفوا، وعرف آدم - عليه السلام - الأسماء وأخبرهم بأسمائها، فجاء هذا القول لهم إقراراً بأن الله يعلم ما في السماوات والأرض، والقول كان خاصاً للملائكة.

(١): أبو حيان، البحر، ٤٦٦/٢.

(٢): المرجع السابق، ٢٢٦/١.

(٣): ابن هشام، المغني، ١٨٧/١.

(٤): أبو حيان، البحر، ١٣٩/١.

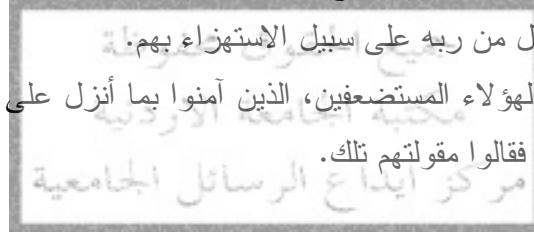
(٥): المرجع السابق، ٢٠٥/١.

(٦): المرجع السابق، ١٥١/١.

- وقوله تعالى: (وقالت أولاهم لأخراهم) [الأعراف/٣٨].
 اللام للتبليغ لأن الخطاب مع آخرهم^(١). وهذا خطابهم في النار عندما يجتمع الأتباع والمتبوعون، فيقوم الأتباع بمحاجة من اتبعوهم إلى الله، بأنهم هم الذين أضلوهم عن السبيل رغبة في النجاة.
 ولكن الله منح العقل للإنسان والإرادة في اختيار ما يريد، فلا سلطان لأحد عليه، وإنما حجة أملاً في الخروج، ولكن لا خروج.

- وقوله تعالى: (قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا) [الأعراف/٧٥].
 اللام للتبليغ^(٢).

الملأ والسادة الذين تكبروا من قوم صالح-عليه السلام- يخبرون المستضعفين ممن آمن مع صالح، أن صالحاً مرسل من ربه على سبيل الاستهزاء بهم.
 فقول الملأ كان خاصاً لهؤلاء المستضعفين، الذين آمنوا بما أنزل على صالح وآمنوا بالله، فأرادوا الاستهزاء منهم فقالوا مقولتهم تلك.



الساحس - الصيرورة

وتسمى لام العاقبة ولام المآل^(٣). نحو قوله تعالى: (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً) [القصص/٨]. وهي بهذا الاسم عند من أثبت لها المعنى.

ذهب الزمخشري إلى أنها لام التعليل المجازي^(٤). فالآية أظهرت قدرة الله تعالى في تسخير فرعون وملئه- وهم الذين أسالوا دماء جيل من أطفال بني إسرائيل، رغبة في الوصول إلى دم موسى- لإرادته تعالى. فيلتقطونه وكأنهم يعلمون أنهم يسيرون إلى نهايتهم المحتومة، ويضعون نهاية ملكهم بأيديهم، وهذا إبراز لكمال قدرة الله تعالى، ونفاذ إرادته، وفي هذا الأسلوب ما فيه من التهكم والسخرية^(٥).

(١): الجمل، حاشية على الجلالين، ١/١٣٨.

(٢): أبو حيان، البحر، ٤/٣٣٠. الجمل، حاشيته على الجلالين، ٢/١٥٧.

(٣): عبد النعيم علي، الجر علم الأسماء، ١/١٨٣.

(٤): انظر: الزمخشري، الكشف، ٣/١٦٦.

(٥): انظر: الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ٢٦٠.

وقد جسد الألووسي هذا المعنى في قوله: (فيه استعارة تهكمية)^(١). فهي بهذا تفيد التعليل العائد للاختصاص، وما تحمله من معنى لا تدل عليه لام العاقبة.

السابع - بمعنى (إلى)

أي تكون لانتهاء الغاية^(٢). وكثيرة تلك المواطن التي قيل فيها إنَّ (اللام) تؤدي معنى انتهاء الغاية، وتحل محل الحرف الموضوع لها، ذاهبين إلى أنهما يتبادلان مواقعهما.

- من ذلك قوله تعالى: (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) [يس/٣٨].

فقد قيل: (تجري لمستقر لها) أي إلى مستقر لها، كما تقول: هو يجري لغايته وإلى غايته^(٣). وذهب الألووسي إلى أن (المستقر لها) لحد معين، تنتهي إليه من فلكها في آخر السنة، شبه بمستقر المسافر إذا قطع مسيره، من حيث أن في كل انتهاء إلى محل معين، وإن كان للمسافر قرار دونها، وروى هذا الكلبي، واختاره ابن قتيبة، والمستقر عليه اسم مكان، واللام بمعنى إلى^(٤).

وبتأمل السياق نجدتها تتحدث عن آيات الله في كونه، وترسم صورة حية للحركة الدقيقة المنتظمة لليل والنهار، والشمس والقمر، دون أن يختل هذا النظام، وكأن الله أودع في هذه الأجرام المتحركة من الإلهام ما تدرك به غايتها، وتسعى لتحقيق هدفها، وهو ما تعبر عنه (اللام) خير تعبير^(٥).

والمفسرون القدامى قد اعتمدوا في تفسير جري الشمس على ما يشاهدونه من الحركة اليومية لدوران الأرض حول محورها أمام الشمس، مما ينتج عنه اختلاف الليل والنهار، والحركة السنوية لدوران الأرض حول الشمس، وما ينتج عنها من اختلاف المشارق والمغارب. والعلم الحديث أثبت للشمس حركة حقيقية بسرعة مخصوصة تقدر بنحو اثني عشر ميلاً في الثانية، في اتجاه مخصوص في فضاء الله هو الجهة التي فيها النجم المسمى (فيفا)،

(١): الألووسي، روح المعاني، ٤٦/٢٠.

(٢): المرادي، الجنى المداني، ص ٩٩.

(٣): ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص ٣١٦.

(٤): الألووسي، روح المعاني، ١١/٢٣.

(٥): انظر: الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ٢١٩.

ومستقرها لا يزال أمراً من أمور الغيب، وذلك إعجازاً علمي جاء به القرآن قبل أن يولد علم الفلك الحديث^(١).

وتعدية الفعل باللام تنبئ عن غرض خاص رسمه الله للشمس، وهي تجري باحثة عنه في حركة منتظمة لا تقتر ولا تمل، ويتناغم مع هذه اللام أختها في قوله: (لها). حيث لم يقل: لمستقرها، تأكيداً لخصوصية هذه الحركة وتفردتها^(٢).

فأين هذا من حرف الانتهاء المنبئ عن توقف حركتها مجرد بلوغها هذا المستقر، إن (إلى) تلائم الحديث عن الآخرة، حيث يراد نهاية الكون، وبدء عالم آخر يتغير فيه نظام الخلق، ولا يلائم الحديث عن تصوير حركة الحياة في الكون.

- وقوله تعالى: (ربنا إنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان) [آل عمران/١٩٣].

ذهب الشوكاني إلى أن (اللام) في قوله: (للإيمان) بمعنى (إلى)، وقيل: إن (ينادي) يتعدى باللام وبإلى، يقال: ينادي لكذا، وينادي إلى كذا، وقيل اللام للعلة، أي لأجل الإيمان^(٣).

وتعدية النداء باللام الهدف منه تخصيص النداء، والدعوة بما طلب، إظهاراً لعظمة شأن المنادي، فلا مناد أعظم من مناد ينادي للإيمان^(٤). والسعي له. أما (إلى) فيكون الغرض منه القصد إلى الشيء والانتهاء إليه. ولا يفيد ما يعطيه حرف (اللام) من الاختصاص.

- وقوله تعالى: (الحمد لله الذي هدانا لهذا) [الأعراف/٤٣].

يقال: هديت للحق وهديت إلى الحق بمعنى واحد^(٥). وذكر الشوكاني أربعة معان للهداية حسب ورودها في القرآن، هي: الإرشاد أو التوفيق أو الإلهام أو الدلالة^(٦).

(١): انظر: الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، ص ٢٦٦-٢٦٨.

(٢): انظر: الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ٢١٩-٢٢٠.

(٣): الشوكاني، فتح القدير، ١/٥١٨.

(٤): الزمخشري، الكشاف، ١/٤٤٥.

(٥): ابن منظور؛ لسان العرب، ٨/٤٦٣٩. وانظر: الزمخشري، الكشاف، ٢/٣٣٤.

(٦): الشوكاني، فتح القدير، ١/٢٦.

فهو حين يُعدى (بالإلى) يدل على الإرشاد وإيصال المهدي إلى الغاية المنشودة، وحين يُعدى (باللام) يدل على التوفيق وتهيئة القلب والنفوس للسعي من أجل هذه الغاية، انبثاقاً من معنى الاختصاص في اللام^(١).

فاللام في الآية تدل على توفيق الله للمؤمنين، وتهيئة قلوبهم ونفوسهم للسعي من أجل الإيمان والعمل، وأنهم خصوا بهذا الطريق وهذه الهداية، التي امتن الله عليهم بها.

- وقوله تعالى: (إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً) [الأنعام/٧٩].

فذكر أن (اللام) بمعنى (إلى). وأبان الرازي خصوصية الحرف في الآية، بأن تعديته (باللام) فيه دقيقة، وهي أنه لم يقل: وجهت وجهي إلى الذي فطر السماوات والأرض، بل ترك هذا اللفظ، وذكر قوله: (وجهت وجهي للذي)، والمعنى: أن توجيه القلب ليس إليه، لأنه متعال عن الحيز والجهة، بل توجيه وجه القلب إلى خدمته وطاعته لأجل عبوديته، فترك (كلمة) إلى هنا، والاكتفاء بحرف اللام، دليل ظاهر على كون المعبود متعالياً عن الحيز والجهة^(٢).

فالتوجه والإخلاص لا يكون إلا لله خالق السماوات والأرض، متعال عن الجهة والحيز.

- وقوله تعالى: (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له) [الأعراف/٢٠٤].

ذكر أن (اللام) بمعنى (إلى)^(٣). ولكن من معنى الاختصاص للام، فإن اللام في الآية تدل على إثارة المسموع بالقبول، واختصاصه بالاستجابة، والانقياد له.

أما (إلى) فتدل على انتهاء الكلام إلى الأذن، ووصول المسموع إليها، دون الاستجابة والعمل بمقتضاه^(٤).

فبهذا ظهر الفرق بين التعديتين بالحرفين.

(١): انظر: ابن القيم، بدائع الفوائد، ٢/٢١٠.

(٢): الرازي، التفسير الكبير، ١٣/٥٧.

(٣): الجمل، حاشيته على الجلالين، ٢/٢١٩.

(٤): انظر، الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ٢٢٩-٢٣٠.

الثامن - بمعنى (على)

ذهب كثير من المفسرين إلى جعل (اللام) في قوله تعالى: (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها) [الإسراء/٧].

معنى (فلها): أي فعليها؛ لأن السيئة على الإنسان لا له بدليل قوله تعالى: (فعلني إجرامي) [هود/٣٥]، وقوله: (من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها) [فصلت/٤٦] ^(١). لأن اللام من شأنها أن تأتي دالة على النفع، ومن شأن (على) أن ترمز إلى الضرر والشدة، فلما خولف ذلك في هذه الآية قيل إن اللام بمعنى حرف الاستعلاء، كما ذهب إليه السيوطي وابن الجوزي ^(٢).

وفي نظم هذه الآية ما يستدعي اللام، ويرجح معنى الاختصاص فيها، حيث قصت الآيات قبلها ما قضاها الله على بني إسرائيل من الإفساد في الأرض مرتين، وكيف عاقبهم الله تعالى على افسادهم للمرة الأولى وحذرهم مغية العودة إلى الإفساد للمرة الثانية، وما يترتب عليه من عقاب يستحقونه جزاء ما عملوا، وحتى لا يتوهم بنو إسرائيل لكثرة ما أنعم الله عليهم، وفضلهم على غيرهم، أن الله تعالى في طاعتهم حاجة وأنهم كما يدعون أبناء الله وأحبائه، جاءت اللام لتدل على أن إحسانهم وإساءتهم لأنفسهم لا ينتفع بأعمالهم، ولا يضربها غيرهم ^(٣).

فهي لام الاستحقاق والاختصاص وليست بمعنى (على) وهو ما رجحه أبو البقاء، بأنها على بابها وهو الصحيح، لأن اللام للاختصاص، والعامل مختص بجزء عمله، حسنة وسيئة ^(٤).

- وقوله تعالى: (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) [التوبة/٥١].

جسدت اللام عقيدة المسلم، ورؤيته للحياة والموت، والانتصار والشهادة.

فإن (اللام) في (إلا ما كتب الله لنا) تكشف عن أعماق النفس المؤمنة، بان ما أصابها من سراء أو ضراء فهو خير ساقه الله له، فإن أصابته سراء شكر وإن أصابته ضراء صبر

(١): الزركشي، البرهان، ٣٤١/٤. أبو حيان، البحر، ١٠٠/٦. العكبري، إملاء ما من به الرحمن ٤٧/٢. الجمل، حاشيته على الجلالين، ٦٠٨/٢.

(٢): انظر: السيوطي، الإتقان، ١٧٠/١. وابن الجوزي، منتخب قرة العيون النواظر، ص ٢١١.

(٣): الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ٢٤٠.

(٤): العكبري، إملاء ما من به الرحمن، ٨٨/٢.

فكان خيراً له^(١).

فكشفت (اللام) عن عقيدة المسلم في استقباله لقضاء الله، ولو كانت الآية عُدِّيت (بعلی) لأشعرت بالثقل والضيق، من غير رضا.

- وفي قوله تعالى: (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً) [الكهف/١٠٠].
يقول أبو حيان: (وعرضنا) أي أبرزنا يومئذ، أي يوم إذ جمعناهم. وقيل اللام بمعنى (على).
وأبعد من ذهب إلى أنه مقلوب، والتقدير: وعرضنا الكافرين على جهنم عرضاً^(٢).

يتعدى الفعل عرض بـ (على)، فعرض القوم على السيف: قتلهم به، وعرضهم على السوط ضربهم به، وعرضهم على النار أحرقتهم، وعرض يعرض له أمراً: بدا وظهر^(٣).

فمن تعديته بعلی يفيد الإحراق بالنار، وتعديته باللام تفيد إبراز وإظهار النار لهم، ورؤية الكافرين لها وللمصير الذي ينتظرهم، تعديبا وتخويفا لهم. و(اللام) تفيد الاختصاص، فعرض النار لا يكون إلا للكفار، جزاء لما فعلوه وإفعالهم لقلوبهم وعقولهم.

- وقوله تعالى: (أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) [الرعد/٢٥].
حيث فسرت (اللام) في (لهم) بأنها بمعنى (على)^(٤). ولكن تعدية اللعنة باللام، تعطي معنى الثبوت والاستحقاق، فهم استحقوا اللعنة وخصت بهم لأنهم نقضوا عهد الله بعد ميثاقه وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض.

ولو عُدِّيت (بعلی) لأفادت حلول الغضب بهم، وانصبايه عليهم وشدته^(٥).

- وقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) [الحجرات/٢].

(١): انظر: الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ٢٤١-٢٤٢.

(٢): أبو حيان، البحر، ٦/١٦٥.

(٣): موسى محمد الملياني، معجم الأفعال المتعدية بحرف، ٢٣٢.

(٤): الزركشي، البرهان، ٤/٣٤١.

(٥): الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ٢٣٩.

جاءت (اللام) تكشف أن الرفع والجهر لم يكن إلا ما كان في طباعهم، لا أنه مقصود بذلك الاستخفاف والاستعلاء، لأنه كان يكون فعلهم ذلك كفراً والمخاطبون مؤمنون^(١).

وتفسير ابن قتيبة لهذه (اللام) بعلی^(٢)، يفوت هذا الغرض من بيان أنهم لم يقصدوا بالجهر إيذاء الرسول - صلى الله عليه وسلم -، ولو كانت بمعنى (على) لدلت على قصد الإساءة والاستعلاء على الرسول - صلى الله عليه وسلم -.

فجاءت الآية لتعلمهم آداب الحديث في حضرة الرسول دون أن يطعنهم في إيمانهم، بدليل تصدير الابتداء بالآية بنداؤ المؤمنين، وختمها بقوله (وأنتم لا تشعرون)^(٣).

التاسع - بمعنى (في)

يرى كثير من النحاة أن الظرفية من معاني اللام، واستشهدوا لها ببعض آيات من القرآن الكريم، يمكن لمس غرض فيها يهدف إليه النظم مع إبقاء على أصل معناها، من ذلك قوله تعالى: (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً) [الأنبياء/٤٧].

قال الألوسي: (واللام في (ليوم القيامة) بمعنى (في) كما نصّ عليه ابن مالك وهو مذهب الكوفيين، ووافقهم ابن قتيبة، أي: يضع الموازين القسط في يوم القيامة التي كانوا يستعملونها. وقال غير واحد: هي للتعليل، أي: لأجل حساب يوم القيامة، أو لأجل أهله، وجعلها بعضهم للاختصاص^(٤)).

وأرى والله أعلم أن اللام على معناها من الاختصاص، والقول بأنها للتعليل راجع إلى معنى الاختصاص كما حققه المرادي^(٥). فالآية خصت وضع الموازين التي توزن بها أعمال الإنسان في يوم القيامة فقط.

- وقوله تعالى: (يقول يا ليتني قدّمت لحياتي) [الفجر/٢].

(١): أبو حيان، البحر، ١٠٦/٨.

(٢): تأويل مشكل القرآن، ص ٥٦٩.

(٣): الخصري، من أسرار حروف الجر، ص ٢٤٣.

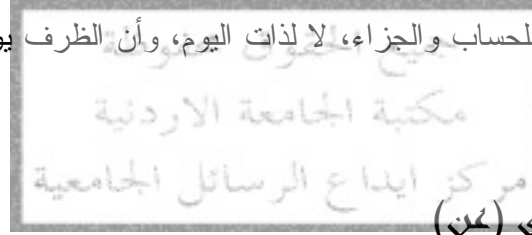
(٤): الألوسي، روح المعاني، ١٥٥/٧١.

(٥): انظر: الجنى الداني، ص ١٠٩.

فمعنى الآية: يا ليتني قدّمت في حياتي، أي الحياة الدنيا. على من قال إن (اللام) بمعنى (في) ^(١). والظاهر أن المعنى: لأجل حياتي، يعني الحياة الآخرة ^(٢).

فهذه الإضافة تحقق هدف النظم من إبراز تحسر الكافرين، وندمهم على ما فرّطوه في حياتهم الدنيا، وعدم عملهم لحياة الآخرة الأبدية، التي تحياها في عذاب دائم. فهذه الحياة الآخرة خاصة لدوامها، فكان يمكن أن يتحول الدائم من جحيم إلى نعيم لكن الكافر كان السبب في ندمه وحسرتة يوم لا ينفعه كل ذلك.

- وكذا في قوله تعالى: (ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه) [آل عمران/٩]. ففسر معنى (اليوم) في يوم ^(٣). فهذه الآية (اللام) فيها للاختصاص، باختصاص يوم الجزاء بالجمع وما تبعه من تهديد ووعيد بما ينتظر الكافرين من سوء الحساب. فجمع الناس وإنما هو للحساب والجزاء، لا لذات اليوم، وأن الظرف يوحى بأنه ميعاد وزمان الجمع فقط.



العاشر - اللام بمعنى (عن) عرّقت اللام الدالة على المجاوزة والتي قيل إنها تنوب فيها عن حرفها الموضوع لها وهو (عن)، بأنها: "هي الجارة اسم من غاب حقيقة أو حكماً عن قول قائل متعلق به"، نحو: - قوله تعالى: (وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه) [الأحقاف/١١]. أي: عن الذين آمنوا ^(٤).

هذه الآية سبقها حديث عن تكذيب المشركين بآيات الله، ودعواهم بان القرآن مفترى وليس من عند الله، ممّا استدعى الرد عليهم بقوله: (أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين) [الأحقاف/١٠].

(١): انظر: الزركشي، البرهان، ٣٤١/٤. والمرادي، الجنى الداني، ص ٩٩.

(٢): المرادي، الجنى الداني، ص ٩٩.

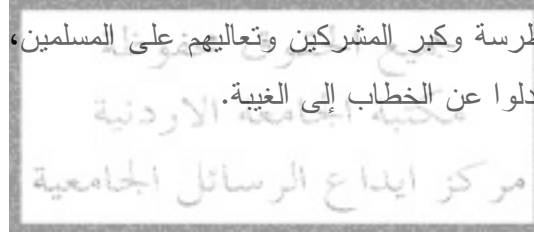
(٣): أبو حيان، البحر المحيط، ٣٨٧/٢.

(٤): المرادي: الجنى الداني، ص ٩٩.

فكان رد المشركين في الآية موضع الحديث يحمل الاستخفاف بالمسلمين، وتطلب كبرياًؤهم أن يترفعوا عن خطاب المؤمنين، فعدلوا عن أسلوب الغيبة، صوناً لأنفسهم عن مواجهة من هم دونهم في زعمهم، وهو ضرب من الالتفات أثره القرآن الكريم لإبراز صور التعالي والغطسة. فانظر كيف يضيع هذا الغرض لو قال: لو كان خيراً ما سبقتمونا إليه. وكيف يفسد المعنى لو قلت: قال الذين كفروا عن الذين آمنوا؛ لأنه يصبح نوعاً من الحديث عنهم، لا لهم مع أن الآية حوار بين المسلمين والمشركين^(١).

واللام لا تزال تحمل معنى اختصاص قولهم بمن وجه إليهم، واللام سماها أبو حيان لام التبليغ، وهي فرع عن الاختصاص. حيث قال: (واللام للتبليغ، ثم انتقلوا إلى الغيبة في قولهم (ما سبقونا) ولو لم ينتقلوا لكان الكلام ما سبقتم إليه)^(٢).

فالآية بينت غطسة وكبر المشركين وتعاليمهم على المسلمين، بالرغم من أنهم تحدثوا مع المؤمنين إلا أنهم عدلوا عن الخطاب إلى الغيبة.



(١): انظر: الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ٢٥٢.

(٢): النهر الماد من البحر، ٥٨/٨.

المطلب السابع: (من) وأثرها في التفسير

تأتي (من) الجارة للاسم بعدها لعدة معان، هي:

الأول - ابتداء الغاية

فتكون لابتداء الغاية في الأماكن، كقولك: سرتُ من البصرة إلى الكوفة^(١). واختلف هل تكون (من) للزمان:

- ذهب الكوفيون والأخفش والمبرد أنها تكون للزمان: بدليل قوله تعالى: (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه) [التوبة/١٠٨]^(٢). أما البصريون فتأولوه^(٣).

و (من) في هذه الآية ابتدائية، ولها دلالاتها في أن هذا المسجد كان منذ اللبنة الأولى التي وضعت لتأسيسه مصحوباً بالتقوى، مبالغة في صدق النوايا وإخلاص العمل لله، وعليه فإن (من) في الآية دالة على استيعاب وقت الأولية كله مبالغة في أن جزءاً ولو يسيراً من الوقت لم تكن التقوى مفارقة له^(٤).

- وقوله تعالى: (إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله) [الجمعة/٩] لم يرتض الرضي ما ذهب إليه الكوفيون أنها ابتدائية، وذهب إلى أنها بمعنى (في)^(٥).

و(من) هنا تبعيضية، والتبعيض راجع إلى معنى الابتداء. فالله تعالى لا يريد من المؤمنين ترك أعمالهم في هذا اليوم، والانقطاع بالصلاة والعبادة، بل طلب منهم أن يبدؤوا يومهم بالعمل، فإذا سمعوا النداء لصلاة الجمعة من بعض هذا اليوم لبوا نداء الله، فإذا ما فرغوا من صلاتهم بادروا بالعودة إلى أعمالهم^(٦).

(١): انظر: سيبويه، الكتاب، ٣٠٧/٢، المبرد، المقتضب، ١٣٦-١٣٧.

(٢): أبو حيان، البحر، ٩٩-٥. ابن هشام، المغني، ١٤/٢.

(٣): الإرزلي، جواهر الأدب، ص ١٥٨.

(٤): انظر: الخصري، من أسرار حروف الجر، ص ٣٦٦.

(٥): انظر: الرضي، شرحه على الكافية، ٢٩٨/٢.

(٦): انظر: الخصري، من أسرار حروف الجر، ص ٢٦٥.

(فمن) أبانت عن المعنى المراد من الآية وليست بمعنى (في)؟ وإلا ما الفائدة من وجود (من) في هذه الآية؟

- وقوله تعالى: (إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) [النساء/١٧١].

(من) في الآية لابتداء الغاية، وليست للتبويض، كما فهم النصارى، فادعوا أن عيسى جزء من الله، وروي أن نصرانياً استدل بأن في القرآن ما يشهد لمذهبه، وهو قوله: (وروح منه)، فأجيب على قوله، بقوله تعالى: (وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه)، فإن كان يجب بهذا أن يكون عيسى جزءاً منه وجب أن يكون ما في السماوات والأرض جزءاً منه، فانقطع النصراني، وأسلم^(١).

فعيسى - عليه السلام - كان أمره كلمة ألقاها الله، وروح نشأت بأمره وابتدأت بامر منه تعالى.

- وقوله تعالى: (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون) [الحجرات/٤].
(من) لابتداء الغاية، والوراء الجهة التي يوارىها عنك الشخص بظله من خلف أو قدام. وأن المناداة نشأت من ذلك المكان، (فإن قلت: أفرق بين الكلامين، بين ما تثبت فيه وما تسقط عنه.

قلت: الفرق بينهما أن المنادي والمنادى في أحدهما يجوز أن يجمعهما الوراء. وفي الثاني لا يجوز، لأن الوراء تصير بدخول (من) مبتدأ الغاية، ولا يجتمع على الجهة الواحدة أن تكون مبتدأ ومنتهى لفعل واحد، والذي يقول: ناداني فلان من وراء الدار لا يريد وجه الدار ولا دبرها، ولكن أي قطر من أقطارها الظاهرة كان مطلقاً بغير تعيين واختصاص.

والإنكار لم يتوجه عليهم من قبل أن النداء وقع منهم في أدبار الحجرات أو في وجوهها، وإنما أنكر عليهم أنهم نادوه من البر والخارج مناداة الأجلاف بعضهم لبعض من غير قصد إلى جهة دون جهة^(٢).

(١): انظر: أبو حيان، البحر المحيط، ٤٠١/٣.

(٢): الزمخشري، الكشاف، ٣٤٨/٤.

فالآية تنكر على الأعراب الذين نادوا الرسول من جهة بعيدة غير الجهة التي فيها، مما أدى إلى رفع أصواتهم على طريق أجلاف البادية، و(من) التي أشارت أن المنادي والمنادي في جهتين مختلفتين.

الثاني - التبعض

ذكر أن التبعض راجع إلى معنى الابتداء^(١). نحو قوله تعالى: (ويكفر عنكم من سيئاتكم) [البقرة/٢٧١].

من للتبعض، لأن الصدقة لا تكفر جميع السيئات^(٢). فهي تكفر ما بين العبد وربّه، أما ما بين العبد والناس فيبقى معلقاً في ذمته.

- وقوله تعالى: (أنفقوا من طيبات ما كسبتم) [البقرة/٢٦٧].
(من) للتبعض^(٣)، فالله تعالى لم يطلب إنفاق المال جميعه، وإلا لبخل الناس وشحوا. ولكنه طلب إنفاق بعضه، وهو الغني عن جميع ما ينفقون ولكنه رحمة بهم ونشراً لروابط المحبة والتعاون.
والإنفاق لا يكون إلا من طيب ما اكتسب الناس، فالله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً.

- وقوله تعالى: (إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم) [التغابن/١٤].
(من) للتبعض^(٤). فإن من الأزواج أزواجاً يعادين بعولتهن ويخاصمنهم ويجلبن عليهم، ومن الأولاد أولاداً يعادون آباءهم ويعقونهم ويجرعونهم الغصص والأذى^(٥).

الثالث - التعليل

وهي التي يحسن مكانها سبب^(٦)، أو اللام^(٧)، نحو قوله تعالى: (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق) [الأنعام/١٥١].

(١): المبرد: المقتضب، ٤٤/١.

(٢): أبو حيان، النهر الماد، ٣٢٥/٢.

(٣): أبو حيان، البحر، ٣١٧/٢.

(٤): المرجع السابق، ٢٧٩/٨.

(٥): الزمخشري، الكشاف، ٥٣٧/٤.

(٦): الإربلي، جواهر الأدب، ص ١٦٠.

(٧): الزركشي، البرهان، ٤١٩/٤.

قيل: (من) سببية^(١). ولكنها هنا تفيد الابتداء، فـ (من) جاءت دالة على أن الفقر الواقع بهم كان منشأ إقدامهم على القتل، مجسدة الخوف والهلع المتمكنين من قلوب الآباء، وكأنهم بادروا إلى قتل أولادهم من بداية ما يقال له فقر، مهما كان قليلاً، وهو ما يؤكد تكبير فقر^(٢).

فـ (من) أعطت الصورة التي تحيط بالآباء عند قتلهم لأبنائهم. مجرد بداية الفقر بهم مهما كان نوعه، يقدمون على قتلهم. ولكن الرزق بيد الله، ولكل إنسان رزقه الذي قدره الله .

- موضع آخر قيل فيه إن (من) للتعليل، قوله تعالى: (مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً) [نوح/٢٥].
قال الزمخشري: (تقديم "مما خطيئاتهم" لبيان أن لم يكن إغراقهم بالطوفان، فأدخلهم النار إلا من أجل خطيئاتهم)^(٣).

و(من) التبعية هي التي تكشف عن طغيان وضلال قوم نوح - عليه السلام - وبيان كثرة ذنوبهم، وما اقترفوه من آثام، وطول مدة دعوة نوح لم تغير فيهم شيء ولم يؤمنوا. فذنوبهم كثيرة، وبعض هذه الذنوب كفيل بهذا الهلاك الذي حل بهم، واستحقوه^(٤).
فإذا كان هذا العذاب من بعض ذنوبهم، فكيف لو كان أخذهم وعقابهم لكل ذنوبهم؟

- وقوله تعالى: (أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت) [البقرة/١٩].
ذكر أن (من الصواعق) معناها التعليل، أي من أجل الصواعق يجعلون أصابعهم في آذانهم^(٥).

والقول بأن (من) للابتداء، أقوى في بيان صورة الخوف والهلع الذي يصيب من كان في ظلمات ورعد وبرق، بأنه بمجرد أن تبدأ هذه الأمور يصيبهم الهلع والإسراع إلى وضع

(١): أبو حيان، البحر المحيط، ٤ / ٢٥١.

(٢): انظر: الخصري، من أسرار حروف الجر، ص ٣٥٨.

(٣): الكشاف، ٤ / ٦٠٨.

(٤): انظر: الخصري، من أسرار حروف الجر، ص ٣٥٩.

(٥): الزمخشري، الكشاف، ١ / ٩١.

أصابعهم في آذانهم^(١). مبالغة في تجسيد خوفهم. فهذه حالهم بمجرد ابتدائه، فكيف حين تشتد بهم الحالة؟.

الرابع- الزيادة

للزيادة وإثباتها أخذ ورد بين العلماء، فسيبويه يرى أنها قد تدخل في موضع لو لم تدخل فيه كان الكلام مستقيماً، ولكنها تؤكد^(٢). والمبرد لا يرى أنها تكون زائدة، وذلك أن كل كلمة إذا وقعت وقع معها معنى فإنما حدثت لذلك المعنى وليست بزائدة^(٣).

و(من) الزائدة لها شرطين عند البصريين:

- أن تدخل على نكرة.
 - أن يكون الكلام نفيًا أو نهياً أو استفهاماً...^(٤).
- نحو قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام خطاباً لقومه: **(يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى) [نوح/٤]**.
- و قوله تعالى على لسان مؤمني الجن خطاباً لمن لم يؤمن: **(يا قومنا أجيئوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم) [الأحقاف/٣١]**

ففي كهاتين الآيتين خطاب الكافرين ووعدهم بمغفرة بعض الذنوب بشرط الإيمان، وهو غفران ما بينه وبينهم لا مظالم العباد^(٥)، لأن مقام الكافر مقام قبض لا بسط فلذلك لم يبسط رجاءه في مغفرة جملة الذنوب^(٦).

فالقول بالزيادة لا يعطي هذا المعنى، بل العكس يعطي ما هو مخالف له.

(١): انظر: الخصري، من أسرار حروف الجر، ص ٣٦٠.

(٢): انظر: سيبويه، الكتاب، ٢/٣٠٧.

(٣): المبرد، المقتضب، ١/٤٥.

(٤): انظر: الزركشي، البرهان، ٤/٤٢١.

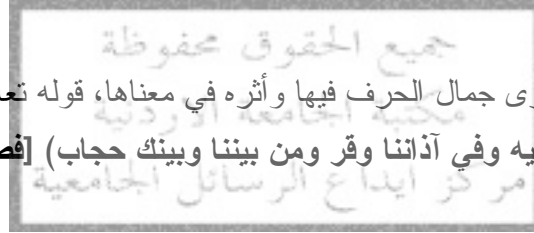
(٥): انظر: الزركشي، البرهان، ٤/٢٣٤ وما بعدها.

(٦): ابن المنير، الانتصاف، ٣/٥٢٧.

- ومما قيل فيه بزيادة (من) في قوله تعالى: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون* وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) [النور/٣٠-٣١].

ذهب الأخفش إلى أنها زائدة، ورد عليه الزركشي، بأن النظر قد يكون عن تعمد وغير تعمد، والنهي إنما يقع على نظر العمد فقط، ولهذا عطف قوله "ويحفظوا فروجهم" من غير إعادة "من" لأن حفظ الفرج واجب مطلقاً، ولأنه يمكن التحرز منه، ولا يمكن في النظر، لجواز وقوعه اتفاقاً، وقد يباح للخطبة وللتعليم ونحوها^(١).

فلو لم تكن (من) زائدة، لكان النظر بجميع أحواله غير جائز وممنوع، لكن هناك حالات شرع الإسلام فيها النظر، كالسابقة.



- وآية أخرى، نرى جمال الحرف فيها وأثره في معناها، قوله تعالى: (وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب) [فصلت/٥].

قال الزمخشري: (فإن قلت: هل لزيادة "من" في قوله - ومن بيننا وبينك حجاب- فائدة؟ قلت: نعم، لأنه لو قيل: بيننا وبينك حجاب لكان المعنى إن حجاباً حاصل وسط الجهتين، وأما بزيادة (من) فالمعنى أن حجاباً ابتدأ منا وابتدأ منك، فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها)^(٢). والمقصود من ذلك المبالغة بالتباين المفرط كما قال أبو حيان^(٣).

لكن ابن المنير في الانتصاف لم يرتض ما قاله الزمخشري، ذاهباً إلى أن وجود "من" قريب من عدمها، واستشهد لذلك بقوله تعالى: (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً) حيث لم يستعمل فيها (من)^(٤).

(١): الزركشي، البرهان، ٤/٢٥٠.

(٢): الزمخشري، الكشاف، ٣/٢٤٢.

(٣): انظر: أبو حيان، البحر المحيط، ٧/٤٨٤.

(٤): انظر: ابن المنير، الانتصاف، ٣/٢٤٢.

وما قاله الزمخشري هو الذي يبرز مبالغة رفض المشركين لدعوة النبي - صلى الله عليه وسلم - وإصرارهم على عدم الاستماع، فجعلوا بينهم وبين النبي حجاباً يمنع ويحول دون نفاذ القرآن إلى أسماعهم.

الخامس - بمعنى (في)

آية كثر الاستدلال بها على معنى الظرفية في (من) أو نيابتها عن حرف الوعاء^(١)، وهي قوله تعالى: (قل أرايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات) [فاطر/٤٠].

حيث فسر الكثيرون (من الأرض) بمعنى في الأرض^(٢).

لكن (من) هنا تفيد التبويض، حيث تنسجم مع الغرض مع نفي الشركاء مع الله تعالى في خلقه، فالذي يدعي أن مع الله إلهاً آخر عليه أن يثبت أي جزء من الأرض خلقها الشركاء؟

والقول بان (من) بمعنى (في) ينزل بالتحدي من خلق الأرض وما عليها إلى خلق ما فيها، فتصير الأرض ذاتها بمنأى عن هذا التحدي، مع أنها هي الأدل على عظيم قدرة الله: (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس)^(٣).

وهذا الرأي هو الذي أراه مناسباً ويبرز غرض الحرف هاهنا.

- وقوله تعالى: (يا قوم اعبدوا ربكم ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه) [هود/٦١].

ذكر أن (من) بمعنى (في)^(٤). وفسر الألوسي معنى (من الأرض): أي ابتداء خلقكم منها، فإنها المادة الأولى، وآدم الذي هو أصل البشر خلق منها، وقيل: الكلام على حذف مضاف، أي أنشأ أباكم، وقيل (من) بمعنى (في) وليس بشيء^(٥).

(١): انظر: المرادي، الجني الداني، ص ٤١٤. وابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص ٥٧٧.

(٢): انظر: الزجاجي، معاني الحروف، ص ٧٦.

(٣): انظر: الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ٣٦٧.

(٤): أبو حيان، البحر المحيط، ٢٣٨/٥.

(٥): الألوسي، روح المعاني، ٨٨/١٢.

فالخطاب على لسان صالح- عليه السلام- أراد أن يذكر قومه أن مبدأ نشأتهم من الأرض، وهم يبطنون ويتجبرون فيها، فإنما خلقوا مما يمشون عليه فعليهم ألا يعرضوا ويتكبروا عن طاعة الله.

الساحس- (من) والمجازة

ذكر أن (من) تأتي بمعنى (عن)، في عدة آيات، منها قوله تعالى إلى لسان يعقوب عليه السلام، أمراً أبناؤه بإعادة البحث عن يوسف وأخيه: (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) [يوسف/٨٧].

نقل الألويسي عن ابن الأنباري أن (عن) بمعنى (من)؛ لأنه لا يقال تحسست من فلان، وإنما يقال: تحسست عنه^(١). وإلى مثله ذهب ابن الجوزي^(٢).

ولكن (من) أقرب إلى بلاغة النظم وأقدر على النهوض بمقصده، لأنها تدل على القرب من الأخبار، والوصول إلى أدنى الأماكن التي يظن العثور عليهما فيها^(٣).
فـ(من) تدل على القرب والمباشرة، أما (عن) فتدل على التراخي أو وجود واسطة لما فيها من معنى المجازة. والذي يوضح ذلك: قولك، سمعت منه، وسمعت عنه.
فيعقوب -عليه السلام- أراد من أبناؤه أن يذهبوا ويتقصوا أخبار عن أخويهما بأنفسهم.

- وجعلت (من) بمعنى (عن) في قوله تعالى: (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) [الزمر/٢٢].

فمعنى (من ذكر الله): عن ذكر الله^(٤)، ولكن هذا المعنى، أي عن ذكر الله يعني أن القلب ينصرف عن ذكر الله وعبادته. وقسوة القلب من ذكره تدل على أن ذكر الله هو منشأ القسوة والجمود، فهم يعصون الله ويصدون عن سبيله، فيزدادون كفراً إلى كفرهم.
وهذا على عكس الذين يخشون ربهم، فعند سماعهم كلام الله ينشأ من سماعهم قشعريرة جلودهم خوفاً من ربهم^(٥).

فقسوة قلوبهم نشأت من ذكر الله حين قابلوه بالعصيان والكفر.

(١): الألويسي، روح المعاني، ٤٤/١٣.

(٢): في منتخب قرّة العيون النواظر، ص ٢٢٤.

(٣): انظر: الخصري، من أسرار حروف الجر، ص ٣٤٩-٣٥٠.

(٤): الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٤/٢٠٤.

(٥): انظر: الخصري، من أسرار حروف الجر، ص ٣٥٠-٣٥١.

- وقوله تعالى: (واقرب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا) [الأنبياء/٩٧].

ذكر أن (من) بمعنى (عن) ^(١)، أي: لقد كنت في غفلة عن هذا. وفسرت أن (من) على أصل معناها في الآية وأن الغرض تهويل ما رأوه من العذاب ومفاجأتهم بما لم يتوقعوه، و(من) دالة على التبويض، مشيرة إلى أنهم لو ذكروا بعض هذا العذاب ما صاروا إليه، يدل عليه قوله " فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا " لهول ما شهدت منه ^(٢).

(فمن) أعطت صورة الغافل، وهول ما سيلاقيه، ولو أنه تذكر بعض هذا العذاب ولم يغفل ما صار إلى تلك الحالة.

السابع - (من) والاستعلاء، جميع الحقوق محفوظة
هذا المعنى أثبتته لـ (من) جمهور كبير من اللغويين والمفسرين ^(٣)، مستدلين بقوله تعالى: (ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين) [الأنبياء/٧٧].

وفي معاجم اللغة، النصر معناه: العون، وهذا العون يكون بتغليبه على خصمه، أو بمنع خصمه منه ^(٤).

وفي هذه الآية مع إنجاء ومنع؛ لأن نوحاً عليه السلام لم يعلن الحرب على قومه، ولم يكن معه من الجنود والأنصار ما يتصدى به المشركين، بل قومه هم الذين يحاولون القضاء عليه ^(٥).

وإلى هذا ذهب العز بن عبد السلام، فقال: (النصر إن استعمل بعلی كان بمعنى الغلبة، نحو: (فانصرنا على القوم الكافرين) وإن استعمل بـ(من) كان بمعنى المنع: (ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا) ^(٦)).

(١): انظر: السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ١/١٧٦.

(٢): الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ٣٥٢.

(٣): انظر: الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، ص ٢٣٧. والسيوطي، الإتيان، ١/١٧٦.

(٤): انظر: ابن منظور: لسان العرب، ٧/٤٤٣٩.

(٥): انظر: الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ٣٦١-٣٦٢.

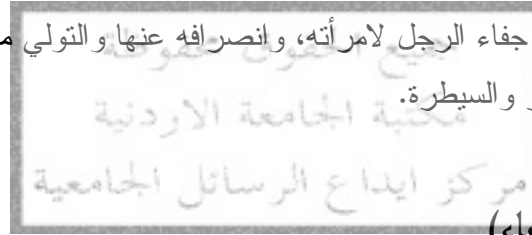
(٦): الفوائد في مشكل القرآن، ص ٥٥.

فانظر كيف كان لكل حرف دلالة ومعناه مع الفعل، أو زال القول بتناوب حروف الجر يقع فعلاً؟

- ومما قيل فيه إن (من) تدل على الاستعلاء قوله تعالى: (للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم) [البقرة/٢٢٦].
قيل إن (من) بمعنى (على)، أو أن الفعل ضمّن معنى الامتناع فعديّ تعديته، أو أن (من) للتعليل، كأن الإيلاء كان بسبب النساء^(١).

وفسر تعديّة الإيلاء بـ(من)، أن الإيلاء إذا عدّي (بعلى) كان الغرض الإضرار بمن وقع عليه الإيلاء، والإيحاء بظهور المولى ونفوذه وسيطرته، وحين يعدّي (بمن) فإنه يدل على أن الرجل ولى من امرأته وجافاها، وكأنه أخرجها من قلبه ونفسه^(٢).

(فمن) عبرت عن جفاء الرجل لامرأته، وانصرافه عنها والتولي منها. دون أن يكون الغرض والقصد الضرر والسيطرة.



الثامن - بمعنى (الباء)

من بليغ النظم الحكيم، وضع الحرف موضعه الذي يليق به. فهناك مواضع التيسر فيها (من) (بالباء)، في قوله تعالى: (وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل* وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي) (الشورى/٤٤-٤٥).

ذكر المرادي عن الأخفش معنى (من طرف خفي)، أي بطرف خفي، كما تقول العرب: ضربته من السيف، أي بالسيف^(٣).

وإن أريد كون الطرف آلة للنظر فـ(من) بمعنى الباء، أو مبدأ له، فهي للابتداء. فهما معنيان متغايران موكلان إلى إرادة المستعمل^(٤).

(١): انظر: أبو حيان، البحر المحيط، ٢/١٨١.

(٢): الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ٣٦٤.

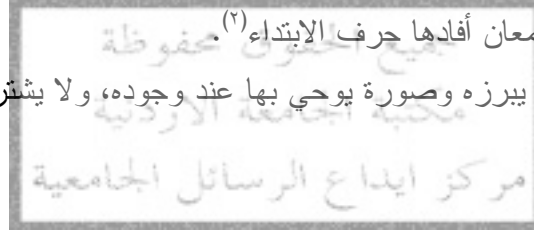
(٣): المرادي، الجنى الداني، ص ٣٢٤.

(٤): حاشية الصبان على الشرح الأشموني، ص ٢١٨-٢١٩.

لكن كان الأولى أن يقال: إن أريد كون الطرف آلة للنظر جيء (بالباء)، وإن أريد كونه مبدأ له جيء بـ(من)، وإلا فما دري أنه يراد الآلة أو المبدأ، إن لم يستعمل كل حرف في معناه الموضوع له^(١)؟

وتقتضي بلاغة النظم مجيء (من) دون الباء، لتشير إلى أن الظالمين لا يستطيعون أن يحركوا الطرف، وإنما ينظرون ببعضه، وبالقدر الذي يريهم هول العذاب. وذلك ينسجم تمام الانسجام مع قوله: (خاشعين من الذل)، حتى إنهم من فرط ذلهم، لا يستطيعون رفع أبصارهم، ولا النظر إلا خلسة، وببعض الطرف، ويدل عليه وصف الطرف بالخفاء، شأن المستحي من رفع بصره.

فأين هذا من معنى الباء، الذي يدل على اتخاذ الطرف آلة يحركونه لئويه الأشياء، دون ما أشرنا إليه من معان أفادها حرف الابتداء^(٢). فلكل حرف معنى يبرزه وصورة يوحي بها عند وجوده، ولا يشترك حرفان في هذه المهمة.



- أية أخرى قيل إن (من) بمعنى (الباء) قوله تعالى: (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) [الرعد/ ١١].

على أن معنى الآية يحفظونه بأمر الله^(٣). والدليل على انه لا بد من المصير إليه، لأنه لا قدرة للملائكة، ولا لأحد من الخلق على أن يحفظوا أحداً من أمر الله، ومما قضاه عليه^(٤).

وفسر الزمخشري في توجيه لتخريج (من) على أصل معناها، بأن "يحفظونه من أمر الله"، هما صفتان جميعاً، وليس من أمر الله بصلة للحفظ، كأنه قيل: له معقبات من أمر الله. أو يحفظونه من أجل الله، أي: من أجل أن الله أمرهم بحفظه^(٥).

(١): انظر: الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ٣٥٦.

(٢): المرجع السابق، ص ٣٥٦-٣٥٧.

(٣): ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص ٥٧٤.

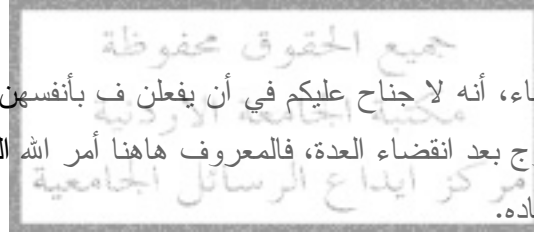
(٤): الرازي، التفسير الكبير، ١٩/١٩.

(٥): الزمخشري، الكشاف، ٢/٤٩٧.

و(من) بمعنى الابتداء، فهذه المعقبات منشؤها أمر الله تعالى، وفيه دلالة على هيمنة الله على خلقه. وجعل (من أمر الله) صفة ثانية، يحدد وظائف المعقبات من الملائكة. وكان هذا الحفظ من الله تعالى، وإن كانت هناك قراءة أخرى (بالباء) فهذا لا يعني اتفاق معنى الآيتين.

- وقوله تعالى: (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف) [البقرة/٢٤٠].

فعديت الآية بـ(من معروف)، وفي آية أخرى (بالمعروف)، وهي قوله تعالى: (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف) [البقرة/٢٣٤]، فما الفرق؟



تعديت المعروف بالباء، أنه لا جناح عليكم في أن يفعلن ف بأنفسهن بأمر الله، وهو ما أباحه الله لهن من التزوج بعد انقضاء العدة، فالمعروف هاهنا أمر الله المشهور، وهو فعله وشرعه وبعث عليه عباده.

أما الثاني (من معروف): فالمراد فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من جملة الأفعال التي لهن أن يفعلن من تزوج أو قعود، وهو بعض ما لهن أن يفعلنه ولهذا المعنى خص بلفظه (من) ونكر^(١).

فقوله (بالمعروف) وكان الحديث عن حقهن بالزواج بعد انقضاء العدة، وأن ما يفعلنه في أنفسهن يكون بما أباحه الشرع وهو الزواج، والباء التي للالتصاق دليل على أنه لا بد من التزام شرع الله وما عرف.

أما (من معروف): فالحديث عن عموم حقوقها، والزواج واحد من حقها، فجاء بمن دالة على التبعية.

(١): الإسكافي، درة التنزيل، ص ٥٢-٥٣.

المطلب الرابع: (أو) وأثرها في التفسير

(أو) العاطفة، تعطف مفرداً على مفرد، وجملة على جملة، ويكون لها في هذا عدة معان^(١).

أولاً- التخيير

فلا تقع إلا بعد الطلب، نحو: كل سمكاً أو اشرب لبناً. أي اعمل أحد هذين الأمرين.
- نحو قوله تعالى: (خذوا حذرکم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً) [النساء/٧١]
(أو) للتخيير^(٢)، أي أن الأمر لهم بأن ينفروا على أحد الوصفين، ليكون ذلك أشد على عدوهم وليأمنوا أن يتخطفهم الأعداء إذا نفر كل واحد منهم وحده أو نحو ذلك^(٣).

فأخذ الحذر في الخروج لا بد منه، والذي يحدد نوع النفي هو ما تقتضيه وتطلبه المصلحة، ونوع الخروج للمسلمين.

- وقوله تعالى: (وإذا حبيتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) [النساء/٨٦]
(أو) للتخيير^(٤)، فللراد أن يختار بين أن يجيب نفس التحية أو يزيد عليها. فالتخيير وقع بين الزيادة وتركها.

- وقوله تعالى: (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى) [الإسراء/١١٠]

هذه الآية توجيه من الله لعباده كيفية الدعاء، وذهب الزمخشري إلى أن الدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء، والله والرحمن المراد بهما الاسم لا المسمى.
وَأَوْ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ لِلتَّخْيِيرِ. أَي: سَمُوا بِهَذَا الْاسْمِ أَوْ بِهَذَا، وَانْكَرُوا إِمَّا هَذَا وَإِمَّا هَذَا^(٥).

(١): انظر (أو) في: سيبويه، الكتاب، ٨٥/١، ٤٨٧. المرادي، الجنى، ٩٠. الهروي، الأزهية، ١١٥. المالقي، رصف المياني، ٢١٠-٢١٢.

(٢): أبو حيان، البحر، ٢١٠/٣.

(٣): الشوكاني، فتح القدير، ٦١٤/١.

(٤): أبو حيان، البحر، ٣١٠/٣.

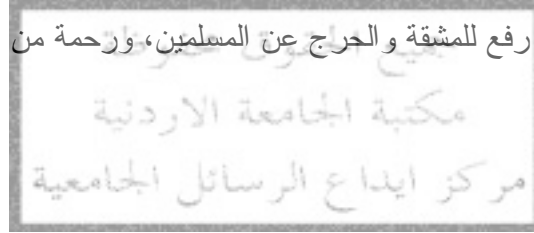
(٥): الزمخشري، الكشاف، ٦٧٣/٢.

ولكن القول بأن معنى (أو) التخيير، يعني الدعاء بأحدهما، ولكن يمكن للداعي أن يجمع بين الاسمين في دعائه، فإن تعددت الأسماء فالمسمى واحد. جل جلاله. وأظن أنها أقرب إلى الإباحة منه للتخيير. والناظر في الروايات الواردة في سبب هذه الآية يدرك أن المعنى ليس التخيير^(١).

فإن الله تعالى أعلمهم أن دعاءهم الله ودعاءهم الرحمن يرجعان إلى قول واحد.

- وقوله تعالى: (فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك) [البقرة/١٩٦]

هذه الآية فيمن كان مريضاً في الحج، أو به أذى من رأسه، فحلق، فهو مخير بين أن يصوم ثلاثة أيام أو يتصدق على ستة مساكين أو يذبح شاة^(٢).
فللمريض الذي به أذى واضطر إلى الحلق له أن يفدي مختاراً إحدى الأمور الثلاثة ما يلائمه ويناسبه، وفي هذا رفع للمشقة والجرح عن المسلمين، ورحمة من الله تعالى بهم.



ثانياً - الإباحة

ولا تقع إلا ما بعد الطلب أيضاً، نحو: جالس الحسن أو ابن سيرين.

- نحو قوله تعالى: (من بعد وصية يوصي بها أو دين) [النساء/١١]
(أو) للإباحة، ذكر أبو البقاء أنها لا تدل على ترتيب^(٣). فإن كان أحدهما أو كلاهما، قدم على قسمة الميراث^(٤).

وفيه الحث على أداء الوصية والدين أكانت أو تفيد الترتيب أم لا. والمسارعة بأدائهما وإخراجهما خوفاً من التفريط بأحدهما.

- وقوله تعالى: (فإن خفتم فرجالاً أو ركبانا) [البقرة/٢٣٩]

أمر الله تعالى بالقيام له في الصلاة بحالة القنوت، وهو الوقار والسكينة وهدوء الجوارح، وهذا على الحالة الغالبة من الأمن والطمأنينة، ثم ذكر الله تعالى حالة الخوف

(١): انظر: أبو حيان، البحر المحيط، ٦/١٦٠. الرازي، التفسير الكبير، ٧/٤١٨.

(٢): الزمخشري، الكشاف، ١/٢٣٨.

(٣): العكبري، إملأ ما من به الرحمن، ١/٩٥. الجمل، حاشيته على الجلالين، ١/٣٦٢.

(٤): الزمخشري، الكشاف، ١/٤٧٣.

الطارئة أحياناً، فرخص لعبيده في الصلاة رجالاً على الأقدام، أو ركبانا على الخيل والإبل^(١).

ففي حال الخوف رخص بالصلاة إما رجالاً أو ركبناً، فأباح لهم الصلاة على أية حالة تيسرت لهم، وفي هذا دليل على أهمية الصلاة ومكانتها العالية، فحتى في أصعب الظروف لا يعفى عن الصلاة.

- وقوله تعالى: (والذين هم لفروجهم حافظون* إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين)[المؤمنون/٥-٦]

الآيات في وصف المؤمنين، العفاف صفتهم، يصونون أنفسهم عن الوقوع في الحرام، إلا ما حلله الله لهم من أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم، (فأو) جاءت بمعنى الإباحة، فأبيح لهم بإطلاق ما أمروا بحفظه، على أزواجهم وما ملكت يمينهم لا غير. فمن تجاوزهما فقد اعتدى على ما لا يحل له.

- قوله تعالى: (ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتيحاً أو صديقكم)[النور/٦١]

أباح الله تعالى في هذه الآية الأكل من عند هذه الأصناف، وقد عدتها الآية. وفي ذلك توثيق العلاقات وأواصر القربى والصدقة والمحبة، ورفع الحرج عن المسلمين في التحرج من الأكل من بيوت أقاربهم أو أصدقائهم أو ما ملكوا مفاتيحه. مع مراعاة الآداب الإسلامية في كل ذلك.

والفرق بين التخيير والإباحة، أن للمكلف المخاطب أن يجمع بين الشئيين في الإباحة، وليس له ذلك في التخيير، يفعل أحد الشئيين ويترك الآخر، وإن تركهما معاً عوقب أو ذم، وكذلك إن جمع بينهما^(٢). وتظهر هذه الفائدة في الأحكام الشرعية في علم الأصول.

وإذا دخل النهي على التخيير والإباحة امتنع فعل الجميع، إذ النهي عما كان مباحاً^(٣).

(١): ابن عطية، المحرر الوجيز، ١/٣٢٤.

(٢): المالقي، رصف المباني، ص ٢١٠.

(٣): سيبويه، الكتاب، ١/٤٨٩. المبرد، المقتضب، ٣/٣٠١. ابن هشام، المغني، ١/٦٠.

نظير قوله تعالى: (ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً) [الإنسان/٢٤]
والنهي عن طاعة كل واحد منهما أبلغ من النهي عن طاعتهما؛ لأنه يستلزم النهي عن
أحدهما؛ لأن في طاعتهما طاعة أحدهما^(١).
فإنه تعالى نهى إطاعة الآثم والكافر كلاهما، فدلّت (أو) على أن كل واحد منهم أهل أن
يعصى ولا يطاع.

ثالثاً - الشك

أحد أبرز معاني (أو)، بل قيل إنه معناها الحقيقي، وتقع في سياق الخبر، والمتكلم في
حال الشك لا يعرف التعيين، بل هو متردد فيما أخبر به. وهذا الأمر لا يصح نسبته إلى
كلام الله تعالى، ولذلك فإن دلالة الشك في القرآن تفسر بإحدى معنيين:

- الشك المنسوب إلى المتكلم على سبيل الحكاية الأردنية.
- تشكيك السامع بأمره، قصده المتكلم مع علمه به على وجه التعيين^(٢).

- نحو قوله تعالى: (قال لبثت يوماً أو بعض) [البقرة/٢٥٩]
للشك من المتكلم^(٣). فالمتكلم لم يعلم مدة نومه الحقيقية ظناً منه أنه لم يلبث إلا يوم أو
بعض يوم، إلى أن أخبر بمدة لبثه الحقيقية.

- وقوله تعالى: (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) [الصافات/ ١٤٧]
فسرت (أو) هنا بمعنى (بل)، و(أو) هنا على أصلها، والمعنى: أو يزيدون في تقديركم إذا
رأهم الرائي قال هؤلاء مائة ألف أو يزيدون، فالشك وقع من كلام المخلوقين لمّا رأوه^(٤).

- وقوله تعالى: (فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون) [الذاريات/ ٣٩]

(١): أبو حيان، البحر، ٤٠١/٨. وانظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٤٩/١٩.

(٢): محمد الشريف، معجم حروف المعاني، ٤٣٣/١.

(٣): ابن هشام، المغني، ٥٩/١.

(٤): الشوكاني، فتح القدير، ٥١٣/٤.

هذا ما قاله فرعون في حق موسى هو ساحر أو مجنون، فردّد فيما رآه من أحوال موسى بين كونه ساحراً أو مجنوناً، وهذا من اللعين مغالطة وإيهام لقومه، فإنه يعلم أن ما رآه لا يتيسر لساحر^(١). وإنما أراد تشكيك قومه.

- وقوله تعالى: (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) [النازعات/٦٤] أي حين يرى المشركون الساعة فكل حياتهم لا تكون إلا قدر آخر نهار أو أوله^(٢). فالتشكيك في حق السامع، وفائدة (أو) التقليل من مدة الدنيا. فمن هول ما رآه يحسب الكافر أنه لم يمض على حياته أكثر من نهار أو أقل.

الرابع - الإبهام

تقع في سياق الخبر، والمخاطب في هذه الحالة خالي الذهن، ويورد المتكلم كلمة (أو) في السياق إبهاماً للأمر عليه أو صوناً عن الخطأ. والمتكلم في حال الإبهام يعرف الأمر على وجه التعيين، لكنه أبهمه على السامع لغرض في نفسه^(٣). فالإبهام لا يكون إلا في حق السامع دون المخبر.

- نحو قوله تعالى: (فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية) [النساء/٧٧] ذكر أن (أو) على بابها من الشك، وقيل للإبهام على المخاطب^(٤). والذي يبدو أن (أو) للتويع على معنى أن خشية بعضهم كخشية الله وخشية بعضهم أشد منها^(٥). وإن كانت بينت أن هناك من يخشى الناس عند القتال لدرجة خشية الله ومنهم من يفوق الخشية لديه على ذلك.

- وقوله تعالى: (قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة) [الأعنام/٤٠]

(١): المرجع السابق، ١١١/٥.

(٢): انظر: الزمخشري، الكشاف، ٦٨٦/٤.

(٣): محمد الشريف، معجم حروف المعاني، ٤٣٣/١.

(٤): أبو حيان، البحر المحيط، ٢٩٨/٣.

(٥): الشوكاني، فتح القدير، ٦١٧/١.

(أو) تبدو في ظاهرها للإبهام، فالمشركون لا يعلمون نوع العذاب الذي سيحل بهم، هل سيكون عذاباً يأخذهم الله به أو أنه قيام الساعة ليحاسبهم الله. فهو تهديد لهم من أن حالهم لا تخلو عن أمرين إما العذاب وإما الساعة.

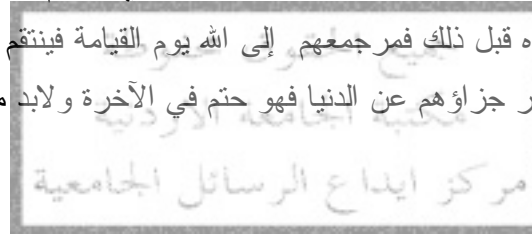
- وقوله تعالى: (إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء)

[سبأ/٩]

معنى (أو) الإبهام، فالله تعالى لم يخبر عن نوع العذاب الذي سيحل بهم ولم يحدد، مع علمه به تعالى، ولكن تهديداً لهم ووعداً بأن أي عذاب سيكون من الله شديداً.

- وقوله تعالى: (فإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك) [غافر/٧٧]

(أو) للإبهام. فالله تعالى قد أبان لنبيه أنه إما يريه بعض الذي يعدهم من العذاب وهو القتل والأسر يوم بدر. أو يتوفاه قبل ذلك فمرجمهم إلى الله يوم القيامة فينتقم منهم أشد انتقام^(١). وهو تسلية للنفس فإن تأخر جزاؤهم عن الدنيا فهو حتم في الآخرة ولا بد منه.



الخامس - التفصيل

وهي حالة لا يوجد شك فيها ولا إبهام ولا تخيير ولا إياحة، وتكون لعرض أخبار متباينة، مثل: زيد منطلق؛ أو عمرو جالس. ويطلق على هذه الحالة اسم العرض أو التفصيل أو التعريف المجرد من الشك والإبهام والتخير^(٢).

- نحو قوله تعالى: (فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف

بهما) [البقرة/١٥٨]

(أو) للتفصيل، يبين رفع الجناح في الطواف بين الصفا والمروة. وذلك في الحج والعمرة. وقد تحرج المسلمون من الطواف بهما، لأنهم كانوا في الجاهلية يهلون لأصنامهم عندهما.

- وقوله تعالى: (ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر) [البقرة/١٨٥]

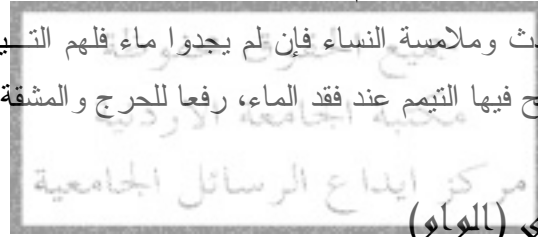
(١): الزمخشري، الكشاف، ٤/١٧٥. وانظر تعليق ابن المنير عليه، ٤/١٧٥.

(٢): محمد الشريف، معجم حروف المعاني، ١/٤٣٣.

(أو) للتبوع^(١). فالآية بينت ووضحت الأعذار التي تبيح الفطر في رمضان .ولم يقصد منها التخيير أو غير ذلك.

- وقوله تعالى: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفين مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) [آل عمران/١٤٤]
 (أو) للتفصيل ، فالآية تنكر على من يرتد على عقبه إذا مات الرسول أو قتل ، والرسول - صلى الله عليه وسلم -كغيره من الرسل ، لكنه لا يموت قتلاً .

- وقوله تعالى: (وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا) [النساء/٤٣]
 بينت الآية الحالات التي يجوز فيها التيمم عند فقد الماء فلا يمكن الاغتسال، وهي حالة المرض والمسافر والمحدث وملامسة النساء فإن لم يجدوا ماء فلهم التيمم. و(أو) أفادت التفصيل. فهي حالات أبيح فيها التيمم عند فقد الماء، رفعا للخرج والمشقة.



السادس- (أو) بمعنى (الواو)

تكون (أو) في هذه الحالة لمطلق الجمع. وهي بهذا المعنى قريبة من معنى الإباحة، ولكنها أكثر شمولاً، ولذلك قالوا إنها تشبه الواو في دلالتها على مطلق الجمع^(٢). فقربت (أو) من معنى الواو، بدلالاتها على الجمع. فكانت أوسع من الإباحة.

- وقوله تعالى: (وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم) [الأعراف/١٦٤]

هذا القول قالته جماعة لمن وعظ من اعتدى في السبت، بأن حالهم إما أن يهلكهم الله في الدنيا بمعصيتهم إياه واستحلالهم ما حرم عليهم أو يعذبهم في الآخرة. فالله تعالى مهلكهم في الدنيا ومعذبهم في الآخرة عذاباً شديداً. فمن هنا أفادت معنى الجمع. فحالهم لا يخلو إما الهلاك وإما العذاب، لكن قيلت (أو) لأنه لا يُعلم أي واحد منهما سيعاقبهم الله به. فهي أقرب إلى الشك - والله أعلم -.

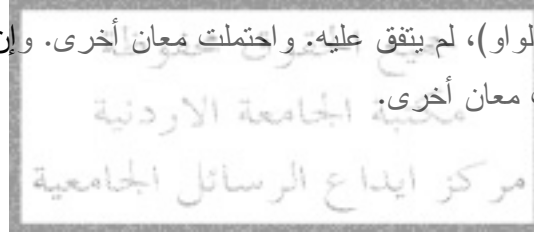
(١): أبو حيان، البحر المحيط، ٣٢/٢.

(٢): محمد الشريف، معجم حروف المعاني، ٤٣٤/١.

- وقوله تعالى: (قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم) [يوسف/٢٥]
قول امرأة العزيز عندما رآها زوجها على تلك الحالة، أنت بهذا القول الذي يبرئها، بأنه لا جزاء لمن أراد بأهله سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم.
فأو للتنويح^(١). وليست للجمع.

- وقوله تعالى: (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) [المجادلة/٢٢]
(أو) للتفصيل^(٢). بينت أن من يؤمن بالله واليوم الآخر لا يواد من حاد الله ورسوله ولو كانوا أقرب الناس له، وبينت درجات القرابة من الأعلى إلى الأدنى.

فالقول بأن (أو) بمعنى (الواو)، لم يتفق عليه. واحتملت معان أخرى. وإن كان في طياتها معنى (الجمع). لكنها أدت معان أخرى.



السابع - الإضراب

يرى الكوفيون أن (أو) تأتي للإضراب بمعنى (بل). وقد اشترط بعض النحاة شرطين حتى تكون (أو) كذلك، وهما:
- تقدم نفي أو نهي عليها.
- إعادة العامل.

ولكن بعضهم أطلق هذه الدلالة وجعل المعنى هو الحكم فيها. وأوردوا شواهد عليها من القرآن الكريم^(٣).

وكل ما قيل فيه إن (أو) للإضراب بمعنى (بل) في القرآن محتمل معاني أخرى^(٤). نحو:

(١): الألو سي، روح المعاني، ٢١٨/١٢.

(٢): أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٢٢٤/٨.

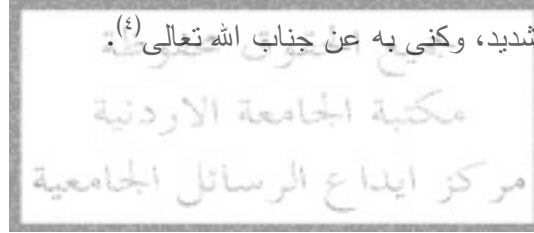
(٣): محمد الشريف، معجم حروف المعاني، ٤٣٤/١.

(٤): عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن، ٦٥٠/١.

- قوله تعالى: (فكان قاب قوسين أو أدنى) [النجم/٩]
 قيل إن (أو) بمعنى (بل): أي بل أدنى^(١). و(أو) هنا على بابها، أي قاب قوسين أو أدنى على تقدير كـم. والمراد تحقق استماعه لما أوحى إليه.

- وقوله تعالى: (إلا كلمح البصر أو هو أقرب) [النحل/٧٧]
 قيل إن (أو) بمنزلة (بل)، ولكنها للتمثيل. فأمر الساعة لتحقيق وقوعه وقربه جعل كلمح البصر أو تكون أقرب من ذلك. لأن مدة ما بين الخطاب وقيام الساعة متناه^(٢).

- وقوله تعالى: (قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد) [هود/٨٠]
 (أو) عطفت فعلية على فعلية (المصدر المؤول فاعل الفعل محذوف)^(٣).
 ويجوز على رأي الكوفيين أن تكون (أو) بمعنى (بل) ويكون قد أضرب عن الجملة السابقة،
 وقال: بل آوي إلى ركن شديد، وكنى به عن جناب الله تعالى^(٤).



(١): الشوكاني، فتح القدير، ١٣٢/٥.

(٢): المرجع السابق، ٢٢٥/٣.

(٣): أبو حيان، البحر، ٢٤٧/٥.

(٤): انظر: العكبري، إملاء ما من به الرحمن، ٢٣/٢.

المطلب الخامس- (بل) وأثرها في التفسير

(بل) تأتي في الكلام للإضراب عن الأول: إما تركاً له وأخذاً في غيره لمعنى يظهر له، وإما لغلطه بذكر لفظ وأنت تريد غيره، وهذا لا يقع في القرآن ولا في فصيح كلام في حال تبليغ.

وإما النسيان، وهو أيضاً لا يصح في القرآن ولا في كلام مبلغ عن الله تعالى^(١).

(وبل) العاطفة تكون حرفاً مشركاً ما بعده مع ما قبله في اللفظ، وهو الاسمى في الأسماء، والفعلية في الأفعال، والرفع والنصب والخفض والجزم. ولا تشرك في المعنى؛ لأن الفعل لأحدهما دون الآخر، وهو الثاني سواء أكان الأول موجبا أم منفيًا^(٢).

وقال جمهرة النحاة والمفسرين إن (بل) في القرآن الكريم لم ترد حرفاً للعطف، بل جاءت حرف ابتداء غير عاطف. لكن قد تفيد العطف إذا كانت واردة بعد حكاية قوم آخرين لتخطئة كلامهم، وإثبات الخبر أو الحكم أو الصواب. و(بل) بهذا المعنى تبدأ كلاماً جديداً، أو ترد على سبيل التأكيد لما ورد في السياق، وهي في هذه الحالة بمعنى (إن)^(٣).

ومن الآيات التي ذهب إلى أنها تحتل العطف بـ(بل):

- قوله تعالى: (أَوْ كَلِمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) [البقرة/١٠٠]

يحتمل أن يكون من عطف الجمل، وهو الظاهر، فيكون (أكثرهم) مبتدأ و (لا يؤمنون) خبر عنه، والضمير في (أكثرهم) عائد على من عاد عليه الضمير في (عاهدوا) وهم اليهود. ومعنى هذا الإضراب هو انتقال من خبر إلى آخر.

وقيل: يحتمل أن يكون من باب عطف المفردات، ويكون (أكثرهم) معطوفاً على (فريق) أي نبذه فريق منهم بل أكثرهم، ويكون قوله (لا يؤمنون) جملة حالية^(٤).

(١): المالقي، رصف المباني، ص ٢٣٠. وانظر: (بل) في: المبرد، المقتضب، ٣/٣٠٥. المرادي، الجنى، ص ٩٣

(٢): المالقي، رصف المباني، ص ٢٣٠-٢٣١.

(٣): محمد الشريف، معجم حروف المعاني، ٢/٤٧٩.

(٤): أبو حيان، البحر، ١/٣٢٤.

فالقول أنه من عطف الجمل يدل على أخلاق اليهود بأنهم كلما عاهدوا عهداً نبذوه فريق منهم وليس فقط هذا بل أكثرهم لا يؤمنون من اليهود. وهو الذي يوضح سوء خلقهم أكثر من القول بعطف المفردات.

- قوله تعالى: (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا) [البقرة/١٧٠]

(بل) هاهنا عاطفة جملة على جملة محذوفة، التقدير: لا نتبع ما أنزل الله، بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا، ولا يجوز أن يعطف على قوله: (اتبعوا ما أنزل الله) (١). فعطف ما بعدها على جملة محذوفة مقترنة، وفيه إشارة إلى عناد وكبر الكافرين والتقليد الأعمى لديهم.

- وقوله تعالى: (قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام) [البقرة/٢٥٩]

(بل) لعطف هذه الجملة على جملة محذوفة. التقدير: ما لبثت هذه المدة بل لبثت مائة عام (٢). فقدّر العطف على جملة محذوفة. وجاءت لتقرر المدة وتضرب عن سابقها بيانا لعجيب قدرة الله وصنعه، وفي ذلك آية للمتفكرين.

- قوله تعالى: (بلى قادرين على أن نسوي بنانه* بل يريد الإنسان ليفجر أمامه) [القيامة/٤-٥]

(بل يريد) عطف على (أيحسب) فيجوز أن يكون مثله، استفهاماً، وأن يكون إيجاباً. على أن يضرب عن مستفهم عنه إلى آخر. أو أن يضرب عن مستفهم عنه إلى موجب (٣).

فعطف على استفهام، ولكن ظاهرها ليس استفهام، فهو إضراب عن استفهام إلى إيجاب.

- وقوله تعالى: (أفبعينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد) [لق/١٥]

عطف على مقدر يقتضيه السياق يدل عليه ما قبله، كأنه قيل: هم غير منكربن لقدرتنا على

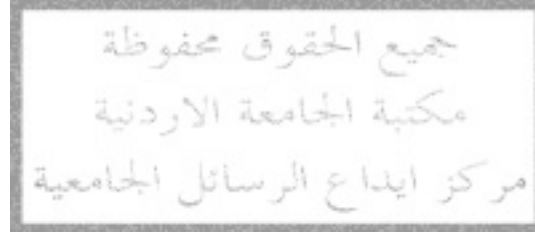
(١): أبو حيان، البحر: ٤٨٠/١.

(٢): المرجع السابق، ٢٩٢/٢.

(٣): الزمخشري، الكشاف، ٦٧٤/٤.

الخلق الأول، بل هم في خلط من خلق جديد^(١).

فالكفار لم ينكروا قدرة الله على الخلق الأول لكنهم في خلط وشبهة من قدرة الله على إعادة إحيائهم من جديد.



(١): الجمل، حاشيته على الجلالين، ٤/١٨٧.

المطلب الثالث: (على) وأثرها في التفسير

هو من الحروف المشتركة بين الأسماء والحروف، وغرضي هو الحرف. (فعلى) من حروف الجر يجر الأسماء، وله عدة معان:

الأول - الاستعلاء

ولم يثبت لها أكثر البصريين غيره، وجعلوا ما أوهم خلافه من باب الاتساع أو تألوله^(١).

والاستعلاء يكون حساً و حقيقة، كقوله تعالى: (كل من عليها فان) [الرحمن/٤٦] أي كل من على الأرض هالك^(٢)، فالأرض يستعلى عليها والحياة عليها، وكأن فيه إشارة إلى عدم التمكن والاستقرار في الأرض، فنهاية الأمر مهما طال الوقت هو الهلاك والموت.

ويكون الاستعلاء معنى، نحو قوله تعالى: (ولهم عليّ ذنب) [الشعراء/١٤] . فالاستعلاء ليس حقيقياً أو حسياً، وإنما معنوي، لتدل على ما يشعر به موسى - عليه السلام - من ثقل هذا الذنب كأنه مستعل عليه.

- وقوله تعالى: (أو أجد على النار هدى) [طه / ١٠].

الاستعلاء يكون على ما يقرب من المجرور، وهو مستعمل في الاستعلاء المجازي، أي شدة القرب من النار قرباً أشبه الاستعلاء، فصار حقيقة عرفية في الاستعلاء على مكان ملاصق لها^(٣).

فوجود النار يدل على وجود أناس عندها، يرشدونه أو يجد عندها ما يرشده. وأجرى الله على لسان موسى معنى هذه الكلمة إلهاماً إياه أنه سيجد عند تلك النار هدى عظيماً، ويبلغ قومه ما فيه نفعهم^(٤). وهي إشارة من المعنى الذي أفادته (على) من الاستعلاء.

(١): عبدالنعيم علي محمد، الجر علم الأسماء، ٤٧٠/١.

(٢): الشوكاني، فتح القدير، ١٦٩/٥.

(٣): انظر: الألوسي، روح المعاني، ١٦٦/١٦. أبو حيان، البحر المحيط، ٢١٦/٦.

(٤): ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٩٥/١٦.

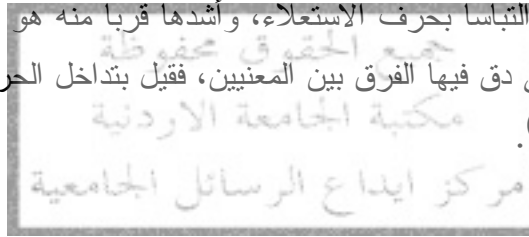
- وقوله تعالى: (الرحمن على العرش استوى) [طه/٥].

دار الخلاف في معنى (على) في هذه الآية، هل (على) حقيقة تفيد الاستعلاء أم مجاز؟ فذهب جماعة من المفسرين إلى القول بأن الاستعلاء مجازي والاستواء كناية عن الاستيلاء وشدة الحكم. والذي عليه السلف الصالح إثبات صفات الله تعالى بما يليق بجلاله، من غير تشبيه ولا تجسيم ولا تعطيل ولا تأويل.

وأطال الألويسي في هذه الآية وذكر أقوال العلماء فيها وتفسير معنى الاستعلاء والاستواء فيمكن النظر^(١).

الثاني - بمعنى (في)

أكثر الحروف التباساً بحرف الاستعلاء، وأشدّها قراباً منه هو حرف الوعاء، فهناك الكثير من المواضع التي دق فيها الفرق بين المعنيين، فقليل يتداخل الحرفين. وكان للمفسرين نصيب من هذا القول^(٢).



- نحو قوله تعالى: (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها) [القصص/١٥].

قيل: على ظرفية بمعنى (في)^(٣). وذكر في اللسان: كان كذا على عهد فلان، أي في عهده^(٤). ولكن ما تفيد (في) من ظرفيتها بالتمكن من الشيء والتداخل فيه، لا تفيد (على) من الاستعلاء والارتفاع وعدم التمكن كما في حرف (في).

وذكر القرطبي أن دخول (على) في هذه الآية يوضح أن الغفلة هي المقصودة^(٥). فهي على بابها. فموسى - عليه السلام - عندما دخل المدينة لم تكن الغفلة متمكنة من أهل المنطقة، ولم يكن الجميع في وقت راحة، بدليل ما حدث حينما دخل المدينة فوجد فيها رجلين يقتتلان.

(١): انظر: الألويسي، روح المعاني، ١٦/١٥٣-١٦١.

(٢): انظر: الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ٥٧.

(٣): الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٤/٢٨٤.

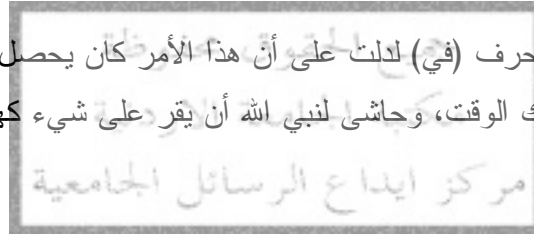
(٤): ابن منظور، اللسان، مادة علا، ص ٣٠٩٢.

(٥): القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٣/٢٦٠.

- ونحو قوله تعالى: (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان) [البقرة/١٠٢] قالوا: على بمعنى (في)، أو ضمن الفعل معنى (تتقول)^(١). وإن كان لا يوجد حاجة إلى القول بأن على معنى (في) أو تضمين الفعل، فعلى تعطي معنى زائداً وهو الدلالة على ما ألحقته الشياطين من افتراء على ملكه، وتشويه الحقائق، وطمس معالم الإعجاز الإلهي بتسخير الجن لسليمان، وخلق خوارق القدرة الإلهية بأباطيل السحر، وفتن المشعوذين.

و(على) تدل بطبيعة الاستعلاء على الضرر، وتحميل مجرورها أثقالاً حسية أو معنوية فالاستعلاء هنا على سبيل التجوز، باعتبار أن ما نسب إلى سليمان وعهده بمثابة تحميله أوزاراً تسيء إلى ملكه. وفيه إشارة إلى تزييف التاريخ، وتشويه معالم الأمم، خاصة فيما يتعلق منها بوجي السماء، إنما هو من فعل الشياطين وعبد الطاغوت^(٢).

فلو كانت الآية بحرف (في) لدلت على أن هذا الأمر كان يحصل في عهد سليمان ومقر عليه، ومعروف في ذلك الوقت، وحاشى لنبي الله أن يقر على شيء كهذا. فهو تقول واختلاق وافتراء عليه.



- وقالوا في قوله تعالى: (أفتمارونه على ما يرى) [النجم/١٢]. قال الألويسي: (عدى الفعل بعلى، وكان حقه أن يعدى بفي، لتضمينه معنى المغالبة، فإن المجادل والجادد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم)^(٣).

فالمرء مجادلة وملاحاة^(٤)، والمغالبة جاءت من ما يشيعه حرف الاستعلاء من محاولة من يجادل غلبة خصمه، والتغلب عليه بكل الوسائل^(٥). فالكفار جادلوا الرسول - صلى الله عليه وسلم - مستعلين عليه، يصفونه بالكذب بكل ما يقوله، ومع أنه هو: صلى الله عليه وسلم - من رأى لا هم، فكان حكم من رأى يسري على من لم يرى، ولكنهم عاندوا وغالبوا.

(١): أبو حيان، البحر، ١/٣٢٦. الجمل، حاشيته على الجلالين، ١/٨٦. الزركشي، البرهان، ٤/٢٨٥.

(٢): انظر: الخصري، من أسرار حروف الجر، ص ٦٧-٦٨.

(٣): الألويسي، روح المعاني، ٢٧/٥٠.

(٤): الزمخشري، الكشاف، ٤/٤١٠.

(٥): انظر: الخصري، من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، ص ٦٥-٦٦.

الثالث- المصاحبة

ذكر أبو حيان في البحر المحيط أن (على) تأتي بمعنى المصاحبة^(١) ، ومثل لذلك بقوله تعالى:

- (وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى) [البقرة/١٧٧].

ف قيل : (على) بمعنى (مع)^(٢). (على) كما هو معلوم تفيد الاستعلاء، و(مع) تفيد المصاحبة، فلو قال: وأتى المال مع حبه، لدل أنه يعطي المال مع حبه للإعطاء إن كان الضمير يعود على آتى، وإن كان الضمير يعود على المال فإنه يدل أنه يعطي المال مع بقاء حب المال، كأن في نفسه شيء.

ولكن (على) بما فيها من الاستعلاء، جاءت أبلغ في المدح، فهؤلاء هم الذين آمنوا بالله تعالى، وقاموا بما أمرهم به، وكان من ضمنها بذل المال، الذي تحبه النفس وتميل إليه، وكان حب الله قد غلب حب المال وشهوته، فكانت (على) رمز ارتفاع واستعلاء حب الله على أي حب سواه حتى لو كان المال.

وكان ابن عباس رضي الله عنهما -يلمح إلى هذا الغرض، حيث قال: (البر بعد الإيمان إعطاء المال على حبه، على قلبه وشهوته)^(٣).
فعلى أبرزت ما لا يبرزه (مع) من مدح المؤمنين الذين فاق تحبهم الله تعالى، على أكبر شهوات الدنيا وهو المال.

- وقالوا في قوله تعالى: (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع

الدعاء) [إبراهيم/٣٩].

قال الزمخشري: (على) في قوله: على الكبر) بمعنى مع^(٤). وخالفه أبو حيان بأن (على) على بابها وأصلها من الاستعلاء، ولكنه على سبيل المجاز. و(على الكبر) في موضع الحال، كأنه قال وأنا كبير، فالاستعلاء مجازي، إذ الكبر معنى لا جرم يتكون، وأنه لما أسن وكبر صار مستعلياً على الكبر^(٥).

(١): أبو حيان، البحر المحيط، ٢٢/١.

(٢): الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٢٨٤/٤.

(٣): تنوير المقياس من تفسير ابن عباس، ص ١٩.

(٤): الزمخشري، الكشاف، ٣٨١/٢.

(٥): أبو حيان، البحر المحيط، ٣٣٤/٥.

لكن اعترض بعضهم وقال: لو كانت للاستعلاء لكان الأنسب جعل الكبر مستعلياً عليه، كما في قولهم: "عليّ دين، وقوله: "ولهم عليّ ذنب" بل الكبر أولى بالاستعلاء منهما، حيث يظهر أثره في الرأس^(١).

ولكن ما السر وراء حرف الاستعلاء، وما الذي أعطاه من معنى؟ من المعلوم أن الكبر يمنع في العادة الإنجاب، وهو سبب في الظاهر قاهر، إلا أن الله تعالى شاء أن يخرق ما جرت به العادة، إذ لا على عظيم قدرته وإطلاق يده فيما خلق، وتكريماً لمن خرقت من أجله النواميس، وحطمت بسببه ظواهر العادات، مما جعل إبراهيم - عليه السلام - يلهج لسانه ثناء على الله وشكراً له^(٢).

فالاستعلاء المجازي قدرة الله وإرادته، التي ألغت قاعدة أن الكبر يمنع الإنجاب. وهذا أدل على قدرة الله تعالى من القول أنها بمعنى (مع) الذي يعطي معنى المصاحبة.

- وقوله تعالى: (ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثالث وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب) [الرعد/٦].

فسرت (على) بمعنى (مع) في قوله تعالى " على ظلمهم"^(٣). فالمعنى على هذا القول: يغفر مع ظلمهم أنفسهم باكتساب الذنوب^(٤).

وهذا المعنى يفقد حرف الاستعلاء دلالته على فيض الرحمة الإلهية، وغلبتها على موجبات غضبه سبحانه، دليلاً على سبق الرحمة، ولطف الله بعباده وغلبة الرجاء على موجبات الانتقام^(٥).

قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: (ليس في القرآن أرجى من هذه الآية)^(٦). فدل حرف الاستعلاء على تغلب الرحمة والمغفرة على العذاب، وهو فضل من الله عظيم.

(١): الألويسي، روح المعاني، ١٣/٢٤١-٢٤٢.

(٢): الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ٧٢.

(٣): الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٤/٢٨٤.

(٤): أبو حيان، البحر المحيط، ٥/٣٦٦.

(٥): انظر: الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ٧٤.

(٦): الثعالبي، جواهر الحسان في تفسير القرآن، ٢/٢٦٥.

الرابع - التعليل

فتكون على كاللام، ذكره ابن مالك^(١)، وابن هشام^(٢)، والمرادي^(٣). نحو قوله تعالى:

- (ولتكبروا الله على ما هداكم) [البقرة/١٨٥].

ف قيل : (على) بمعنى اللام للتعليل^(٤). وذكر أبو حيان أن (على) تتعلق بتكبروا وفيها إشعار بالعلية، كما تقول: أشكرك على ما أسديت إلي. وهو تفسير معنى لا تفسير إعراب، إذ لو كان تفسير إعراب لم تكن على متعلقة بتكبروا المضمنة معنى الحمد، إنما كانت تكون متعلقة بحامدين التي قدرها^(٥).
والقول بالتضمين لا يعطي سر الحرف، وإنما يبرر صحة تعدي الفعل بعلى.

ففي هذه الآية حديث عن نعمة التخفيف ورفع المشقة والحرص بتيسير العبادة، حيث رخص للمريض والمسافر الإفطار في رمضان رحمة بهما، دون أن يحرمهما فضل الصيام متى زال المانع منه. فهذه نعمة عظيمة تستوجب الشكر، وهذا ما يوحي به حرف الاستعلاء^(٦). وتفضل الله على عباده بجعل الحمد على النعمة أفضل منها، فقال عليه الصلاة والسلام: (ما أنعم الله على عبد نعمة فقال الحمد لله؛ إلا أعطاه أفضل مما أخذ)^(٧).

فالدول إلى حرف الاستعلاء، هو إبراز عظم فضل الله تعالى، وما يستوجبه ذلك من مقابلة هذا الأمر العظيم بأمر يقابله هو الحمد والشكر والثناء على الله تعالى، والمداومة على ذلك.

- وقوله تعالى: (والسلام على من اتبع الهدى) [طه/٤٧].

قيل (على) بمعنى اللام^(٨). وعدول النظم عن اللام إلى حرف الاستعلاء، إشارة إلى أن السلام محيط بمن اتبع هدى الله، يغشاهم ويتجللهم، وذلك أبلغ من اللام.

(١): ابن مالك ، التسهيل، ص١٤٦.

(٢): ابن هشام، المغني، ١/١٢٦.

(٣): المرادي، الجنى الداني، ص٤٧٧.

(٤): الزركشي، البرهان، ٤/٢٨٤.

(٥): أبو حيان، البحر المحیط، ٢/٤٤.

(٦): انظر: الألويسي، روح المعاني، ٢/٢٣-٢٤. ابن القيم، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن، ص٣٩.

(٧): أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الأدب، ٢/٣٨٠٢.

(٨): أبو حيان، البحر المحیط، ٦/٢٤٧.

فإن ما علاك أحاط بك^(١). فعلى أبلغ من اللام الذي يفيد الاختصاص كأن السلام يحيط بهم معهم دائماً. وهذا أقوى من لام الاختصاص.

- وقوله تعالى: (هاأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) [آل عمران/١١٩].

فسر الألوحي معنى (عضوا عليكم) أي لأجلكم^(٢). وهذا التفسير لا يعطي ما تصوره (على) من امتلاء قلوب المنافقين غيظاً وحقدًا، ومن شدة غيظهم أخذوا يعضون أناملهم، لعلمهم يفرغون ما في قلوبهم من حقد وكرهية.

الخامس - موافقة (من)

قاله بعض النحويين^(٣). في قوله تعالى: (ويل للمطففين * الذين إذا اکتالوا على الناس يستوفون) [المطففين/١-٢]. مكتبة الجامعة الأردنية

ذهب الفراء إلى أن (من) و(على) يتعاقبان هنا: اکتلت على الناس واکتلت من الناس^(٤). والبصريون يذهبون إلى التضمين، أي إذا حكموا على الناس في الكيل^(٥). ولكن لا حاجة إلى القول بالتضمين، ولا القول بأن على بمعنى (من)، وأحسب ان قول الزمخشري يوضح هذا الأمر: (لما كان اکتيالهم من الناس اکتيالاً يضرهم، ويتحامل فيه أبدل (على) مكان (من) للدلالة على ذلك)^(٦).

فالحرف (على) بما فيه من استعلاء يوحي بالتحامل والغبن والإضرار بمن تعامل معهم، ولو أن الفعل عدي (بمن) لما دل على هذه المجاوزة في الظلم والاكتيال. ف(من) تعطي أنهم استوفوا حقوقهم من غير زيادة ولا غبن، على عكس (على).

(١): انظر: الألوحي، روح المعاني، ٢/٢٣-٢٤. ابن القيم، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن، ص ٣٩.

(٢): الألوحي، روح المعاني، ٤/٩٣.

(٣): ابن مالك، التسهيل، ص ١٤٦. ابن هشام، المغني، ١/١٥٦.

(٤): الفراء، معاني القرآن، ٣/٢٤٦.

(٥): المرادي، الجنى الداني، ص ٤٧٨.

(٦): الزمخشري، الكشاف، ٤/٢١٠.

- ومنه في قوله تعالى: (والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم) [المؤمنون/٥-٦]

ذهب الفراء إلى أن على بمعنى (من) ، أي المعنى: إلا من أزواجهم اللاتي أحل الله لهم^(١). وهو جار على مذهبه من القول بتناوب حروف الجر وتبادل مواقعها. وذهب أبو حيان إلى تضمين الفعل، وهو الأولى لديه. ضمن حافظون معنى ممسكون أو قاصرون، وكلاهما يتعدى بعلى^(٢).

فسر الزمخشري الآية بما يظهر معنى الاستعلاء، وبما يدل على علو مكانة الرجل، وحقه في القوامة، وواجبها في طاعته، حيث قال: (على أزواجهم) في موضع الحال، أي الأولين على أزواجهم، أو قوامين عليهن، من قولك: كان فلان على فلانة، فمات عنها، فخلف عليها فلان.

ونظيره: كان زياد على البصرة، أي والياً عليها، ومنه قولهم: (فلانة تحت فلان، ومن ثم سميت المرأة فراشاً)^(٣). جميع الحقوق محفوظة

فهل يفيد حرف الابتداء ما أفاده الاستعلاء؟ الأردنية

مركز أبحاث الرسائل الجامعية

- وقوله تعالى: (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة) [النساء/١٧].

قيل: (على) بمعنى (من)^(٤).

والقول بأن (على) نائبة عن حرف الابتداء، لا يدل ولا يعطي ما توحيه (على) من سعة كالرحمة وفتح باب المغفرة والتوبة، وهذا تفضل من الله على عباده. إذ أوحى بتأكيد قبول التوبة بما تحمله من استعلاء وتفضل. فالله أشد فرحة بتوبة عبده.

فهل التوبة من الله تعطي ما دلت عليه (على) من وعد الله المحقق بقبولها^(٥).

الساحس - (على) وحرفه الانتهاء

هناك مواضع اقتضى ظاهرها أن تتعدى بالي، ولكن عدل عنه إلى حرف الاستعلاء،

منها:

- قوله تعالى: (فتنادوا مصبحين * أن اغدوا على حرتكم إن كنتم صارمين) [القلم/٢١-٢٢].

(١): الفراء، معاني القرآن، ٢/٢٣١.

(٢): أبو حيان، البحر المحيط، ٦/٣٩٦.

(٣): الزمخشري، الكشاف، ٣/٢٦.

(٤): أبو حيان، البحر المحيط، ٣/١٩٧. الألويسي، روح المعاني، ٤/٢٣٨.

(٥): انظر: الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ٩٧

علل الزمخشري هذا الأمر بقوله: (فإن قلت: هلا قيل: اغدوا إلى حركم؟ وما معنى على؟ قلت: لما كان الغدو إليه ليصرموه ويقطعوه كان عدوا عليه، كما نقول: غدا عليهم العدو، ويجوز أن يُضمن الغدو معنى الإقبال، كقولهم: يغدى عليه بالجفنة ويراح، أي فأقبلوا على حركهم باكرين)^(١).

فالتعليل الأول كشف عن سر الحرف وإيثاره على حرف الانتهاء، الذي يعطي مجرد انتهاء الغدو إلى الحرث، دون الزيادة التي يعطيها حرف الاستعلاء، من الصرم والقطع، فكأنهم يقطعون على الناس حقوقهم وينهبوها، كاللصوص وتفضح نيّتهم من العدوان على الحرث منعاً لحقوق الفقراء والمساكين. فهل كان سيؤدي حرف الانتهاء هذا المعنى؟.

- وقوله تعالى: (قال هذا صراط عليّ مستقيم) [الحجر/٤١].

ذكر أن (على) بمعنى (إلى)^(٢). ولكن حرف الاستعلاء أوتر على حرف الانتهاء، لتأكيد الاستقامة والشهادة باستعلاء من ثبت عليه فهو أدل على التمكن من الوصول^(٣).

و(على) مستعملة في الوجوب المجازي، وهو الفعل الدائم الذي لا يتخلف^(٤). وهي عند المعتزلة للوجوب ويقولون به حقيقة؛ لقولهم بوجوب الأصلح عليه تعالى، وقال أهل السنة: إن ذلك وإن كان تفضلاً منه سبحانه إلا أنه شبه بالحق الواجب لتأكد ثبوته وتحقق وقوعه بمقتضى وعده جل وعلا فجاء بـ (على) لذلك^(٥).

(فعلى) أعطت قوة وتأکید على استقامة الطريق أكثر ما تفيده (إلى) من مجرد بيان أن الطريق الموصل إلى الله مستقيم.

- وآية تعدى فيها الفعل نفسه تارة بحرف الانتهاء، وأخرى بحرف الاستعلاء، فأعطى كل منهما معنى يحقق ما هدف إليه القرآن، وهي قوله تعالى: (فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون * ما لكم لا تنطقون * فراغ عليهم ضرباً باليمين) [الصافات/٩١-٩٣].

(١): الزمخشري، الكشاف، ٥٧٨/٤.

(٢): أبو حيان، البحر المحيط، ٤٥٤/٥.

(٣): الألوسي، روح المعاني، ٥١/١٤.

(٤): ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٥٢/١٤.

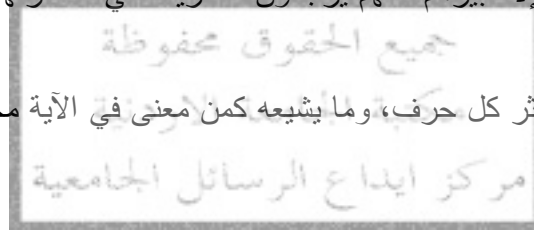
(٥): الألوسي، مرجع سابق، ٥١-٥٠/١٤.

ف قوله (فراغ إلى آلهتهم) ذهب إليها في خفية^(١). أي أنه قصد أصنامهم وسعى إليها دون أن يشعر به أحد خوفاً من صدّه، (فإلى) عبرت عن انتهائه إلى هذه الأصنام.

ولنرى تعديّة الفعل بعلی ماذا أفاد؟ ذكر الراغب معنى هذه الآية مبرزاً الفرق في التعديّة بقوله: (راغ فلان إلى فلان: مال نحوه لأمر يريده بالاحتیال منه، قال: فراغ إلى آلهتهم- فراغ عليهم ضرباً باليمين- أي مال، وحقيقته طلب بضرب من الروغان، ونبه بقوله: (على) على معنى الاستيلاء)^(٢).

فعلی أفادت ما فعله إبراهيم- عليه السلام- بآلهتهم وإغارته عليهم، بفعل متمكن منها، مستعل عليها، ليري قومه قوة الأصنام و الآلهة التي يعبدونها، لعلمهم يرجعون إلى عقولهم التي عطلوها، فلم يبق منها إلا كبيرهم لعلمهم يرجعون له، زيادة في استنارتهم وتسفيها لأفعالهم.

ولعله بهذا يظهر أثر كل حرف، وما يشيعه كمن معنى في الآية محققاً كل ما هدف إليه النظم.



السابع- (معلی) وحرفه الإلصاق

مواطنٌ يبدو فيها إعجاز النظم القرآني في اختيار الحروف ما يظن فيه لأول وهلة أن (على) تؤدي ما تؤديه الباء في موضعها.

- كما في قوله تعالى على لسان موسى- عليه السلام- خطاباً لفرعون: (إني رسول من رب العالمين* حقيق على أن لا أقول معلى الله إلا الحق قد جئتم ببينة من ربكم) [الأعراف/١٠٤-١٠٥].

قال الأخفش: (وقال بعضهم (عليّ ألا أقول) والأولى أحسنها عندنا، أراد: واجب عليّ ألا أقول، والأخرى (أنا حقيق على ألا أقول على الله) يريد: بألا أقول على الله. كما قال (بكل صراط توعدون) في معنى على كل صراط توعدون)^(٣).

(١): الزمخشري، الكشاف، ٥٠١/٤.

(٢): الراغب، المفردات، ص ٢٠٨.

(٣): الأخفش، معاني القرآن، ٣٠٧/٢.

وهذا على طريقة القائلين بتبادل الحروف مواقعها، ومن لم يقل بالتناوب ذهب إلى التضمنين، بأن حقيق مضمن معنى حريص، ليفيد أنه محقوق بقول الحق وحريص عليه^(١).

وكان الزمخشري كشف عن سر النظم في إيثاره لهذا الموضع دون الباء، بعد أن ذكر آراء العلماء في هذه الآية، وذهب إلى وجه رآه أنه الأفضل والأحسن، وهو: أن يغرق موسى في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام. لا سيما وقد روي أن عدو الله- فرعون- قال له لَمَّا قال: إني رسول من رب العالمين. كذبت، فيقول: أنا حقيق على قول الحق، أي واجب علي قول الحق أن أكون أنا قائله، والقائم به، ولا يرضى إلا بمثلي ناطقاً به^(٢).

فالمقام تكذيب من فرعون، وهو يقتضي المبالغة في الرد عليه بما يثبت صدق موسى، مما استدعى أن يقول له ما معناه: إذا لم أكن أنا الذي يقول الحق فمن يقول إذن؟^(٣).

جميع الحقوق محفوظة

- و مما فسر حرف الاستعلاء بأنه بمعنى الباء، قوله تعالى: (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذا أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين) [التوبة/٢٥].

فسر أبو حيان (وضاقت عليكم الأرض) أي ضاقت بكم الأرض مع كونها رحبة واسعة. لشدة الحال عليهم وصعوبتها، كأنهم لا يجدون مكاناً يستصلحونه للهرب والنجاة، لفرط ما لحقهم من الرعب، فكأنها ضاقت عليهم^(٤).

ولكن (الباء) لا تفيد ولا تصور ما أفادته (على)، فالقول: (ضاقت بكم) يعني أن المكان ضاق ولم يعد متسع لهم، فدللت على ضيق المكان فقط، أما مجيء (على) فصور شدة ما لاقاه المسلمون، حتى لكان الأرض عليهم تحاصرهم من شدة الضيق الذي ألم بهم، وشدة الرعب بعد أن ظنوا كثرتهم ستتصرهم، فجاءت الآية لتعطي قاعدة مهمة وتوثق عقيدة الإيمان بأن النصر بيد الله، ولا يغني العدد والعتاد.

(١): السيوطي، معترك الأقران، ١/٢٦٣.

(٢): الزمخشري، الكشاف، ١٠٠/٢-١٠١.

(٣): الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ٨٣.

(٤): أبو حيان، البحر المحيط، ٥/٢٤.

- ومما قيل فيه إن (على) بمعنى (الباء) قوله تعالى: (وما هو على الغيب بضنين) [التكوير/٢٤].

قال الفراء: (وقوله تعالى "وما هو على الغيب بضنين" قال : حدثني قيس بن الربيع عن عاصم ابن أبي النجود عن زربن بن حبيش قال : أنتم تقرؤون (بضنين) ببخيل، ونحن نقرأ (بظنين)^(١) بمتهم ، وقرأ عاصم وأهل الحجاز وزيد بن ثابت (بضنين) وهو حسن يقول: يأتيه غيب السماء، وهو منفوس فيه فلا يضمن به عنكم، فلو كان مكان: على -عن- صلح أو الباء، كما تقول: ما هو بضنين بالغيث. والذين قالوا: بظنين، احتجوا بأن (على) تقوي قولهم، كما نقول: ما أنت على فلان بمتهم، وتقول ما هو على الغيب بظنين: بضعيف، يقول: هو محتمل له، والعرب تقول للرجل الضعيف أو الشيء القليل: هو ظنون^(٢).

فالفراء يجعل حرف الاستعلاء هو الأصل في تعديّة من قرأ بظنين، حتى اتخذها أصحاب هذه القراءة دليلاً لهم، وهو بمعنى الباء في قراءة من قرأ (ضنين) بالضاد.

ولكن هذا القول يجعل من تعدي الفعل خالياً من أي معنى أو غرض إليه النظم.

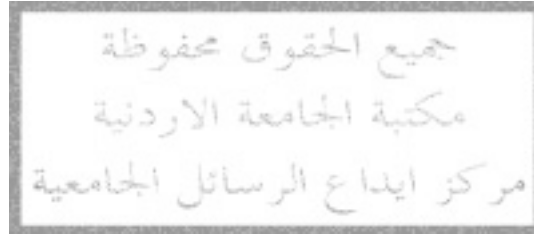
والذي أراه - والله أعلم - أن (على) جاءت لتدل على عدم بخل الرسول بنفسه وجهده على الوحي، ولا يقتدر في تبليغ ما أمر به، فالآية جاءت تأكيداً على صدق ما جاء به الرسول -عليه السلام- مبلغاً عن ربه، ونفي افتراءات المشركين بأن القرآن مفترى، أو قول شاعر أو كاهن، مما يعني أنه لا يوحى إليه، فكان وصف جبريل - عليه السلام - وهو الواسطة بين الله تعالى ورسوله في نقل الموحى به، بصفات تؤكد مكانته وأمانته في إيصال ما أوحى الله إلى نبيه، ثم وصف النبي وهو الذي أوحى الله إليه بصفات تؤكد صدقه فيما يبلغ عن ربه، وأمانته وليس هناك ما يدل على أنه كان يتهم بالبخل وعدم إخبارهم الوحي.

وهذا المعنى - على من قرأ بالضاد- أما من قرأ بالطاء (بظنين) فإن (على) توحى بالافتراء والتقول، لذلك كان نفيه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رداً على قولهم أنه افتراه على ربه.

(١): وهي قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، والكسائي، ورويس. (الدمياطي، إتحاف الفضلاء، ٥٩٢/٢).

(٢): الفراء، معاني القرآن، ٢٤٢/٣-٢٤٣.

وهذا المعنى ذكره الخضري، وهو تحليل يكشف عن سر الحرف ودوره في معنى الجملة، وكيف جاءت (على) في كلتا القراءتين تنفي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بخله بجهده وطاقته على الوحي وتبليغ الدعوة، ونفي تهمة افتراءه وتقلبه على الله^(١).



(١): انظر: الخضري ، من أسرار حروف الجر، ص ٨٠-٨١.

المطلب الخامس: (في) وأثرها في التفسير

(في) حرف جر لما بعده، وهو للوعاء والظروف، وما قُدِّر تقدير الوعاء. وذكر لها عدة معان:

الأول-الظرفية

وهو أصل معانيها، والظرفية إما حقيقية مكانية أو زمانية، أو مجازية^(١). واجتمعتا في قوله تعالى: (الم * غَلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بَضْعِ سِنِينَ) [الروم/١-٤]

والمجازية نحو قوله تعالى: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ) [البقرة/١٧٩] دخول (في) على كلمة القصاص يجعله كالسياج للحياة، وحصنا يحميها. فإنَّ المظروف إذا حواه الظرف صانه عن التفرق، فكان القصاص يحمي الحياة من الآفات^(٢).
فالقصاص رادع يمنع النفس من أن تقدم على القتل، لما ستلاقيه من نفس المصير والجزاء. فهو سبب من أسباب الحياة.

- وفي قوله تعالى: (وَبَعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ) [البقرة/٢٢٨] (في) متعلقة بـ(أحق) أو (بردهن)^(٣). فزمان ومدة التربص كان ظرفاً مجازياً. فلزوج الحق أن يرد زوجه في مدة ذلك التربص.

- وفي قوله تعالى: (فَإِنْ خَرَجْنَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَا فِي أَنْفُسِنَا) [البقرة/٢٤٠]

الآية فيمن توفى زوجها، وأدت عدتها، فلا جناح بعدها في ما فعلنا في أنفسنا. مما لا ينكره الشرع كالتطيب والتزين داخل بيتها.

(١): ابن هشام، المغني، ١/١٤٤-١٤٥. المبرد، المقتضب، ٤/١٣٩. سيبويه، الكتاب، ٢/٣٠٨.

(٢): الألويسي، روح المعاني، ٢/٥١.

(٣): أبو حيان، البحر المحيط، ٢/١٨٨.

(في) أفادت الظرفية المجازية. فالنفس كأنها ظرف لما تقوم به النساء من حقوق لهن، من غير تقييد ولا حرج في ذلك.

الثاني - بمعنى (من)

قيل إنَّ (في) بمعنى (من) ^(١). في قوله تعالى: (وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ) [النساء/٥]

ولكنها ليس كذلك، فهذه الآية فيها دعوة إلى المحافظة على أموال اليتامى وحسن التصرف فيها، والحرص على تنميتها، وهو ما يتطلب العمل فيها بالتجارة والإنفاق عليهم من أرباحها؛ حتى لا تأكلها النفقة.

وهو ما أبان عنه الزمخشري: (وارزقوهم فيها) واجعلوها مكانا لرزقهم؛ بأن تتجروا فيها وتربحوا، حتى تكون نفقتهم من الأرباح لا من صلب المال فلا يأكلها الإنفاق ^(٢).

وهذا ما يقتضيه جعل الأموال نفسها ظرفا للرزق والكسوة.

مكتبة الجامعة الاردنية

- وقوله تعالى: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ) [البقرة/١٤٤]

قيل: (في) بمعنى (من) ^(٣).

لكن في أظهرت شدة إغراق الرسول -صلى الله عليه وسلم- في الدعاء، مقبلاً على الله تعالى، راجياً له متفرغاً في السؤال أن يحقق الله له رغبته في التوجه إلى البيت ^(٤).

فهذا ما يشيعه حرف الظرفية من احتوائه لمظروفه مجازاً، التي أعطت وصورت شدة رغبة النبي -صلى الله عليه وسلم- في أن يتوجه إلى الكعبة، كأن وجهه استقر في السماء لا يشغله ولا يصرفه شيء. ولو كانت بمعنى (من) لأفادت نظر الله من السماء لحال النبي وشتان بين المعنيين.

- وقوله تعالى: (وَيَوْمَ نَبِّئُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ) [النحل/٨٩]

(١): أبو حيان: البحر المحيط، ٣/١٧٠.

(٢): الزمخشري، الكشاف، ١/٤٦٢.

(٣): العكبري، إملاء ما من به الرحمن، ١/٣٨.

(٤): الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ١٣٩

ذهب بعضهم إلى أنّ (في) بمعنى (من) ^(١). لكن الآية توضح أن الشهيد مبعوث فيهم، مما يدل على أنه عاش بينهم وعرف أحوالهم، فتكون الشهادة بذلك أمكن وأوثق، ومن ثم جاء من أنفسهم تأكيداً له ^(٢).

- وقوله تعالى: (أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ) [النمل/٢٥]

يقول الفراء: (يقال هو الماء الذي ينزل من السماء، والنبت من الأرض، وهي في قراءة عبد الله (يخرج الخبء من السماوات) وصلحت (في) مكان (من) لأنك تقول: لأستخرجن العلم الذي فيكم منكم، ثم تحذف أيها شئت، أعني من، وفي فيكون المعنى قائماً على حاله) ^(٣).

والذي يفهم من كلام الفراء أنّ أحد الحرفين ينوب عن الآخر. ولكن القراءة بحرف (في) تدل على قدرة الله على استخراج الخبء المغيب في السماوات والأرض. والذي يزيد على إنزال المطر أو إنبات الأرض. وهو ما فسر به الألوسي الآية بقوله: أي يظهر الشيء المخبوء فيهما كأننا ما كان ^(٤).

الثالث - بمعنى (على)

وذهب إلى كونها تجيء بمعنى (على) المرادي ^(٥)، وابن هشام ^(٦)، وغيرهم ^(٧). وهو مذهب الكوفيين وابن قتيبة.

- نحو قوله تعالى: (وَأَصْلَبَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ) [طه/٧١]

ذهب الفراء إلى أنّ (على) يصلح موضع (في)، لأنه يرفع في الخشبة على طولها، فصلحت (في) وصلحت (على)؛ لأنه يرفعها فيها فيصير عليها ^(٨).

(١): انظر: السيوطي، الإتيان، ١/١٦٧.

(٢): انظر الخضري: من أسرار حروف الجر، ص ١٥٢.

(٣): الفراء، معاني القرآن، ٢/٢٧٦.

(٤): الألوسي، روح المعاني، ١٩/١٩٢.

(٥): في الجنى الداني، ص ٢٥١.

(٦): المغني بحاشية الدسوقي، ١/١٨١.

(٧): انظر: الأشموني، شرحه على ألفية ابن مالك، ٢/٢٢٥. السيوطي، الهمع، ٢/٣٠.

(٨): الفراء، معاني القرآن، ٢/٢٨٦.

وعليه الفراء يرى أن (على) و (في) يصلحان في هذا الموضع، ولكن لماذا أتى (بفي) بدلاً عن (على)؟

جعل الزمخشري ذلك من التجوز بحرف الظرفية عن حرف الاستعلاء، بأنه شبه تمكن المصلوب في الجذع يتمكن الشيء الموعى في وعائه، فكذلك قيل في جذوع النخل^(١). وإلى جانب أنها تدل على تمكن الشيء، فهذه الآية جاءت لتعبر عن غيظ بلغ مداه في فرعون، وتعبيراً عن شدة الأخذ وعدم الرحمة بالمصلوبين، جاء حرف الوعاء، حالاً على أنهم سيثدنون إلى الجذع شدةً بالغاً في القسوة، حتى ليكاد الجذع يواريه ويشتمله مع صيغة التضعيف في الفعل (أصلب)^(٢).

- وقوله تعالى: (أَمْ لَهُمْ سُلْمٌ يَسْتَمْعُونَ فِيهِ) [الطور/٣٨]

أي يستمعون عليه، إذ حروف الجر قد يسد بعضها مسد بعض. هذا ما قاله أبو حيان^(٣). وذهب الألوسي إلى أن معناه: صاعدين فيه، على أن الجار والمجرور متعلق بكون خاص محذوف وقع حالاً والظرفية على حقيقتها^(٤). فالمعنى أن لهم سلم يستمعون صاعدين فيه وهذا على تقدير محذوف لتصح التعدية ب (في).

ولكن-والله أعلم- أن الحرف جاء إنكاراً على المشركين ادعاءهم على النبي بأنه كاهن ومجنون، بأن هل لهم سلم تمكنوا فيه من سماع كلام الملائكة وما يوحي إليهم ويصلون به إلى علم الغيب كما وصل إليه محمد صلى الله عليه وسلم بطريق الوحي.

- وقوله تعالى: (تَقُلْتُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) [الأعراف/١٨٧]

(تقل) يتعدى بعلى، تقول: تقل عليّ هذا الأمر. فإمّا أن يدعى أن (في) بمعنى (على) أو يضمن الفعل معنى فعل يتعدى بفي^(٥).

(١): الزمخشري، الكشاف، ٥٤٦/٣.

(٢): انظر الخصري: أسرار حروف الجر، ص ١٢٧-١٢٨.

(٣): أبو حيان، البحر المحيط، ١٥٢/٨.

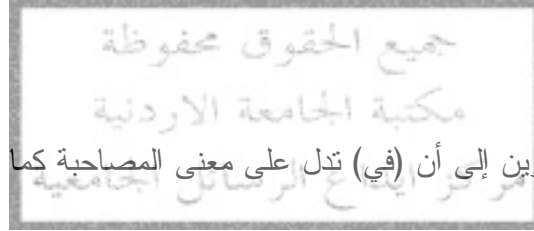
(٤): الألوسي، روح المعاني، ٣٨/٢٧.

(٥): أبو حيان، البحر المحيط، ٤٣٥/٤. الجمل، حاشيته على الجلالين، ٢١٣/٢.

ولكن (في) نبه على تمكن الفعل، وهو ثقل أمر الساعة وعظم أمرها. بأنه تمكن في السماوات مع عظمها وفي الأرض كذلك، فحدثها أمر عظيم.

- وقوله تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِّ) [يونس/٢٢]
 (في) بمعنى (على) بدليل قوله: (فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ) [المؤمنون/٢٨]^(١).

مما ظهر من السابق فإن (في) تفيد التمكن، و (على) تفيد الاستعلاء والاستيلاء. وفي هذه الآية إشارة إلى أنهم كانوا مستقرين في السفينة تجري بهم من غير رياح شديدة، جاءهم قضاء الله وأبدل الأمن خوفاً، فنتحول الرياح الطيبة رياحاً شديدة عاصفة والموج يعلو من كل مكان^(٢). هناك يعلم الإنسان أن لا ملجأ منه إلا إليه، ولا راد إلا الله لهذا الأمر.



الرابع - بمعنى (مع)
 ذهب كثير من المفسرين إلى أن (في) تدل على معنى المصاحبة كما تدل عليه (مع) في كثير من الآيات^(٣).

- من ذلك قوله تعالى: (قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ) [الأعراف/٣٨]
 فمعنى (ادخلوا في أمم) أي مع أمم^(٤).

ولكن هنا (في) جاءت لتفيد معنى لا تفيد (مع)، فهذا الموقف موقف القهر وإدلال القدرة، وتحقير شأن الكافرين والسخرية منهم وممن أشركوهم مع الله آلهة، ولا أدل على ذلك من حرف الظرفية الموحى أن المخاطبين يتوارون في غمار الأمم التي كفرت، وألقى الله تعالى بهم في نار جهنم، وهو غني عنهم وعن عبادتهم.

(١): الزركشي، البرهان، ٣٠٣/٤.

(٢): الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ٦١

(٣): انظر: الهروي، الأزهية، ص ٢٦٧. وابن مالك، التسهيل، ص ١٤٧.

(٤): انظر: الأولوسي، روح المعاني، ١١٦/٨.

وهذا سر عدم الاكتفاء بالأمر بدخولهم في النار، حيث لم يقل: ادخلوا في النار، كما لم يكتف بقوله: (ادخلوا في أمم) حتى بينه بقوله (من الجن والإنس) للدلالة على كثرة الكافرين وحقارة شأن الداخلين فيهم، وهو سر الظرفية^(١).

- وقوله تعالى: (فَادْخُلِي فِي عِبَادِي) [الفجر/٢٩]
 قيل: (في) بمعنى (مع)^(٢).

الآية تتحدث عن النفس المطمئنة، التي أكرمها الله تعالى بأن رضي عنها، وأدخلها في زمرة عباده الصالحين وانضمت لهم، ففيها من التمكن من مكانتها وكرم الله عليها، بأنها استحققت أن تكون فيهم. ولو كانت بمعنى (مع) لدلت على أن النفس كانت من ضمن من دخل من غير تميز لها وتكريمها على غيرها.

- وقوله تعالى: (تَخْرُجُ بَيْنَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تَسْعِ آيَاتٍ) [النمل/١٢]
 (في) بمعنى (مع)^(٣).

ولكن (في) جاءت تفيد التمكن والتحدي في هذه الآيات، وأنها تحيط بموسى عليه السلام وتوفر له الحماية والأمان في مواجهة عدو الله. ولو كانت بمعنى (مع) لما أعطت القوة التي أفادتها في، ولكانت الآيات هو من يدافع بها^(٤).

- وقوله تعالى: (لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ) [التوبة/٤٧]

قال أبو حيان: (وفيكم: أي في جيشكم أو جملتكم، وقيل (في) بمعنى مع)^(٥).

فهو إما على تقدير مضاف أو أنها بمعنى مع، ولكن الآية توضح أن المنافقين لا يريدون للمسلمين نصراً، ولو أنهم خرجوا مع المسلمين لصاروا عليهم، ولأثاروا الفتنة في جيوش المسلمين.

(١): الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ١٥٥-١٥٦.

(٢): الزركشي، البرهان، ٣٠٢/٤.

(٣): الزركشي، البرهان، ٣٠٢/٤.

(٤): انظر الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ١٥٦.

(٥): أبو حيان: البحر المحيط، ٤٩/٥.

ففي تشير إلى أن خروجهم في صفوف المسلمين سيكون خطراً على المسلمين بأنهم يتغلغلون فيهم كالمرض، لا يحصدون منهم إلا الأذى والخذلان، والقصاص كثيرة تؤكد هذا.

الخامس - بمعنى (إلى)

ذكر أن (في) بمعنى (إلى) في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا) [النساء/٩٧]

ذكر أن في بمعنى (إلى) ^(١). ولكن هذا يكون صحيحاً لو أنهم كانوا خارج أرض الله، فيطالبون حينئذٍ بالهجرة إليها، أما وأنهم في هذه الأرض، فإن النهي عليهم ولومهم، لأنهم لم يهربوا في أعماق الأرض بحثاً عن مكان آخر يأمنون فيه على دينهم، ويمارسون عقيدتهم.

و(في) توحى بالإبعاد في الأرض فراراً من الإيذاء، وهروباً من فتنة الكافرين، ولو جيء بدلاً منه بحرف الانتهاء، لأشعر أنه بمجرد الوصول إلى أرض أخرى والانتهاء إلى طرف منها، مما يجعلهم عرضة للوقوع في يد عدوهم المتعقب لهم ^(٢).

- وقوله تعالى: (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ) [إبراهيم/٩] كثرت الآراء في الكشف عن معنى حرف الوعاء، فمن قائل أنها بمعنى (إلى) ^(٣)، واختلف القول في حقيقة الحرف وتجوزه.

فسر الزمخشري الآية بقوله: فردوا أيديهم في أفواههم غيظاً وضجراً مما جاءت به الرسل، كقوله (عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) أو ضحكاً واستهزاء، كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه، أو أشاروا بأيديهم إلى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم (إننا كفرنا بما أرسلتم به).

أي هذا هو جوابنا لكم ليس عندنا غيره، إقناطاً لهم من التصديق، ألا ترى إلى قوله تعالى: (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ) وهذا قول قوي ^(٤).

(١): الزركشي، البرهان، ٣٠٣/٤.

(٢): انظر الخصري، من أسرار حروف الجر، ص ١٣٨.

(٣): الزركشي، البرهان، ٣٠٣/٤.

(٤): الزمخشري، الكشاف، ٥٢١/٢.

ويعلق ابن المنير على ذلك بقوله: (وأقوى هذه الوجوه هذا الوجه الذي نبه المصنف على اختصاصه بالقوة، وإنما كان كذلك لأن إقناطهم للرسول من الإيمان قولاً وفعلاً بوضع اليد في الفم هو المناسب لهدمهم في الكفر، وتصدير العبارة بالحرف المؤكد ومواجهة الرسول بضمائر الخطاب وإعادة ذلك مبالغة في التأكيد)^(١).

ورغم وجهة هذا القول الذي رجحه الزمخشري وأبان ابن المنير عن قوته، لكن سر حرف الظرفية لم يظهر، فالإشارة بالأيدي إلى الأفواه إقناطاً للرسول، يعبر عنه حرف الانتهاء كذلك.

والفرق بين التعدية (بفي) و (إلى) أن (إلى) تدل على مجرد إنهاء أيديهم إلى أفواههم بالإشارة من خارجها، أما حرف الوعاء فإنه يدل على المبالغة في عدم الرد عليهم، وكأنهم من فرط الإضرار على إنهاء الحوار معهم أدخلوا أيديهم في أفواههم، لتعطل جهاز النطق، وتمنع اللسان عن الحركة، حتى ولو كانت أصواتاً مكتومة أو حركة محبوسة داخل الفم، وهو ما يؤكد إقناط الرسول من إجابتهم والاسترسال في الحوار معهم^(٢).

- وفي قوله تعالى: (فنظر نظرة في النجوم) [الصافات/٨٨]

النظر يتعدى إلى (ولكن انظر إلى الجبل) لأن (في) بمعنى (إلى) كما في قوله (فردوا أيديهم في أفواههم) أو أن النظر هنا بمعنى الفكر، وهو يتعدى بفي (أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض)^(٣).

قال الراغب: (نظرت إلى كذا، إذا مددت طرفك إليه، رأيته أو لم تره، ونظرت فيه، إذا رأيته وتدبرته، قال: (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت). نظرت في كذا: تأملته، قال: (فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم)، وقوله تعالى: (أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض) فذلك حث على تأمل حكمته في خلقها)^(٤).

فدللت (في) على استغراق القلب والفكر، والانشغال بالمنظور فيه انشغالاً يشتمله. فالفرق بين تعدي النظر (بإلى) وتعديه بـ(في). أن الأول يقصد به مجد الرؤية ومد الطرف إليه. والثاني يدل على التأمل والاستغراق بالنظر.

(١): ابن المنير، الانتصاف، ٥٢١/٢.

(٢): الخصري، من أسرار حروف الجر، ص ١٤١.

(٣): الجمل، حاشية على الجلالين، ٥٣٨/٣.

(٤): الراغب، المفردات، ص ٤٩٧-٤٩٨.

السادس - السببية

وهي التي يصح في موضعها لأجل أو بسبب^(١). نحو قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ) [البقرة/١٧٨]

حيث ذهب الفخر الرازي إلى أن قوله (في القتل) معناه بسبب قتل القتلى، لأن كلمة (في) قد تستعمل للسببية^(٢)، وذهب أبو حيان كذلك إلى أن في معناها لسبب^(٣).

وهذا لبيان وكشف المعنى، لكن ما الذي أفاده حرف الظرفية؟

تدعو الظرفية إلى تعجيل القصاص وعدم التباطؤ فيه، وحتى لا يكون التأخر سبباً في دفع أهل القتل إلى الثأر والانتقام، ويضيع الغرض من حكمة مشروعية القصاص، وكأنه يهيب بهم أن يدفنوا القاتل في القتل قبل أن يواروه التراب، مع الإشارة إلى أن القتل الأول أبشع وأفظع، لأنه قتل ظلماً، والثاني قتل عدلاً، لذلك كان الأول ظرفاً يحوي الثاني ويشتمله.

وفيه تسفيه لمن يلبس ثوب الرحمة، ويتهم الإسلام بالقسوة في تنفيذ عقوبة القتل قصاصاً، وهي رحمة عوراء ترى القاتل فتشفق عليه، وتتعامى عن القتل وتتجاهله، وحسب الناس مغالطة أن يُسموا القصاص إعداماً، بعد أن سماه الله حياة^(٤).

- وقوله تعالى: (لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [النور/١٤]

فسرت الآية أن (في) بمعنى سبب، أي بسبب ما خضتم فيه من حديث الإفك^(٥).

فهذه الظرفية التي قيل إنها للسببية، هي من التجوز في الظرف، لتصوير غضب الله تعالى على من خاض في الحديث عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها-، وسبق رحمته عذابه.

فقد كان غضب الله عظيماً على المفتريين، ولو لا سبق رحمته وفضله لأنزل عليهم عذابه، وهم يخوضون فيه^(٦).

(١): عبد النعيم علي محمد، الجر علم الأسماء، ٢٥٠/١.

(٢): الرازي، التفسير الكبير (مفتاح الغيب)، ٥٢/٥.

(٣): انظر: النهر الماد من البحر، ٨/٢.

(٤): الخصري، من أسرار حروف الجر، ص ١٣٤.

(٥): الشوكاني، فتح القدير، ١٥/٤.

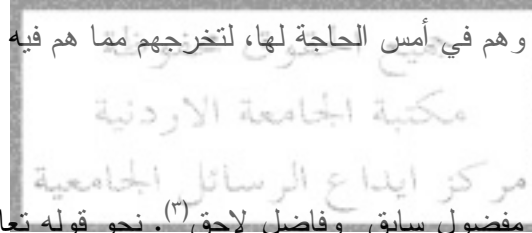
(٦): الخصري، من أسرار حروف الجر، ص ١٣٣-١٣٤.

(في) بينت شدة غضب الله تعالى من الذين خاضوا في حديث الإفك، حين اتهموا أم المؤمنين بالفاحشة من غير دليل ولا برهان، سوى تلقف الإشاعات والأقويل التي روجها المنافقون.

- وفي قوله تعالى: (ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِبُهُمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ) [النحل/٢٧]

فقد جعل بعض المفسرين (في) دالة على السببية ولا ضرورة إليه^(١)، إذ فسرت المشاقفة بمعنى المحاربة^(٢)، فحرف الظرفية أفاد اعتقاد المشركين ان الأصنام تحميهم وتمدهم بالمساعدة، وأنها تشملهم لما يوحيه حرف الوعاء (في). فكانوا يحاربون معتقدين نفعها.

فأين غابت عنهم الآن وهم في أمس الحاجة لها، لتخرجهم مما هم فيه من العذاب.



السابع - المقايسة

وهي الواقعة بين مفضل سابق وفاضل لاحق^(٣). نحو قوله تعالى: (فَمَا مَتَاعُ

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ) [التوبة/٣٨]

والمعنى على هذا: ما متاع الحياة الدنيا بالقياس إلى الآخرة إلا قليل.

وفي هنا- والله أعلم- على أصلها، والظرفية تدل على عظيم نعيم الآخرة، وتفاهة الدنيا ومتاعها، وهو إذا ما قورن بنعيم الآخرة تلاشى فيه، وذلك أوقع في كشف ضلالة الدنيا، والتقليل من متاعها من جعلها للمقايسة^(٤).

فالمقايسة فيها قياس فقط، أما الظرفية فكان نعيم الدنيا قد حوته الآخرة فكان قليل والآخرة زادت عليه الكثير. فكل الدنيا ومتاعها لا يساوي إلا القليل بالنسبة للآخرة ونعيمها.

(١): الأوسى، روح المعاني، ١٢٧/١٤.

(٢): انظر: أبو عبيدة، مجاز القرآن، ٣٥٩/١.

(٣): عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن، ٢٨٣/٢.

(٤): انظر الحضري، من أسرار حروف الجر، ص ١٢٥.

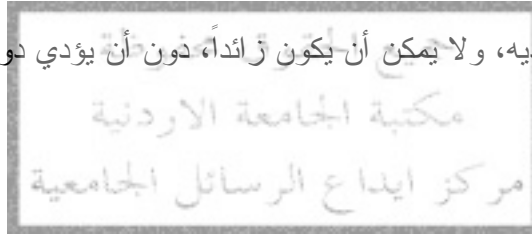
الثامن - القول بالزيادة

- نحو قوله تعالى: (وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا) [هود/٤١]

عدى (اركبوا) بفي لتضمنه معنى (صيروا) أو ادخلوا فيها. وقيل التقدير: اركبوا الماء فيها. وقيل: زائدة للتوكيد^(١).

وهي ليست زائدة، فـ(في) في الآية جاءت لتبين امتنان الله فيها على عباده بتنجيتهم من خطر الطوفان والأمواج العاتية، بدل الله فيها أمنهم خوفاً، وأحاطهم بعنايته ورحمته، فإذا هم مستقرون في الفلك، آمنون فيها، كأنها قد تحولت إلى مساكن على أرض يابسة، تحميهم من أمواج تنقاذها، وتحيط بها، ومن ثم كان الأدل على هذه المنة أن يعبر بما يدل على هذه المنة أن يعبر بما يدل على تمكنهم واستقرارهم فيما سخر الله لهم^(٢).

فكل حرف معنى يؤديه، ولا يمكن أن يكون زائداً، دون أن يؤدي دوره الذي وضع لأجله.



(١): انظر: أبو حيان، البحر المحيط، ٢٢٤/٥.

(٢): انظر: الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ٦٠-٦١.

تمهيد: معنى العطف

أولاً- العطف لغة

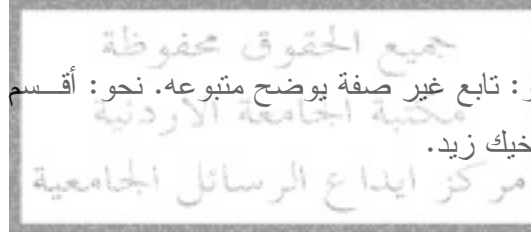
العطف: الميل والثني والرجوع، قال ابن منظور: (عطف يعطف عطفاً: انصرف وعطف عليه يعطف عطفاً: رجع عليه بما يكره وله بما يريد،... ويقال: عطفت رأس الخشبة فانعطفت، أي حنيته فانحنى. وعطفت أي ملت... وتعاطف في مشيته تثنى^(١)).

ثانياً- العطف اصطلاحاً

العطف نوعان:

- عطف بيان.
- عطف نسق.

أما عطف البيان فهو: تابع غير صفة يوضح متبوعه. نحو: أقسم بالله أبو حفص عمر^(٢). ونحو: مررت بأخيك زيد.



وهذا النوع من العطف ليس محل بحثي، وإنما بحثي في العطف بالحرف وهو عطف النسق.

وعُرِّفَ عطف النسق بأنه:

"تابع مقصود بالنسبة مع متبوعه، يتوسط بينه وبين متبوعه أحد الحروف العشرة" ^(٣).
فعطف النسق لا بد من وجود أحد أحرف العطف، من غير أن يُوجد توضيح.

(١): ابن منظور، لسان العرب، مادة عطف.

(٢): انظر الرضي، شرحه على الكافية، ٣٩٥/٢.

(٣): الرضي، شرحه على الكافية، ٣٣١/٢. والحروف العشرة هي: الواو، الفاء، ثم، حتى، أو، بل، لكن، أم، لا، إما. وقال ابن مالك وابن عقيل إن حروف العطف تسعة، ولم يعتبروا (إمّا) حرف عطف، بدليل دخول الواو عليها، وحرف العطف لا يدخل على حرف العطف. انظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ٢٣٤/٢.

المطلب الأول: الواو^(١) وأثرها في التفسير

الواو أصل حروف العطف، وأم هذه الحروف لكثرة استعمالها ودورها فيه. ومعناها الجمع والتشريك، أي أنها تشترك الثاني فيما دخل فيه الأول، ولا تخلو عن هذين المعنيين في عطف المفردات، لأنها لا تخلو أن تعطف مفرداً على مفرد، أو جملة على جملة.

والواو لا تعطي الترتيب عند البصريين، فإنه قد يكون الثاني في العمل قبل الأول تارة ومعه أخرى، فالذي قبله كقوله تعالى: (يا مريم اقنتي لربك واسجدي اركعي مع الراكعين) [آل عمران/٤٣]، فالركوع قبل السجود، والذي معه كقوله: اختصم زيد وعمرو، فالاختصاص لا يصح إلا من اثنين معاً^(٢).

وعند الكوفيين^(٣) أنها تعطي الترتيب كالفاء عند البصريين، واحتجوا بقوله تعالى: (إذا زلزلت الأرض زلزالها* وأخرجت الأرض أثقالها) [الزلزلة/١-٢]، ويقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم) [الحج/٧٧]، ومعلوم أن إخراج الأثقال إنما هو بعد الزلزال ومتأخر عنه، والسجود في الشرع لا يكون إلا بعد الركوع^(٤).

ورأي الكوفيين ليس فيه رد على البصريين؛ لأنهم لم يلزموا عدم الترتيب في الواو، والترتيب جاء بحكم اللفظ، إذ لو كانت تفيد الترتيب لم تكن أبداً إلا كذلك، ووجود أمثلة على عدم الترتيب يدل على أنها ليست موضوعة له، فالتقديم والتأخير حسب الأهمية والمعنى بيانه.

- نحو قوله تعالى: (هو الأول والآخِر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم)

[الحديد/٣]

معنى الواو كما ذكرها الزمخشري^(٥): الواو الأولى معناها الدلالة على أنه الجامع بين الصفتين الأولية والآخرية، والثالثة على أنه الجامع بين الظهور والخفاء، وأما الوسطى فعلى

(١): انظر الواو في: المبرد، المقتضب، ١٠/١، ٢٥-٢٦. ابن يعيش، شرح المفصل، ٩٠/٨. المرادي، الجنى

الداني، ٥٩ص. المالقي، رصف المباني، ص ٤٧٣-٤٧٥. سيبويه، الكتاب، ٤٣٠/١. ابن هشام، المغني، ٣٠/٢-٣١.

(٢): المالقي، رصف المباني، ص ٤٧٤.

(٣): انظر المرادي، الجنى، ص ٦١.

(٤): المالقي، رصف المباني، ص ٤٧٥.

(٥): الزمخشري، الكشاف، ٤٦٠/٤.

أنه الجامع بين مجموع الصفتين الأوليين ومجموع الصفتين الأخريين، فهو المستمر الوجود في جميع الأوقات الماضية والآتية، وهو في جميعها ظاهر وباطن.....^(١) فالواو جمعت بين صفات الله تعالى، وكل صفة مستقلة بذاتها، فله الصفات العلى.

- ونحو قوله تعالى: (فَلأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَأَصْلَبْنَكُمْ فِي جَنُودِ النَّخْلِ)

[طه/٧١]

- وقوله: (لأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَأَصْلَبْنَكُمْ أَجْمَعِينَ) [الشعراء/٤٩]

- وقوله: (لأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لأَصْلَبْنَكُمْ أَجْمَعِينَ) [الأعراف/١٢٤]

في الموضعين الأولين جاءت (الواو) وفي الأخير (ثم)، فدل على أن الواو أريد بها الترتيب من كون الصلب بعد القطع، وهو ما أفاده معنى (ثم) وهذا ما ذكره أبو حيان^(٢). لكن مجيء (ثم) في هذه الآية يصور شدة غيظ فرعون من إيمان السحرة، فوصفهم أنهم شركاء مع موسى. فحرف المهلة يوحي بالتهديد وطول زمن الصلب، ما لا تفيده في الآيتين من أنهم مجرد أعوان وأتباع لموسى.

- قوله تعالى: (وَلَقَدْ دَخَلْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ) [المؤمنون/١٢]

ذكر ابن عطية في تفسيره أن هذا ابتداء كلام والواو في أوله عاطفة جملة كلام على جملة، وإن تباينت في المعاني، وقد بين المناسبة بينهما، ولم تتباين في المعاني من جميع الجهات^(٣).

الواو الزائدة

يرى الكوفيون أن واو العطف تأتي زائدة، واستدلوا بآيات من القرآن الكريم أما عند البصريين فزيادة الواو غير جائزة^(٤).

مثل : - قوله تعالى: (إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ * وَأَذْنَتْ لربها وحقت * وَإِذَا الْأَرْضُ مدت)

[الانشقاق/١-٣]

(١): انظر: أبو حيان، البحر، ٢١٧/٨. الجمل، حاشيته على الجلالين، ٢٧٩/٤.

(٢): أبو حيان، البحر، ٣٦٦/٤.

(٣): ابن عطية، المحرر الوجيز، ١٣٧/٤.

(٤): المبرد، المقتضب، ٨١/٢.

ذكر في الآية أن الواو زائدة، إذ يجوز أن يكون (إذا الأرض مدت). وهو قول بعيد ولا يرغب به^(١).

فالآيات جمعت بين الأحداث الكونية يوم القيامة، ولا يصح القول بزيادتها إذ أن كل عمل مستقل عما قبله وليس منه أو تأكيداً له.

- وقوله تعالى: (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم) [الزمر/٧٣]
 قيل بزيادتها، إذ هي في موضع آخر (فتحت) من غير واو فقيل زائدة^(٢)

فالموضع الذي جاءت فيه من غير واو في نفس السورة: (وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها)... الخ الآية [الزمر/٧١].
 مكتبة الجامعة الأردنية
 مركز أبحاث الرسائل الجامعية
 فالآية هنا نتحدث عن حال الكافرين، والآية الأولى عن حال المؤمنين، وجاء حرف الواو ليعطي معنى زائداً، فأبواب جهنم لا تفتح إلا عند دخول أهلها فيها، وأما أبواب الجنة فمتقدم فتحها، فلذلك جيء بالواو، كأنه قيل: حتى إذا جاؤوها وقد فتحت أبوابها^(٣).

فبهذا يتضح عدم زيادة الواو، وإعطائها معنى لحال المؤمنين مختلف عن الكافرين.

- وقوله تعالى: (إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام) [الحج/٢٥]
 قيل: الواو في (ويصدون) زائدة، وهو خبر (إن) ^(٤). قال ابن عطية: وهذا مفسد للمعنى المقصود^(٥).
 إذ المعنى إذا كانت الواو زائدة: إن الذين كفروا يصدون عن سبيل الله، فهي تخبر عنهم أنهم يصدون عن سبيل الله.

(١): انظر: المبرد، المقتضب، ٨٠/٢. الفراء، معاني القرآن، ٢٣٨/١.

(٢): الفراء، معاني القرآن، ٢٣٨/١.

(٣): انظر: الزمخشري، الكشاف، ١٤٢/٤.

(٤): أبو حيان، البحر، ٣٦٢/٦.

(٥): ابن عطية، المحرر الوجيز، ٩٥/٣.

ولكن مجيء الواو عطفت بين الكفر والصد، وجمعت بينهما، فلم يكتفوا بكفرهم ومجاهرتهم بعصيانهم بل زادوا عليها صدهم عن سبيل الله والمسجد الحرام.

فظهر الفرق في المعنى بين أن نقول إن الواو زائدة أو عاطفة.

من أحكام معطوف النسق

أولاً- العطف على المجل

- نحو قوله تعالى: (فمن لم تجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعت)
[البقرة/١٩٦]

قرأ الجمهور بخفض سبعة، وقرأ غيرهم بالنصب على أنه معطوف على ثلاثة، لأنها وإن كانت مجرورة لفظاً فهي في محل نصب، كأنه قيل: فصيام ثلاثة^(١).

وخرّج ابن عطية النصب على إضمار فعل، أي فليصوموا، أو صوموا، وأنه التخرّيج الذي لا ينبغي أن يُعدل عنه^(٢).

فمن قرأ بالجر كان عطفه على الظاهر، ومن قرأ بالنصب إما على تقدير فعل أو عطفه على محل المجرور وهو النصب.

- وقوله تعالى: (حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى) [البقرة/٢٣٨]
قرأت عائشة- رضي الله عنها- (والصلوة الوسطى) بالنصب على المدح والاختصاص^(٣)، ويحتمل أن يراعى موضع (على الصلاة) لأنه نصب^(٤).

(١): الشوكاني، فتح القدير، ١/٢٤٧.

(٢): ابن عطية، المحرر الوجيز، ١/٢٧٠.

(٣): الزمخشري، الكشاف، ١/٢٨٤.

(٤): أبو حيان، البحر المحيط، ٢/٢٤٢.

فالعطف بالجر (الصلاة) على ظاهر الأمر، ومن قرأ بالنصب له: النصب بالمدح والاختصاص، أو من باب العطف على المحل، إذ محل (على الصلوات) في محل نصب.

- وقوله تعالى: (ومن آناء الليل فسيح وأطراف النهار لعنك ترضى) [طه/١٣٠] و(أطراف) معطوف على (ومن آناء)^(١). فهي معطوفة على محل (من آناء) وموضعها النصب.

- وقوله تعالى: (ثلاث مرّاتٍ من قبل صلاةِ الفجرِ وحينَ تضعون ثيابكم من الظهيرة) [النور/٥٨]

(حين) معطوف على موضع (من قبل). فلها النصب على أنه بدل، ويجوز أن يكون محل رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، أي هي من قبل^(٢).
(فحين) إما لها النصب أو الرفع عطفاً على محل (من قبل).
ثانياً - العطف على التوهم

ويُسمى في القرآن العطف على المعنى^(٣). نحو قوله تعالى: (فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب) [هود/٧١]

نصبُ (يعقوب) عطف على التوهم، والعطف على التوهم لا ينقاس، والأظهر أن ينتصب (يعقوب) بإضمار فعل تقديره: ومن وراء إسحاق وهبنا يعقوب. ودلّ عليه قوله: (فبشرناها) لأن البشارة في معنى الهبة^(٤).

إضمار الفعل يبين وجه النصب، والقول بالعطف على المعنى يبين فضل الله بأن وهب إسحاق وبعده يعقوب، تكرماً وفضلاً.

(١): أبو حيان، البحر المحيط، ٢٩٠/٦.

(٢): الشوكاني، فتح القدير، ٦٣/٤.

(٣): البغدادي، خزنة الأدب، ١٤٠/٢.

(٤): أبو حيان، البحر المحيط، ٢٤٤/٥.

- وقوله تعالى: (يا أيها النبيّ حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) [الأفال/٦٤]
 (ومن) عطف على معنى أن الكلام: يكفيك الله، وهذا لا ينقاس، فالأولى أن يكون على تقدير حذف مضاف، أي (وحسب) لدلالة (حسبك) عليه^(١).

فالعطف على المعنى يكون الكلام فيه: يكفيك الله ومن اتبعك من المؤمنين. والقول بتقدير حذف مضاف هو الأفضل، أي حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين.

فمن كان الله حسبه وكافيه، فلن يحتاج إلى غيره. والآية في غزوة بدر والله تعالى قد وعد رسوله بالنصر، وعلى قلتهم انتصروا لأنه كان حسبهم.

- وقوله تعالى: (لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين) [المنافقون/١٠]

(وأكن) بالجزم عطفًا على محل فأصدق، كأنه قيل: إن أخرتني أتصدق وأكن^(٢). فالجزم جاء من معنى الشرط المفهوم من التمني.

ومن قرأ بالواو (وأكون) بالنصب عطفًا على فأصدق^(٣). من غير عطف على معناها، الذي هو الجزم.

فقرأة (أكن) بالجزم فيها تأكيد وتوثيق لمقولة من أتاه الموت وحاله اللهو والعبث، ولكن هذا التأكيد لم ينجح .

ثالثاً- العطف على الضمير المرفوع المتصل

- نحو قوله تعالى: (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة)[البقرة/٣٥]
 (أنت) تأكيد للمستكن في (اسكن) ليصح العطف عليه^(٤). وحسن العطف عليه تأكيده بأنت، ولا يجوز عن البصريين العطف عليه دون تأكيد أو فصل يقوم مقام التأكيد^(٥).

(١): أبو حيان، البحر المحيط، ٥١٠/٤.

(٢): الشوكاني، فتح القدير، ٢٩٠/٥.

(٣): المرجع السابق، ٢٩٠/٥.

(٤): الزمخشري، الكشاف، ٦٣/١.

(٥): أبو حيان، البحر المحيط، ١٥٦/١.

ومجيء الضمير (أنت) بما فيه من تأكيد للسكن، إشارة إلى تمتع آدم وزوجه بالسكن وحدهما في الجنة، أما من غير الضمير فلا يوجد ما يوحي بذلك.

- وقوله تعالى: **(فكذبوا فيها هم والغاوون)** [الشعراء/٩٤] الفصل بالجار والمجرور وبالتوكيد^(١). ومجيء الضمير تأكيد على عذابهم وعقابهم وأنهم يستحقون أن يُكبوا في النار قبل اتباعهم.

- وقوله تعالى: **(قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)** [يوسف/١٠٨]

(أنا) توكيد للضمير المستكن في (أدعو) و(من) معطوف على ذلك الضمير^(٢).
فهذا كلام للنبي - صلى الله عليه وسلم - أنه هو من يدعو إلى الله ومن تبعه يدعو إلى الله، فهو حق على كل من يؤمن بالله ويتبع نبيه الدعوة إلى دين الله.
وفيه تشريف لمن يدعو إلى سبيل الله.

- وقوله تعالى على لسان بني إسرائيل: **(فانذهب أنت وربك فقاتلا)** [المائدة/٢٤] قرن اليهود ذهاب موسى - عليه السلام - لمقاتلة عدوهم مع ربه، قالوا ذلك استهزاء واستهانة، وقصدوا ذهابها حقيقة^(٣)، فمن عبد العجل وطلب رؤية الله جهرة، فلن يكثر عليه أمر كهذا.

رابعاً - العطف على الضمير المجرور

لا يُعطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار حرفاً كان أو اسماً عند البصريين^(٤).

(١): الجمل، حاشيته على الجلالين، ٢٨٥/٣

(٢): أبو حيان، البحر المحيط، ٣٥٣/٥

(٣): الزمخشري، الكشاف، ٦٠٨/١

(٤): انظر: سيبويه، الكتاب، ٣٩١/١

وانتصر أبو حيان للكوفيين ورجح مذهبهم بذكر شواهد من كلام العرب في مواضع من تفسيره.

- نحو قوله تعالى: (قل قتالٌ فيه كبيرٌ وصدٌّ عن سبيل الله وكفرٌ بهِ والمسجدِ الحرامِ وإخراجُ أهله منه أكبرُ عند الله) [البقرة/٢١٧]

(المسجد الحرام) عطف على سبيل الله، ولا يجوز أن يعطف على الهاء في (به) (١). ورد السمين الحلبي هذا القول، لأنه يفضي إلى الفصل بين أبعاض الصلاة. ومال إلى أن (المسجد الحرام) معطوف على الهاء في (به)، أي وكفر به وبالمسجد. وذلك لكثرة السماع الوارد به، وضعف دليل المانعين واعتضاده بالقياس (٢).

فيقال: (وكفر به) مبتدأ، وما بعده عطف عليه. وأكبر خبر عنهما. أي مجموع الأمرين أكبر من القتال والصد، ولا يلزم من ذلك أن يكون إخراج أهل المسجد أكبر من الكفر، بل يلزم منه أنه أكبر من القتال في الشهر الحرام (٣).
بهذا صح العطف على الضمير المجزور، بإعراب (وصد) على الابتداء، فيكون (أكبر) خبراً عن الجميع.

- وقوله تعالى: (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) [النساء/١]
(الأرحام) قرئت بالنصب والجر (٤). فمن قرأ بالنصب، عطف الرحمن على الاسم الشريف، أي اتقوا الله واتقوا الأرحام فلا تقطعوها، فإنها مما أمر الله به أن يوصل. وقد تكون معطوفة على محل الجار والمجرور في قوله: (به)، أي اتقوا الله الذي تساءلون به وتتساءلون بالأرحام. والأول أولى (٥).

ومن قرأ بالجر، فهي من عطف الظاهر على المضمرة (٦)، أي تساءلون به والأرحام.

(١): الزمخشري، الكشاف، ٢٥٦/١. وانظر: أبو حيان، البحر، ١٤٧/٢-١٤٨. ذكر شواهد تؤيد مذهب الكوفيين.

(٢): انظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ٣٩٣/٢-٣٩٨.

(٣): المرجع السابق، ٣٩٢/٢.

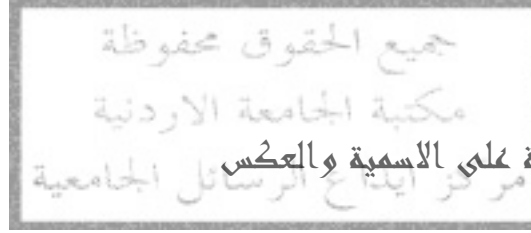
(٤): ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص ١١٨.

(٥): الشوكاني، فتح القدير، ٥٢٧/١.

(٦): الزمخشري، الكشاف، ٤٥٢/١.

فقرأة النصب معناها: اتقوا الله واتقوا الأرحام، ومن قرأ بالجر، أي يسألون بالله والأرحام.

- وقوله تعالى: (لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة) [النساء/١٦٢]
نصب (المقيمين) على المدح لبيان فضل الصلاة، ولا يتلفت إلى ما زعموا وقوعه لحنا في خط المصحف. وربما التفت إليه من لم ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتتان^(١).
ولا يشترط أن تكون متعينة للعطف على الضمير المجرور^(٢). فنصب (المقيمين) على المدح والاختصاص بياناً لمكانة الصلاة، وأن من يقيم الصلاة ويؤديها على أحسن وجه هو من يؤمن بالله.



صرح المبرد في المقتضب بجواز ذلك، قال: (وكل جملة بعدها جملة فعطفها عليها جائز وإن لم تكن منها)^(٣)، فيجوز عطف الاسمى على الفعلية بالعكس وذلك بالواو دون الفاء وأخواتها، لأصالة الواو في العطف^(٤).

- نحو قوله تعالى: (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة) [الأنعام/٦١]
ويرسل ظاهره أن يكون معطوفاً على (وهو القاهر) عطف جملة فعلية على اسمية^(٥).
أي: الله تعالى هو القاهر ويرسل الحفظة. فالجملة الاسمى تفيد الثبوت والفعلية تفيد التجدد فأرسال الحفظة أمر متجدد يحصل باستمرار.

- وقوله تعالى: (قُلِ اللَّهُ ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون) [الأنعام/٦٤]

(١): الزمخشري، الكشاف، ٥٧٧/١.

(٢): انظر: أبو حيان، البحر المحيط، ٣/٣٩٥-٣٩٦.

(٣): المبرد، المقتضب، ٢٧٩/٣.

(٤): انظر: الرضي، شرحه على الكافية، ٣٠٣/١.

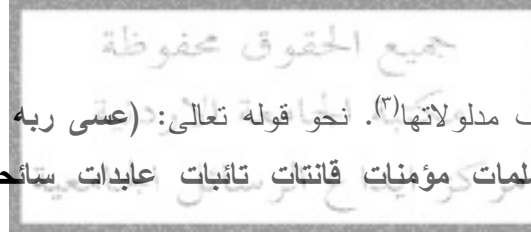
(٥): أبو حيان، النهر الماد، ٤/١٤٧. الجمل، حاشية على الجلالين، ٣٩/٢.

عطف الجملة الاسمية على الفعلية (بثم) لبيان قبح ما فعلوا^(١). فأنه تعالى يمد لهم العون وينقذهم مما هم فيه من الكرب وهم يقابلوه بالإشراك به وهذا فعل قبيح، عرفوا به.

- وقوله تعالى: (سواء عليكم أذعوتموهم أم أنتم صامتون) [الأعراف/١٩٣]
عطف اسمية على فعلية^(٢). عطفت الجملة الاسمية (أنتم صامتون) على الفعلية (دعوتموهم).

فدعوتهم و صمتهم اللازم والمطبق لا يفيد، فهما سواء لا فائدة منهما في أن يدعوا شركائهم إلى الهدى فلن يهتدوا بأي وجه من الوجوه.

السادس- عطف الصفات



له شرط: أن تختلف مدلولاتها^(٣). نحو قوله تعالى: (عسى ربه إن طلقن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تآبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً) [التحريم/٥]

جمعت الصفات مع بعضها؛ لإمكان اجتماعها، أما الثبوبة والبقارة فلا يجتمعان فلذلك عطف أحدهما على الآخر.

ولو لم يأت بالواو لاختل المعنى، فهما صفتان متناقضتان، فلم يكن بد من الواو^(٤).

فالواو عطفت بين الصفات المتغايرة التي لا يمكن اجتماعها في وقت واحد، أما الصفات الأخرى فيمكن اجتماعها.

- وقوله تعالى: (الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار) [آل عمران/١٧]

(١): أبو حيان، البحر المحيط، ١٥٠/٤.

(٢): أبو حيان، البحر المحيط، ٤٤٢/٤.

(٣): المرجع السابق، ٤٠١/٥.

(٤): الزمخشري، الكشاف، ١١٥-١١٦/٤. أبو حيان، البحر المحيط، ٢٩٢/٨.

هذه الأوصاف الخمسة المذكورة لموصوف واحد وهم المؤمنون، وعطفت بالواو ولم تتبع دون عطف لتباين كل صفة من صفة، إذ ليست في معنى واحد، فينزل تغاير الصفات وتباينها منزلة تغاير الذوات فعطفت^(١).

والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها^(٢).

فعطف بين الصفات بالواو للدلالة على أن كل واحدة منها تختلف عن الأخرى، وكل صفة تستحق أن تكون مستقلة عن الأخرى، لفضل كل صفة.

- وقوله تعالى: (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله) [التوبة/١١٢]

الصفات إذا تكررت، وكانت للمدح أو الذم أو الترحم جاز فيها الاتباع للمنعوت والقطع في كلها أو بعضها، وإذا تباين ما بين الوصفين جاز العطف، ولما كان الأمر مباحياً للنهي؛ إذ الأمر: طلب الفعل، والنهي طلب ترك فعل حسن العطف في قوله (والناهون)^(٣).

وذهب الفراء إلى أن العطف جاء لتمام الآية قبلها وانقطاع الكلام، فحسن الاستئناف^(٤).

وكان الواو جاءت تركز على النهي عن المنكر، وحفظ حدود الله، فمن جمع الصفات السابقة لا بد أن يكملها بالنهي عن المنكر وحفظ حدود الله.

فهي تعريض بمن يعبد الله من غير نهي عن المنكر، وحفظ حدود الله جميعها.

(١): أبو حيان، البحر المحيط، ٤٠٠/٢.

(٢): الزمخشري، الكشاف، ٣٣٨/١.

(٣): أبو حيان، البحر المحيط، ١٠٤/٥.

(٤): الفراء، معاني القرآن، ٤٥٣/١.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

المراجع

- ابن أبي العز الحنفي، محمد بن علي، شرح العقيدة الطحاوية، حققها جماعة من العلماء، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٨، ١٩٨٤م
- ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبدالرحمن بن محمد، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق إبراهيم السامرائي، الزرقاء، مكتبة المنار، ط٣، ١٩٨٥م
- البيان في غريب إعراب القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٦٩م
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، منتخب قرة عيون النواظر في الوحدة والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق السيد الصفصطاوي، منشأة دار المعارف، ١٩٧٤م
- ابن الشجري، هبة الله بن علي، الأمالي الشجرية، دار المعرفة، بيروت
- ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبدالحق بن أحمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، ط١، ١٩٨٨م
- ابن القيم، بدائع الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٠٩م
- ابن المنير، أحمد، الانتصاف، بهامش الكشاف، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٠م
- ابن جني، سر صناعة الإعراب، دار القلم، دمشق، ١٩٨٥م
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق عبدالوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٧م
- تهذيب التهذيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م
- لسان الميزان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م
- ابن حنبل، أحمد بن الحسن، مسند الإمام أحمد، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤م

- ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٠
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المخصص، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٨٩٧م
- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م
- ابن عباس، عبدالله بن عباس، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، دار الكتب العلمية، بيروت
- ابن عصفور، علي بن مؤمن الإشبيلي، ضرائر الشعر، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠م
- ابن عطية، محمد عبد الحق، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٣م
- ابن عقيل، بهاء الدين عبدالله، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٩٥م
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، الصحابي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، مؤسسة بدران، بيروت، ١٩٦٣م
- ابن كثير، إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٩٠م
- ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٥م
- ابن مالك، مالك بن أنس، الموطأ، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٨٨م
- ابن مالك، محمد بن عبدالله الطائي، شواهد التوضيح لمشكلات الجامع الصحيح، ١٩٨٥م
- ابن مالك، محمد بن عبدالله، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م
- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق أمين عبد الوهاب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م
- ابن نور الدين، محمد بن علي، مصابيح المغاني في حروف المعاني، تحقيق عائض ابن نافع العمري، دار المنار، ط١، ١٩٩٣م

- ابن هشام، عبدالله الأنصاري، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٨٧م
- ابن يعيش، موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي، **شرح المفصل**، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨م
- أبو الخطاب الحنبلي، محفوظ بن أحمد، **التمهيد في أصول الفقه**، تحقيق مفيد أبو عمشة، مؤسسة الريان، بيروت، ط٢، ٢٠٠٠م. أصلا رسالة جامعية دكتوراة، جامعة أم القرى
- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت
- أبو حيان، محمد بن يونس، **تفسير البحر المحيط**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م
- أبو حيان، **النهر الماد من البحر المحيط**، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٥م
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، **سنن أبي داود**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م
- أبو عبيدة، معمر بن المثنى، **مجاز القرآن**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م
- أبو هلال العسكري، الحسن بن عبدالله، **الفروق اللغوية**، دار الكتب العلمية، بيروت
- الأحمدي، موسى بن محمد الملياني، **معجم الأفعال المتعدية بحرف**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م
- الأخفش، سعيد بن مسعدة، **معاني القرآن**، الشركة الكويتية لصناعة الورق، الكويت، ١٩٨١م
- الإربلي، علاء الدين بن علي، **جواهر الأدب في معرفة كلام العرب**، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، ط٢، ١٩٧٠م
- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، تحقيق عبدالله درويش، دار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٤م
- الأزهري، زين الدين خالد، **شرح التصريح على التوضيح لألفية ابن مالك**، المطبعة الأزهرية، القاهرة، ١٩٠٧م
- الأشموني، نور الدين علي بن محمد، **شرحه على الألفية المسمى منهج السالك إلى ألفية ابن مالك**، المكتبة الأزهرية، القاهرة، ١٩٩٣م

- الألويسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت
- الألويسي، الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناشر، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٩٩٨م
- الأمدي، أبو الحسن علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة، ١٩٦٨م
- البخاري، عبد العزيز بن أحمد، كشف الأسرار عن أصول البزدوي، مكتبة الصنائع، ١٨٨٦
- البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد، دار الفكر، بيروت
- البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزنة الأدب لباب لسانة العرب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨١م
- بنت الشاطي، عائشة، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٤
- بنت الشاطي، الإعجاز البياني ومسائل نافع بن الأزرق، دار المعارف، القاهرة
- البيضاوي، عبدالله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مؤسسة شعبان، بيروت
- الثعالبي، عبد الرحمن بن مخلوف، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المكتبة المصرية، صيدا، ١٩٩٧م
- الثعالبي، عبد المالك بن محمد، فقه اللغة وسر العربية، دار الحكمة، ١٩٨٤م
- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، حققها محمد خلف الله و محمد زغلول، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٦٨م
- الجلالين، جلال الدين المحلي والسيوطي، تفسير الجلالين، مكتبة الملاح، دمشق، ١٩٧٨م
- الجمل، سليمان بن عمر العجيلي، حاشيته على الجلالين المسماة: الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م
- الحاوي، محمد نووي، التفسير المنير لمعالم التنزيل المسفر عن وجوه محاسن التأويل المسمى مراح لبيد، دار الفكر، ١٩٩٠م
- الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله، معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، دار العرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م

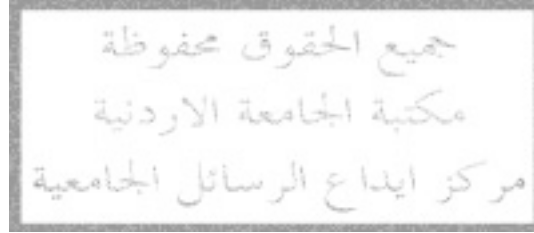
- الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم، **لباب التأويل**، دار الفكر، بيروت
- الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني**، دار عمار، عمان، ط١، ٢٠٠٠م
- الخالدي، **البيان في إعجاز القرآن**، دار عمار، عمان، ط٢، ١٩٩١م
- الخضري، محمد الأمين، **من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٩٨٩م
- الخضري، **من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم (الفاء و ثم)**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م
- الخطيب الإسكافي، محمد بن عبدالله، **درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات**، مطبعة محمد الوراق، القاهرة، ١٩٠٨م
- الداودي، شمس الدين محمد بن علي، **طبقات المفسرين**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣م
- الدسوقي، ابن هشام جمال الدين عبدالله، **المغني بحاشية الدسوقي**، القاهرة
- **الداميني، شرح الدماميني على المغني، بهامش المصنف من الكلام على مغني ابن هشام للشمني**، المطبعة الذهبية، ١٨٨٧م
- **الدمياطي، أحمد بن محمد عبد الغني، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر**، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧م
- **الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن محمد، سير أعلام النبلاء**، تحقيق بشار عواد معروف و محي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م
- **الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون**، دار القلم، بيروت، ط١
- **الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير**، المطبعة المصرية، ١٩٣٣م
- **راشد، الصادق خليفة، دور الحرف في أداء معنى الجملة**، جامعة قاريونس، بنغازي، ١٩٩٦م، أصلا رسالة جامعية
- **الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن**، دار المعرفة، بيروت
- **رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم، الشهير بتفسير المنار**، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٣م
- **الرضي، رضي الدين محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية في النحو**، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٠م

- الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن، **طبقات النحويين واللغويين**، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٣م
- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبدالفتاح الحلو، دار الفكر، بيروت
- الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري، **معاني القرآن وإعرابه**، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨م
- الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق، **حروف المعاني**، تحقيق علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م
- الزجاجي، اللامات، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦٩م
- الزركشي، محمد بن عبدالله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٩٧٢م
- الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، **تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م
- السبكي، تاج الدين أبو نصر عبدالوهاب بن علي، **طبقات الشافعية الكبرى**، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٩٧٠م
- السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر، **مفتاح العلوم**، المطبعة الأدبية، القاهرة
- سيوييه، عمرو بن عثمان، **الكتاب**، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٣م
- سيد قطب، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، بيروت، ط١٥، ١٩٨٨م
- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، **همع الهوامع شرح جمع الجوامع**، تحقيق عبد السلام هارون، دار الرسالة، بيروت، ١٩٨٧م
- السيوطي، **الأشباه والنظائر في النحو**، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٥م
- السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١١هـ—
- السيوطي، **معتك الأقران في إعجاز القرآن**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٩م

- الشريف، محمد حسن، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم مفهوم شامل مع تحديد دلالة الأدوات، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٦م
- الشهاب الخفاجي، أحمد بن محمد، حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، دار صادر، بيروت، ١٨٦٦م
- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبدالكريم، الملل والنحل، دار السرور، بيروت، ط١، ١٣٦٨هـ - ١٩٤٨م
- الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٤م
- الصبان، محمد بن علي، حاشيته على شرح الأشموني، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ١٩٧٠م
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البان عن تأويل القرآن، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٢م
- عباس، فضل حسن، إتقان البرهان في علوم القرآن، دار الفرقان، عمان، ط١، ١٩٩٧م
- عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفانها علم المعاني، دار الفرقان، عمان، ط٤، ١٩٩٧م
- عباس، فضل حسن، لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن، دار النور، بيروت، ١٩٨٩م
- عبد النعيم علي محمد عبدالله، الجر علم الأسماء الجر بالحرف، دار الطباعة المحمدية، مصر، ط١، ١٩٨٩م
- العز بن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٠م
- العز بن عبد السلام، الفوائد في مشكل القرآن، دار الشروق، جدة، ١٩٨٢م
- عزيمة، محمد عبد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن، دار الحديث، القاهرة
- العكبري، أبو القاء عبدالله بن الحسين، إملء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٩م
- عواد، محمد حسن، تناوب حروف الجر في لغة القرآن، دار الفرقان، عمان، ط١، ١٩٨٢م
- الغمراوي، محمد أحمد، الإسلام في عصر العلم، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٧٣م

- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمي، معاني القرآن، تحقيق عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٨م
- فودة، عبد العليم السيد، أساليب الاستفهام في القرآن، دار الشعب، القاهرة، ١٩٥٣م. في الأصل رسالة ماجستير، جامعة القاهرة
- الفيروز أبادي، مجد الدين بن يعقوب الشيرازي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧
- القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، ١٩٩٠م
- القطان، مناع أحمد، مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م
- القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف، إنباه الرواة على أنباء النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، ١٩٥٠م
- اللبدي، عبد الرؤوف، همزة الاستفهام في القرآن الكريم، عمان
- المالقي، عبد النور، رصف المباتي شرح حروف المعاني، تحقيق أحمد محمد الخراط، دار الفلم، دمشق، ط٢، ١٩٨٥م
- المبرد، أبو العباس محمد بن زيد، المقتضب، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٣م
- مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي، تفسير مجاهد، المنشورات العلمية، بيروت
- محمود سعد، حروف المعاني بين دقائق النحو ولطائف الفقه، نشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٨م
- مدكور، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، دار عمران، ط٣
- المرادي، الحسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة ونديم فاضل، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م
- المزني، جمال الدين، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٣٦٨هـ-١٩٤٨م
- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب، سنن النسائي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٨٦م
- النسفي، عبدالله بن أحمد، كشف الأسرار شرح مصنف المنار، دار الكتب العلمية، بيروت
- النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م

- الهروي، أبو الحسن علي بن محمد، الأزهية في علم الحروف، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨١م
- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار القلم، ١٩٩٥م
- الواحدي، أسباب النزول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥م



ملخص

دلالات حروف المعاني (الجر و العطف و الاستفهام)

وأثرها في التفسير

إعداد

ميادة محمود إبراهيم الدلقموني

المشرف

الأستاذ الدكتور فريد السلطان

تناولت هذه الدراسة موضوع دلالات حروف المعاني وهي: حروف الجر والعطف والاستفهام وأثرها في التفسير. هادفة إلى إظهار أهمية الحرف ودوره في المعنى الذي فسرت به الآية. ومدى عناية علماء التفسير ببيان معاني الحروف ودلالاتها في الآية.

وتم اختيار ثلاثة أنواع من حروف المعاني، وتطبيقها على مجموعة من الآيات القرآنية، وبيان المعنى والأثر الذي أعطاه الحرف للآية. وكيف كان من خلال التعرض لهذه الحروف ومعانيها، إبراز قضية التناوب والزيادة وإن لم تكن بشكل مفصل. فالقول بأي قضية تؤثر على الحرف ودوره يلغي الأثر الذي يتركه الحرف الذي اختير من أجله لأداء هذا المعنى.

ومن خلال هذا العرض أمكن التعرف على مدى بلاغة القرآن الكريم في نسقه واختيار ألفاظه وحروفه، ومعرفة إعجاز نظمه الذي لا يدانيه كلام آخر.

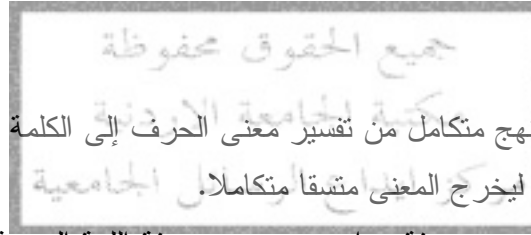
فعناية علماء التفسير كانت بالغة بجانب اللغة والنحو، لما له الأثر الواضح في التفسير، فالقرآن الكريم كتاب العربية الخالد، الذي نهل العلماء منه واستقوا علومه وقواعده. فكانت جهودهم إبراز المعنى الدقيق. وكل حسب جهده وعلمه.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على نبينا محمد، صاحب الكتاب المبين، وعلى آله الأطهار، وصحبه، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين وبعد...

كانت هذه خاتمة مطاف جولتنا في رحاب الحروف وأثرها في تفسير القرآن الكريم. وبرز من خلال هذه الدراسة أهمية الحرف، واعتناء علماء التفسير ببيانه، واهتمامهم بجانب اللغة، والنحو كفرع منه.



فالتفسير يقوم على منهج متكامل من تفسير معنى الحرف إلى الكلمة والجمله، وترابط هذه العناصر مع بعضها، ليخرج المعنى متنسقا متكاملال الجامعية فالقرآن الكريم لا يمكن فهمه ومعرفة مراميه من غير معرفة اللغة العربية، والأدوات التي تساعد على فهمه فهما صحيحا، بعيدا عن التكلف.

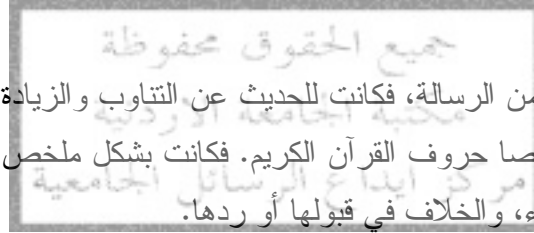
تناولت في دراستي هذه: دلالات مجموعة من حروف المعاني وأثرها في تفسير الآيات القرآنية، والاختلاف في بيان معنى الحرف مما أثر في معنى الآية، وكان هذا الاختلاف ناجم عن دلالات معنى الحرف الواحد، هذا من جهة، ومن جهة أخرى القول بالتناوب والتضمين.

فالقول بالتناوب يلغي جمال المعنى الذي يلقي به الحرف والذي اختير لأجله هذا الحرف بالذات، أما القول بالتضمين فهو مذهب يبرر تعدية الفعل بالحرف، من غير كشف لسر هذه التعدية وأثرها.

فحاولت في هذه الدراسة إبراز أثر الحرف، وسر تعدية الفعل به، والمعنى الذي يلقي به على ظلال الآية.

فتحدثت عن أثر حروف الجر والعطف والاستفهام، محاولة إبراز معانيهم وأثرهم في تفسير القرآن، ومنحى العلماء في بيان ذلك، ورأيت وجود اختلاف بينهم وعدم اتفاق في الغالب على معنى محدد للحرف، ولكن كان من العلماء من له السبق في كشف المعنى، وهذا فضل من الله يؤتية من يشاء، فلا يمكن أن تحمل الآية معنى لأنه لم يظهر لدينا سر هذا الحرف، فهذه كنوز القرآن لاتفنى، يبسرها الله لمن يشاء.

فكانت القضية الغالبة في حروف الجر القول بالتناوب والزيادة، أما في حروف العطف فهي المعاني المجازية لهذه الحروف، والصور التي تلقىها من غير تكلف في تفسيرها. أما حروف الاستفهام، فهي الحروف التي كثرت فيها أقوال المفسرين في بيان معاني حروفها وأدواتها، سواء أكانت حقيقة تفيد الاستفهام أم مجازاً، وكان السياق له أكبر الأثر في ظهور المعنى واختياره.



أما المحطة الأخيرة من الرسالة، فكانت للحديث عن التناوب والزيادة والإلغاء كقضايا تتعلق بالحروف، وخصوصاً حروف القرآن الكريم. فكانت بشكل ملخص، محاولة عرض القضية وبيان آراء العلماء، والخلاف في قبولها أو ردها.

من هذه الرسالة أخلص إلى عدم قبول أي قضية تؤثر على دلالة الحرف، وتنزع عنه دوره والهدف الذي اختير من أجله، كالقول بالتناوب والزيادة الخ.. من القضايا التي تسلب الأثر الذي يبرزه الحرف من غير تأويل أو تعسف في بيانه.

وأن الدراسات القرآنية، وخصوصاً فيما يتعلق بكشف أسرار الحروف في الآيات القرآنية، لا تزال تحتاج من يكشف معانيها وأثرها، فالقرآن مآدبة الله، لا يبلى جديده، ولا تستنفده كثرة الدراسات.

والحمد لله أولاً وأخيراً.

In this research, I took in consideration the indication of al-ma'any letters and it's affecting in Qur'an interpretation and the studies of this subject, tried to explain their meaning and how dose affected in the meaning of al-Qur'an.

The studies of al-ma'any letters in Qur'an needs more study, to explain its affecting and its importance.

